سعيد الصبّاح

طرائف نبطانية



٢٠٠٩

هذا الكتاب



سقى الله زماناً امتاز ببراءة النفوس وطيب النيات، ولطف المعشر، وحلاوة الإلفة، فحفل بمجالس الأنس، ومجامع المسرات، وطرف المسامرات، وإطلاق النكات، وروعة المقابسات، وعمق الإخوانيات وبلاغة القصائد وجمال النثريات، تشهد عليها أشجار السنديان العتيقة التي تضرب في جذورها في أعماق أرضنا السمراء منذ آلاف السنين، فعصت على الفناء، وتلك زيتونة شامخة منذ قرون، تعانق تينة في أرض اللبن والعسل، فهي على مدى الدهر تظللنا من لهيب الحر، وتطعمنا بعد جوع. فحاولت جهدي أن ألقي الضوء على طرائف أمست في طوايا النسيان، وأن أنفض الغبار عن صفحات مشرقة باللطائف من الزمان المنقضي الجميل، ومن حاضر يتحول في هنيهات إلى ماض، فتلك نواميس الكون وسنة سيرورته، وقوانين تطوره، وبذلت الجهد الجهيد لجمع ما تيسّر من تراثنا الشعبي في النبطية ومحيطها، ليبقى حياً في الذاكرة.

سعيد الصبّاح



الإهداء

إلى روح والدي أحمد إبراهيم الصبَّاح الذي أحسن تنشئتي، وأتاح لي فرصة مجالسة كبار الساسة والشعراء والأدباء وأهل الظُرف، مما أغنى ذاكرتي.

الوالد الذي بذل الجهد من أجل نهلي للعلم في مراحله كافة، مما أهّلني لخوض غمار الحياة، وطرق أبواب الكتابة نثراً وشعراً.

س. ص

شكر وعرفان جميل

إلى من حالفني الحظّ بالإستماع إلى مروياتهم، والإستمتاع بجلساتهم الغنية بكل ما هو طريف. وقد أوردت أسماءهم في «المصادر والمراجع»

وإلى كلّ من زودني بالمؤلفات والدواوين الشعرية والمخطوطات والصور الفوتوغرافية، وأخصّ بالشكر الأستاذ علي مزرعاني.

وإلى الأصدقاء الأعزاء الذين تجشموا عناء مراجعة هذا النص، وأسدوا النصائح القيّمة ليكون في أبهى حلّة وهم الأساتذة:

الشاعر محمد زينو شومان، ماهر الحاج علي ومحمد علي الشامي.

وأخصّ بالشكر الجزيل معالي نائب النبطية **الأستاذ ياسين كامل جابر** الذي بادر إلى تحمّل نفقات طبع هذا الكتاب، إضافة إلى إبداء الاستعداد لرعاية حفل توقيعه في **مركز كامل يوسف جابر الثقافي**.

س. ص

المقدمة

. . . وكان هذا الكتاب حصيلة جهد استغرق سنوات قمت خلالها بتدوين طرائف ونوادر مروية عن شعراء وأدباء ومواطنين بسطاء في النبطية وبلدات مجاورة لها.

واجتهدت في جمع الروايات عن ألسنة البعض ممن صدرت عنهم، وآخرين حفظوها في الذاكرة، أو تلك التي قرأتها في الكتب أو دوواين الشعر والأطروحات الجامعية، إضافة إلى ما حصل معي شخصياً من طرائف ومفارقات!!.

وانكبَّ جهدي على غربلة ما جمعت، وعملت على فصل قمحه عن زؤانه، وغثّه عن سمينه. مراعياً الابتعاد عمّا يمس بكرامات الناس ويخدش الحياء العام وينافي القيّم الأخلاقية.

وأردت أن يكون هذا الكتاب جالباً للمسرّة في النفوس، وباعثاً للإنشراح في القلوب، وناشراً الحبور في الجوارح، ومُظهِراً للابتسامة على الشفاه، ونابذاً للقلق من الأفئدة، وغارساً للأمل في المُهج التي طالما عانت الحزن في سنواتٍ عِجاف، فساورها الخوف من حاضر مضطرب ومستقبل غامض.

فحاولت جهدي أن ألقي الضوء على طرائف أمست في طوايا النسيان. وأن انفض الغبار عن صفحات مشرقة باللطائف من الزمان المنقضي الجميل، ومن حاضر يتحول في هنيهات إلى ماضٍ، فتلك نواميس الكون وسنّة سيرورته، وقوانين تطوره.

فسقى الله زماناً امتاز ببراءة النفوس وطيب النيّات، ولطف المعشر، وحلاوة الإلفة، فحفل بمجالس الأنس، ومجامع المسرات، وطرف المسامرات، وإطلاق النكات، وروعة المقابسات، وعمق الإخوانيات، وبلاغة القصائد، وجمال النثيرات، تشهد عليها أشجار السنديان العتيقة التي تضرب جذورها في أعماق أرضنا السمراء منذ آلاف السنين، فعصت على الفناء، وتلك زيتونة شامخة منذ قرون تعانق تينة في أرض اللبن والعسل، فهي على مدى الدهر تظللنا من لهيب الحر، وتطعمنا بعد جوع.

وبذلت الجهد الجهيد لجمع ما تيسّر من تراثنا الشعبي، في النبطية ومحيطها، ليبقى حياً في الذاكرة.

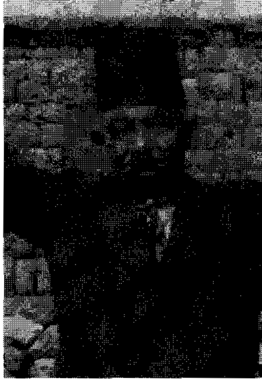
يطلق الغربيون اسم فولكلور (Folklore) على الأدب والشعر والتراث والطرائف والنوادر والمرويات الشعبية.

وهذا ما سعيت إلى تدوينه بين دفتي هذا الكتاب، ولا أدعي بما قمت به الكمال، أو أزعمُ الإحاطة بكل ما هو طريف، فذلك من رابع المستحيلات.

النبطية في ٢٠٠٨/٧/١١

سعيد الصبّاح

١ ـ طرائف الشاعر عبدالله كحيل



الشاعر عبد الله كحيل

يا سِيد! قول: نسري!!

كان الشاعر عبدالله كحيل(*) أحد تلامذة المدرسة الحميدية في النبطية والتي أسسها العلامة السيد حسن يوسف مكي.

في إحدى ليالي الدراسة شاهد الطالب عبدالله كحيل أحد زملائه، وقد استغرق في نوم عميق، وهو مستلقٍ على ظهره، شبه عارٍ، وقد ظهر ما لا يتوجب

(*) أبصر الشاعر عبدالله ابن الشيخ حسن كحيل النور في النبطية عام ١٨٩٠، وتعلم مبادئ الكتابة والخط على والده، وتابع دراسته في المدرسة الحميدية (لرئيسها العلامة السيد حسن يوسف مكي)، واستمر حتى العام ١٩٠٦ حيث ارتحل إلى المكسيك.
في العام ١٩١٠ عاد إلى الوطن بعدما علم بمرض والده.
بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تطوع في سلك الشرطة (البوليس)، وفي مطلع العشرينيات من القرن الماضي عُين كاتباً في بلدية النبطية.
منذ يفاعته ظهرت عليه علائم النجابة والذكاء الحاد، فنظم الشعر الفكاهي، وامتاز بطرافته، وبظرفه، وبحلو حديثه وطلاوته، وبأدبه الرفيع، وبميله إلى النقد اللاذع للواقع، وبسخريته من عجائب الزمن، فأُطلق عليه لقب «ظريف جبل عامل».
حاز إعجاب كامل بك الأسعد، وأمسى جليساً له حتى وفاته، وكان صديقاً حميماً ليوسف بك الزين ومؤنِساً، وكذلك الحال بالنسبة للرئيس رياض بك الصلح والرئيس صبري بك حمادة.
منذ العام ١٩١٠ اضطلع بدور الإمام الشهيد الحسين بن علي في مسرحية كربلاء التي مُثلت مشاهدها في ساحة الامام الحسين في النبطية، وواظب على هذا الدور حتى وفاته في ١٢آب ١٩٥١.
قام بجمع أشعاره وطرائفه في مخطوطة ناهز عدد صفحاتها المئة؛ لكنها فُقدت إثر رحيله.

إظهاره. فتوجه عبدالله إلى بركة الماء الموجودة في باحة المدرسة، وأتى بضفدعة، ووضعها في موضعٍ دون السّرة، فأفاق هذا الطالب مذعوراً، وصرخ بأعلى صوته: «دخيلكم يا ناس فيٍّ إكْلي عمّا تاكلني، الحقوني. . .!!»، فحضر حسن يوسف إثر سماعه صراخ الطالب المذعور، وعبد اللّه كحيل يضحك بملء فمه وهو يخاطب زميله بالقول: «يا سِيد قول: نسري!!».

وعندما علم حسن يوسف أن في الأمر مقلباً ظريفاً تعرض له هذا الطالب أدرك أن وراءه الطالب عبدالله كحيل، فخاطبه مؤنباً: «ما حدا غيرك يا شيطان عمل هالعَملِه!!».

من راس تل الجوزي سمعت حِسّك!!

كان أهالي النبطية والجوار يصعدون في مواسم الأعياد إلى مقام علي الطاهر، ويتخذون من زيارة هذا «المقام» حجة لقضاء أيام تتخللها الاحتفالات المنوّعة، حيث تعقد حلقات الدبكة التي يشارك فيها الشباب والصبايا متشابكي الأيدي «فرخه وديك». وكان يتخلل هذا «السيران» تباري بعض المشاركين في «القول». وحين تبارى شابان، راحت شقيقة أحدهما تردد:

من راس تلِّ الجوْزي طَلّ المحبوبْ

ونْ حَلّوْ انكسر خيّي لَشقّ التوبْ

حين هُزِم شقيق الفتاة التي قالت هذه «القولة» نظم الشاعر عبدالله كحيل «ردةً» جوابية عن لسان شقيقة المنتصر ورد فيها:

من راس تل الجوزي سمعت حِسّك

هيّاكي انكسر خيّك......

ويُحكى أنَّ الحاجة س...، وهي من محازبي أحد الزعماء ـ ومع اقتراب موعد الانتخابات النيابية ـ رفعت صوتها مردِّدةً:

من فوق هاك التلّي شفت المحبوب

واللهِ إن سقط سِيْدي لَشِقّ التوب

وعندما سقط «سِيدها» كانت «رَدَّةٌ» للشاعر عبدالله كحيل:

من فوق هاك التلّي سمعت حِسّك

هيَّاكي سقط سِيدك......

راحوا شوارب أخونا!!

رغب كامل بك الأسعد إلى فضل بك الفضل أن يرسل إلى دار الطيبة شابين لـ «لفّ» سجاير التبغ، فما كان من فضل بك إلا الإتصال بالشيخ حسن كحيل طالباً منه تأمين شابين ليقوما بـ «لفّ» السجاير في دار الطيبة، فسمّى نجله عبدالله كحيل والسيد حسن بدر الدين (وهو صاحب محل للحلويات). فتوجها إلى دار الطيبة حيث أُفرِدتْ لهما غرفة خاصة في «الليوان»، فأخذا يصنعان فيها السجاير، وينامان في الوقت عينه.

في ليلة من الليالي، قام خدم الدار بجلب فراش إلى الغرفة، إثر ذلك دخل رجل طويل القامة، عريض المنكبين، يرتدي كوفيةً وعقالاً، وشارباه معقوفان كقرنَيْ ثور!!

عندما دخل هذا الرجل الضخم لم يلقِ التحية على الشابين، ثم استلقى على الفراش المخصص له، وتلا صلاةً خاتمتها: «يا رب! اغفر لعبدك سمعان». وبعدما أخلد إلى النوم أطلق شخيراً مزعجاً سبّب لهما أرقاً شديداً!!. وتكرر مبيته في الغرفة لياليَ عديدة!! ولما استفسرا عنه علما بأنه «وكيل» على أملاك كامل بك في «الزواطر»، وقد قدم إلى دار الطيبة لأجل تقديم الحساب عن إدارته لهذه الأملاك.

مبيت هذا الرجل في الغرفة سبّب للشابين إزعاجاً شديداً، خاصة أثناء نومه، فخدش شخيره آذانهما!!، فاتخذ عبدالله كحيل قراراً بـ «تهشيل» هذا الرجل الثقيل

الظل، وأعلم رفيقه السيد حسن بهذا القرار، وعندما استفسره الأخير عن الوسيلة المؤدية إلى تحقيق هذا الهدف، أجابه: «بسيطه! بدي قصّللو شواربو!!»، فقال له السيد: «اصطفل منّك إلو!!».

بعدما دخل «الخواجه» سمعان الغرفة، وأخلد إلى النوم بعد تلاوة الصلاة، تناول عبدالله كحيل مقص «الدخّان»، وراح يقص شاربي هذا الرجل!!.

عندما استيقظ سمعان في الصباح الباكر، أمسك بالمرآة ونظر إلى شاربيه، فكانت المفاجأة المذهلة أنه لم يجد لهما أي أثر!! فصُعِق لما حصل!! وعبدالله كحيل يسترق النظر إليه من تحت «اللحاف»، وهو يكتم ضحكة نبعت من أعماق قلبه!!.

فور اكتشافه فقدان شاربيه «العزيزين» توجه نحو السيد حسن، وصرخ به بصوتٍ جهوري: «قوم يا مضروب! قوم! وين شواربي ولاه؟». ثم صفعه صفعة قوية أوقعته أرضاً!!، فحاول عبدالله كحيل الدفاع عنه، لكن دون جدوى، نظراً لمتانة بنية هذا الرجل، ولضخامته، ولطوله الفارع!! فارتأى عبدالله أنه لا سبيل للجم هذا الرجل والنيل منه إلاّ بتمزيق سرواله الداخلي!! فاندفعا إلى القيام بهذا العمل، وقد حالفهما التوفيق، فأصبح «الخواجه» عارياً حتى من ورقة التين!!، فصاح بأعلى صوته: «بدّي شواربي!! بدّي شواربي!!». ثم عمد إلى ذر رماد «المنقل» على وجهي هذين «المشاغبين»، فجنَّب عبدالله كحيل وجهه من عاصفة الرماد التي تناثرت على وجه السيد حسن، فانهمرت دموع الأخير وامتزجت بالرماد!! وعندما علا الصراخ واختلط الحابل بالنابل، أسرع كامل بك إلى هذه الغرفة ليعرف حقيقة ما يجري، فرأى المشهد بكل تفاصيله الغرائبية: سمعان وقد مُزِّق سرواله الداخلي، وقُصّ شارباه، وغطى الرماد المتناثر وجهه!! وهو يصرخ هائجاً: «بدّي شواربي!! بدي شواربي!!». أما السيد حسن فقد انهمرت الدموع من عينيه وغطّى الرماد الكثيف وجهه!! وعبدالله كحيل يرقص فرحاً، وهو يندب شوارب سمعان قائلاً:

راحوا شوارب أخونا
وبقيت مطرحهم قملي
يمكن نتفتهم بالليل
وسَرَقتهم شي نحلي

حين شاهد كامل بك هذا المنظر، أخذ يضحك من صميم قلبه، وعندما سأل سمعان عمن ارتكب هذه الفعلة؟ أشار بإصبع الاتهام إلى السيد حسن، فقرر كامل بك صرفه من العمل فوراً، واستبقى عبدالله كحيل ليتابع عمله في «لفّ الدخّان»، وأمسى نديم هذا الزعيم وأنيس مجالسه!!.

على نفسها جنت براقش!!

بعد دخول الفرنسيين إلى بلادنا حين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، أقاموا مخافر للشرطة (البوليس) في العديد من البلدات الجنوبية، وبينها النبطية.

ضم مخفر النبطية عناصر متطوعة أمثال الشاعر عبدالله كحيل وخليل م. وسواهما، فضلاً عن بعض رجال الدرك الذين خدموا السلطة العثمانية.

كان خليل م. عيناً من أعين قيادة البوليس على زملائه من الأنفار، وقد قام بالمهمة الموكولة إليه أحسن قيام، فرصد تحركات زملائه، وأبلى البلاء الحسن في كتابة التقارير بأي مخالفة قد يرتكبها أحد منهم، فلحق الشاعر عبدالله كحيل الأذى الكثير من هذا العنصر لما كان يخصه به من وشاية لدى مفتش البوليس الذي قدم في يوم من الأيام إلى النبطية للتفتيش على عناصر الشرطة في المخفر، فضلاً عن العسس (كما كان يطلق على الحراس الليليين) التابعين لمخفر النبطية.

يوم قام المفتش بزيارة تفقدية لمخفر النبطية طلب من الشرطي عبدالله كحيل إيقاظه في الساعة الثانية بعد منتصف الليل كي يقوم بتفقد العسس.

في الموعد المحدد توجه عبدالله كحيل إلى الغرفة التي نام فيها المفتش. وعندما اقترب منها سمع تأوهات امرأة، فأخذ يسترق النظر من ثقب

الباب، فشاهد المفتش يضاجع امرأة، فارتد على عقبيه، وخطّطَ ذهنه الوقاد للإيقاع بزميله خليل م. جرَّاء ما ناله منه من وشايات، وبعد تقليب الأمر على أوجه عدة رسم الخطة التالية:

حين حضر المفتش صباحاً إلى المخفر، أنَّب الشرطي عبدالله كحيل جراء عدم إيقاظه، فأجابه: «والله يا سِيدنا! كنت مشغول كتير بالوظيفة لذلك كلفت زميلي خليل ليقوم بإيقاظك في الموعد المحدد، فراح وإجا وهوّي وعم يخبط كفّ على كفّ، وراح يقللي: شفت سعادة المفتش هوي وحرمه متل ما الله خلقهن ونايمين مع بعضهن، يا عيب الشوم على هالمفتش!! ومش بسّ خبرني راح خبّر العناصر كلهن، ومش بس العناصر، خبّر كل صحابو بالنبطية بللي حصل معك، يا ريتني يا سيْدنا! رحت بنفسي وما بَعتّو، يا عيب الشوم شو عمل خليل، يا سواد وجهنا يا سِيدنا!!». فغضب المفتش غضباً شديداً، بعدما استفسر من آخرين، فأخبروه بما أخبره به عبدالله كحيل الذي كان حدثهم بما حصل نقلاً عن لسان زميله خليل. فعمد إلى اتخاذ قرار بنقل الأخير إلى مخفر آخر، فتنفس عبدالله كحيل الصعداء، وكذلك سائر رجال شرطة مخفر النبطية، إذ غادرهم زميل كان يحصي عليهم أنفاسهم!!.

بعدما علم الشرطي خليل م. بالمقلب الذي أوقعه به زميله عبدالله كحيل توجه إليه بالعتاب الشديد، فضحك الأخير ضحكة تختزن قدراً لا بأس به من الشماتة، وخاطبه بالقول: «ليش يا خليل! إنتِ خليت للصلح مطرح، نزلت فيِّ وبغيري ندف تقارير، وما عوفت حدا منا، على كل حال العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم!! وعلى نفسها جنت براقش، مش سامع بها لمتل؟!».

دنّيللي يا بو القمصان دنّي!!

شتاء عام ١٩٢٤ انتقل كامل بك الأسعد لقضاء هذا الفصل في قرية عدلون الساحلية.

خلال إقامته في هذه القرية تحلَّق حوله عدد من «البكوات». وقدم لزيارته الشاعر عبدالله كحيل، وصودف دخول رجل فقير من «عشاير السُقّيْط»، مرتدياً ثياباً بالية، وقميصاً رَثّاً متسخاً!!، وراح يستجدي العطاء من كامل بك وجلسائه، فأثار هذا المشهد الهزلي قريحة الشاعرعبدالله كحيل، الذي تناول إحدى فردتي حذائه ووضعها على كتفه اليسرى، ثم أمسك بعصاً وراح يمررها على الحذاء، مقلداً ـ بهذه الحركة ـ عازف الربابة، وأخذ يُنشد:

دنّـيـلـلـي يـا بـو الـقـمـصـان دنّـي ... وهــاتْ ربــابــتــي تــا دور غــنّــي

قــاصــد زور كــلّــيــةْ الــعــشــايــر ... ومــا فــيــهــن ولا واحــد عــجــبــنــي

أولـهـم «الـلـي بـجـنـب الـعـويـضـي»[1] ... شـوفـوا مـا شْـطـرو بـضـرب الـتـمـنّـي

وتـانـيـهـم «أبـو أحـمـد»[2] يـا روحـي ... مـا بـيـسـوى ولا سـربـوخ عـنّـي

وشـفـتـلّـك «فـضـل بـك» الـمُـبـرطـح ... مـثـل الـضـفـدعـةْ بـوسـط صَـنّـي

وهِـذا «مـحـمـد سـهـيـل الأفـنـدي»[3] ... خـدودو مـحـمّـره كـالـبـولْـجِـنِ

وخـايـفـلـك يـا بـويّ تـدور الـدوره

أدرك كامل بك ما يريد الشاعر قوله في «العجز»، فقام بدفعه ما أدّى إلى

---

(١) اللي بجنب العويضي: محمود بك الأسعد، شقيق كامل بك الأسعد، وكان مسكنه بجانب تلة العويضي المطلة على كفر كلا.

(٢) أبو أحمد: عبد اللطيف بك الأسعد، شقيق كامل بك الأسعد.

(٣) محمد سهيل: محمد بك السُهيل الأسعد، ابن عم كامل بك الأسعد.

سقوط فردة الحذاء والعصا من يده، لكن فعلة «البيك» لم تثنه عن إكمال هذا البيت بالقول:

وتـصـيـرو كـلـكـن عـا فـرد رَنِّـي

قد جئتُ من فرحي بلا طربوشٍ!!

عندما أصيب كامل بك الأسعد بداء عضال كان يرسل في طلب الشاعر عبدالله كحيل كي ينادمه، ويقوم بالترفيه عنه بما لديه من أشعارٍوطرائف ونكات.

ذات يومٍ بعث كامل بك أحد خيالته ليُحضِرَ الشاعر كحيل إلى دار الطيبة من أجل مسامرته. وفي الطريق إلى هذه الدار، استفسر عن صحة كامل بك، فطمأنه الرسول إلى أن «البيك» بألف خير وعافية، عندها نظم قصيدة من وحي هذه «الطمأنة»، جاء فيها:

قـد جـئـتُ مـن فـرحـي بـلا طربـوشٍ
ركـضـاً أتـيـتُـكَ حـافـيـاً بـالـشُّـوشـي

بـيـتـي زهـا طـربـاً ومـاسَ تـألُّـقـاً
مـن بـعـد مـا أمـسـى عـلـى الـبربـوشـي

فـرِحـتْ وغـنّـتْ زوجـتـي وبُـنـيّـتـي
وشـقـيـقـتـاي ووالـدي الـهـرمـوشِ

قـالـت حـمـاتـي وهـي تـرفـعُ صـوتـهـا:
«إويـهـا لـولـولـيـش لـولـولـوشـي»

وأنا بقيتُ من السرورِ كشاربٍ للكأسِ
مــن خـمــرِ الـقــرى مـطــووشِ

وتـركـتُ عـامـلَ والـهـنـا فـي ربـعـهِ
قـد عـمَّ مـن صـلْـحَـا إلـى حـبُّـوشِ

وأبـو شـكـيـبٍ[1] لا يـمـلُّ تـفـكُّـهـاً
وأبـو بـهـيـجٍ صـار كـالـمـقـطـوشِ

وأبـو طـلالٍ[2] صـارَ يـلـعـبُ ضـاحـكـاً
مـن بـعـدِ مـا قـد كـان كـالأشـأوشِ

فـالـلـه قـد عـافـاكَ يـا أمـلـي ويـا
زْوجـي ويـا كـبـدي ويـا كـنـفـوشـي

فـاعـلُ الـحـصـانَ وسرْ إلى صيدِ الظِّبا
وإلـى الأرانـبِ سِـرْ بـلا مـنـكـوشِ

كم جرّةٍ كُسِرَتْ!!

أثناء الحفلة التكريمية التي أقيمت على «حاووز» الماء ليوسف بك الزين(صاحب مشروع جر مياه نبع عين الطاسة للنبطية وجهاتها) التي انعقدت يوم الجمعة ٢٠ آذار ١٩٢٥، ألقيت مجموعة من الخطب والقصائد، ومنها قصيدة للشاعر عبدالله كحيل، وقد قدم لها مُعدّو كراس «عرفان الجميل»[*] بهذه الكلمة:

«(طُرفةٌ) للفكاهي الظريف عبدالله أفندي كحيل، كاتب بلدية النبطية».

ورد في القصيدة:

أفــراحــنــا بــالأمــسِ عــودي
طــربــاً ويــا أرجــاءُ مــيــدي

ودعــي الــمــدامِــعَ وارفُــلــي
يــا هِــنــدُ فــي ثــوبٍ جــديــدِ

(١) أبو شكيب: رشيد يوسف حيدر جابر.

(٢) أبو طلال: محمد علي يوسف حيدر جابر.

(*) عرفان الجميل: كرّاس ضم مجموعة الخطب والقصائد التي قيلت في الحفل التكريمي الذي أُقيم على مستودع الماء في كفرمان للنائب يوسف بك الزين (صاحب مشروع جر مياه نبع عين الطاسة للنبطية وجهاتها). وقد نشرته لجنة الاحتفال وطبعته في مطبعة العرفان في صيدا عام ١٩٢٥.

خَلِّ العيونَ وشأنَها ... فالماءُ في قلبِ الحديدِ
تجري الحياةُ به ولا ... كالنيلِ يجري في الصعيدِ
قد جرَّهُ بطلٌ يفوقُ ... براحتيهِ على الرشيدِ
لولاهُ أشرفنا على الإتـ ... لافِ بالظمأِ الشديدِ
كم جرَّةٍ كُسِرتْ وكم ... سطلٍ غدا يا قومُ مودي
يا خصمُ مُت كمداً وذُبْ ... حسداً فما لكَ من وجودِ
فاللهُ مكَّنَ يوسفاً ... في القبضِ منك على الوريدِ
لا زِلتَ يا بدرَ العُلى ... مثواكَ في بُرجِ السُّعودِ
وعلى المُنيراتِ الكوا ... كبِ ساحباً فضلَ البُرودِ

أنا أديبٌ أخطلي!!

مدح أحد الشعراء كامل بك الأسعد بقصيدة مطولة، لكن مضمونها رديء، فأصيب الزعيم الوائلي بالملل، من المستوى المتدنّي لهذه «المنظومة»، فهمس في أُذن الشاعر عبدالله كحيل قائلاً: «يا عبدالله! دبِّرها وخلصني من هالمزعج»، فما كان من الشاعر النباطي إلا وخاطب هذا الشاعر المدَّاح، وقد تظاهر بالانفعال

الشديد: «هالقصيدي اللي قلتها منحولي!!»، فاستنكر المُخاطَب هذا الكلام!!.

عندها تدخَّل كامل بك مُخاطباً الشاعر عبدالله كحيل بالقول: «إذا كانت هالقصيدي منحولي تفضَّل كفيها!!».

فارتجل الشاعرالنباطي على الفور أبياتاً وفقاً للوزن ذاته، وهي:

أنا أديبٌ أخطلي ... مُدكربٌ مُدعبلي
إذا صرختُ صرخةً ... يخرُّ سقفُ المنزلِ
وإن قفزتُ قفزةً ... أجوزُ نهرَ الأوَّلي
وإن طشوتُ طشوةً ... بَخّورها لا ينجلي
وإن ضرطتُ ضرطةً ... يطيرُ جمرُ «المنقلِ»
وعقلُكُم شُرُمْ بُرُمْ ... وعقلُنا تَرَلَّلي

فما إن سمع كامل بك هذه القصيدة على لسان الشاعر عبدالله كحيل قام بتقريع الشاعر الذي نظم قصيدةً رديئةً في مدحِهِ قائلاً: «شو جايي تمدحني بقصيدي مسروقه من شاعر تاني؟! والدليل على السرقه إنّو عبدالله كفّاها دغري!!».

فأقسم هذا الشاعر أغلظ الأيمان بأنَّ قصيدته غير مسروقة من أحد، بل هي من نظمهِ، لكنَّ هذا الكلام لم يُجده فتيلاً، فخرج من دارة الزعيم الوائلي وهو يجُر أذيال الخيبة!!.

وصفات طبّية(*)

أصيب الطبيب الصحافي أديب أسعد رحّال بالحمى التيفوسية على اثر انتشارها بين الجنوبيين الذين كان يعالجهم، وتردد إليه الأديب [الشاعر] عبدالله كحيل الذي نسب شفاءه لوصفاته الآتية، لا لجهود الأطباء:

وصفة الأربعاء

خُـذ كِـبـةً مـقـلـيـةً مُـحـمّـرهْ
وبـعـدهـا صَـحْـنـاً مـن الـمـجـدّرهْ
وخُـذ عـلـيـهـا جُـرعـةً مـن الـلـبـنْ
ولا تـخـفْ إن كـان سـرّاً أو عـلـنْ
وكـلُّ ذاكَ خُـذهُ مـن عـشـيّـةْ
واحـفـظْ ولا تـخـالـفِ الـوصـيّـةْ
كل مـاسـتـطـعـتَ من لـحـومٍ فـاخرهْ
لا تـلـتـفـتْ لـوصـيّـةِ الـدكـاتـرهْ
لأنَّ بـالـلـحـمِ غِـذاءً لـلـبـدنْ
إيـاك أن تـبـقـى عـلـى شُـربِ الـلـبـنْ

وصفة الخميس

كُلْ ما استطعت من طبيخِ البُرغلِ
وبـعـدهـا حُـلْـواً مـن الـسـفـرجـلِ
ودع حـمـايـةَ الـطـبـيـبِ جـانِـبـا
ولا تـسـل إذا أتـى مُـعـاتـبـا

(*) واردة في كتاب «أوراق مرجعيونية عتيقة، تأليف هنري أبو عزّاج، ص ١٨٣ و١٨٤.

وكِـبّـةٌ بـالـجُـرنِ لا بـأس بـهـا
كُـلـهـا واشـرب حـلـيـبـاً مـعـهـا
ولاَ تـدَعْ مـن كـلِّ شـيءٍ تـشـتـهـي
وكُـلْ كـثـيـراً مـنـه حـتـى تـنـتـهـي

وصفة الجمعة

الـيـومَ كُـلْ خُـبـزاً وضـع فـيـه بـصـلْ
وامـزج بـه شـيـئـاً قـلـيـلاً مـن عـسـلْ
وارقـص ثـلاثـاً بـعـد كـلِّ سـاعـةْ
وقـمـزةٌ فـي مُـنـتـهـى الـوداعـةْ
فـالـرقـصُ لـلـهـضـمِ عـلاجٌ نـافـعُ
وفـيـه لـلـتـصـريـفِ شـيءٌ دافِـعُ

وصفة السبت

لا تـأكـل الـيـوم سـوى لـحـمِ الـبـقـرْ
ولا تـسـل عـن الـطـبـيـب إن شـخـرْ
وهـذه الـحُـمّـى أراهـا ارتـفـعـتْ
عـنـك وذي وصـيـتـي قـد نـفـعـتْ
خُـذ الـكـروشَ كـلّـهـا مـشـويـةْ
ومـعـهـا بـطـاطـةً مـقـلـيـةْ
ونـزّه الـنـفـسَ عـن الـصـبـابـةْ
لأنـهـا فـي مـذهـبـي إصـابـةْ

وصفة الأحد

الأكلُ في هذا النهار تعتعهْ ... وخسّةً طريةً كُلها معهْ
والفول كُلُهُ،أخضرَ مطبوخْ ... بزيتهِ كأنّه صربوخْ
وبعده كاسُ نبيذٍ أحمرْ ... لا شكّ أنّ نفعهُ مسوكرْ
والماءُ باردٌ بكلِّ مرّهْ ... لا بأسَ أن تَشربَ منه جرّهْ

وصفة الاثنين

اليومَ خُذ من الحليب أقّهْ ... اللحمَ كُلهُ بعد أن تدقّهْ
وبعده خُذ مرَقَ الخُرّوبِ ... وفوقه شيئاً من الدحروبِ
البرتقال مُصّ منه مصّهْ ... ولا تدع للغيرِ منه حُصّهْ
وإن أتى طبيبك شيئاً وصفْ ... فاعلم بأنّ قوله من الخرفْ

وصفة الثلاثاء

أراكَ في هذا النهار جيّدا ... جالس به شيخاً وحدّثْ سيدا
ولا تردَّ زائراً أتاكا ... رحّبْ به إن لم يكُنْ علاّكا

القصيده قصيدتنا وأهل النبطية سرقتنا!!...

ذات يومٍ، ذهب الشاعر عبدالله كحيل لزيارة أحمد بك الأسعد في دار الطيبة، وكان برفقته «الوالد» أحمد ابراهيم الصبّاح «أبو سعيد» (المُلقّب بـ«أبو النصر»).

لاحقاً انضم إليهما الشاعر محمد نجيب فضل الله، وهو طويل القامة يرتدي طربوشاً تلتف حوله عمامة خضراء، بينما كان الشاعر عبدالله كحيل قصير القامة؛ وبعد جلسة قصيرة في تلك العشية، توجه الضيوف الى «المضافة» للنوم.

في مطلع فجر اليوم التالي استيقظ الشاعر «أبو فؤاد» ورفيقه «أبو سعيد» على صوت الشاعر المذكور، وهو يستظهر قصيدة مديح للزعيم الوائلي؛ فسأل «أبو سعيد» رفيقه الشاعر الكحيلي عن إمكانية حفظه لهذه القصيدة التي يستظهرها السيد الشاعر؟ فأجابه «أبو فؤاد»: «حاضر أفندم!».

على الفور نهض الشاعر النباطي، وراح يسير خلف هذا الشاعر الذي جال في المضافة ذهاباً وإياباً، وهو يستظهر قصيدته بصوت عالٍ، ولقد استطاع الشاعر كحيل حفظ هذه القصيدة بسرعة. وبعدها تداول ورفيقه بصيغة «المقلب» الذي ينبغي إيقاع الشاعر به في مجلس «البيك» الوائلي!!، فاستقر رأيهما على مبادرة «أبو فؤاد» ـ عندما يلتئم مجلس أحمد بك في الصباح ـ إلى القيام بحركات مثيرة لانتباه «البيك»!!. وبالتالي، فإن صاحب الدار سيسأل عما يشكوه الشاعر النباطي؟، فيجيب «أبو سعيد» عن هذا التساؤل بالقول: إن الشاعر عبدالله كحيل يريد قول قصيدة في مدح سيد الدار، لكنه يشعر بالخجل!!.

عندما التأم المجلس الصباحي لـ«البيك» الأسعدي،قام الشاعر النباطي بحركات لفتت نظر «البيك» الذي سأل مستفسراً: «شو بو أبو فؤاد؟»، فأجاب «أبو سعيد»: «أبو فؤاد عندو قصيده بمدحكم لكنّو مستحي يقولها»، فقال أحمد بك ضاحكاً: «وَلَوْ! أبو فؤاد الدار دارو، تفضل يا شاعرنا سمِّعنا قصيدتك».

بعدها وقف الشاعر عبدالله كحيل على كرسي، وراح يردد القصيدة التي نظمها السيد الشاعر في مديح «البيك» الأسعدي.

عندما استمع الشاعر إلى «أبو فؤاد» ـ وهو يُلقي هذه القصيدة التي قام هو باستظهارها صباحاً ـ أصيب بالذهول، وانتابته خيبة أمل كبيرة، وراح يشد لحيته بقوة وهو يردد بأسى: «القصيده قصيدتنا!! وأهل النبطية سرقتنا!!»، فلفتت هذه الحركات نظر «البيك»، فسأل الشاعر: «شو باك يا سِيد ماني شايفك مرتاح؟ خير إن شاء الله؟»، فأجابه: «ما في شي يا سِيدنا البيك!!، أبداً ما في شي!!».

عندها طلب «أبو سعيد» الكلام، وروى لأحمد بك ما جرى، فأغرق الأخير بالضحك، وأُعجب أشد الإعجاب بهذا المقلب الظريف الذي «ركّبه» ابنا النبطية، وبقدرة الشاعر كحيل على حفظ قصيدة كان يستظهرها ناظمها!! وبسرعة تفوق تلك التي استطاع هذا الناظم فعل ذلك!!.

وجيشكم شُرمْ بُرمْ!!

احتفاء بانتصار جيوش الحلفاء في معركة العلمين أواخر العام ١٩٤٢، دُعي إلى مهرجان في النادي الحسيني في النبطية. قبل التئام هذا الحفل طلب الدكتور علي بدر الدين من الشاعر عبدالله كحيل إلقاء قصيدة بالمناسبة، مخاطباً إياه بالقول: «شو يا بو فؤاد؟ شو مهيئ لهالمناسبه؟!» فأجابه: «يا دكتور! شو بدي قلك: القريحه بهالأيام جامده!!»، فقال له الدكتور: «ولوّ على وزن (صوت صفير البلبل)!! إنتِ قدّها وقدود». فوعده «أبو فؤاد» خيراً.

أُقيم المهرجان في الزمان والمكان المحددين، وكان على رأس الحضور يوسف بك الزين والمستشار الفرنسي في صيدا المسيو برونو، ولفيف من كبار الضباط الإنكليز والفرنسيين الديغوليين، فضلاً عن حشدٍ من أهالي النبطية وجوارها.

أُلقيت في هذا الحفل العديد من الكلمات والقصائد، لكن النجم اللامع في هذا المهرجان كان الشاعر عبداللّه كحيل الذي ألقى هذه القصيدة:

وقـعُ دويِّ القُنبُلِ … هـيَّجَ قلبَ البطلِ
وخاضَ نيرانَ الوغى … وشقَّ قلبَ الجحفَلِ
وقال: يا رومِّلُ دع … ما أنتَ فيهِ وارحلِ
إنّي أنا إسكندرٌ[1] … نارُ الوغى تشهدُ لي
عجِّل وخبِّر هِتلراً … إن كنتَ عنه بِمَعزِلِ
دع موسوليني في … حُزنٍ وسِرْ واستعجِلِ
قد ظنَّ أكلَ المعـ … كرونةِ كامتشاقِ الفيصلِ
ديغول يا ليثَ الوغى … ويا صديقَ تْشْرشِلِ
برونوعزيزي! لقد مددتُ … اليكَ عشرَ الأنمُلِ
فرنسا ما أدراكَ ما … فِرنسا فيها أملي

(١) إسكندر: هو المارشال الكسندر مونتغومري، قائد جيوش الحلفاء في معركة العلمين.

فيها نَظَمْتُ قصائدي
وتلوتُ فيها مِقْوَلي

ولها غدت أبياتُها
تُهدى كحُلوِ البحصلي

أُنظر تجد دبابتي
تموجُ مثلَ الجبلِ

وهذه طائرتي
فوقَ السِماكِ الأعجلِ

فجيشكُم شُرُمْ بُرُمْ
وجيشُنا تَرَلَّلي!!

وكان المترجم يقوم بترجمة كل بيت من أبيات هذه القصيدة،وعندما ألقى الشاعر عبدالله كحيل البيت الأخير، حار المترجم في أمره!! فخاطب المستشار الفرنسي المسيو برونو وسائر القادة بالقول: «آسف إنني لا أستطيع ترجمة كلمات (شُرُمْ وبُرُمْ وتَرَلَّلي) لأنني لا أعرف معناها!!».

...وقمح راح تاكلي يامّ حسين!!

رغب الشاعر عبد الله كحيل «أبو فؤاد» إلى دخيل مخايل شاهين «أبو سميح» ـ وهو من كبار مزارعي التبغ ـ بإعطائه مقدار كيلو غرامين من منتوجه، لكن دخيلاً أبلغه بأن المشرف على زراعة التبغ وقطافه وتوضيبه ـ وهو أرمني ـ متشدّد لجهة تقديم الهدايا، ونصح «أبو فؤاد» كي يحصل على مطلوبه أن ينتحل صفة مفتش في شركة الريجي، وعندها سوف يستجيب للطلب وهو صاغر!!.

توجه الشاعر عبد الله كحيل إلى «مصلحة» زراعة التبغ العائدة لدخيل شاهين، ولدى لقائه بالمشرف، أعلمه أنه مفتش مرسل من قبل إدارة الريجي للكشف على زراعة دخيل شاهين والتدقيق في كل شاردة وواردة فيها، وأنه سيقضي وقتاً غير

قصير في «المصلحة» من أجل إنجاز هذه المهمة التي كلفته بها إدارته، بناء على إخبار زعم فيه مقدمه، أن هناك مخالفات كثيرة فيها؛ لذا جاء ليدقق في مدى صحة هذه المزاعم.

عندما سمع هذا المشرف كلام «أبو فؤاد» ارتعدت فرائصه، وانتابه خوف شديد، وخاطبه بالقول: «جناب مفتش إنتِ شو بيأمر بصير، شو بيطلب نحنا حاضر؟»، فوجدها «أبو فؤاد» فرصة للحصول على ما يريد، بل على أكثر مما كان يرغب الحصول عليه، فطلب من المشرف على «المصلحة» أن يؤمن له خمسة كيلوغرامات من التبغ، فأبدى هذا الرجل استعداده لتأمين الكمية المطلوبة، وقال له: «تكرم عينك يا حضرة مفتش ٥ كيلو، وفوق منو ٢ كيلو، تكرم بابا! تكرم!».

عندما حصل عبد الله على مبتغاه، غادر «المصلحة» بعدما أعلم المشرف عليها بأنه سينظم تقريراً إلى إدارة الريجي يتضمن الإشادة بها وبه، وأنه سيدحض كافة مزاعم «المخبر» حول وجود تجاوزات فيها؛ وبالتالي، لن يقوم بأي كشف، فدعا له «المشرف» بطول العمر، وتمنى عليه تكرار زيارته.

في اليوم التالي جاء «أبو سميح» إلى «المصلحة» فأعلمه «المشرف» بأن مفتشاً من إدارة الريجي يدعى عبد الله كحيل قد حضر للكشف بناء على إخبارية، وأنه كان سيجثم على صدورنا، وقد أفلحت في تلافي شره، عبر إهدائه ٧ كيلو غرامات من التبغ «باب أول».

عندما سمع «أبو سميح» هذا الحديث، جنَّ جنونه، وراح «يلعن الساعة التي قللو فيها عمال حالك مفتش بالريجي»، وأنَّب «المشرف» على فعلته، وبيَّن له بأن «أبو فؤاد» ليس بموظف في الريجي!.

بعدها التقى عبدالله كحيل، وعاتبه على أخذ ٧ كيلو غرامات من التبغ، وليس كيلو غرامين، كما اتفقا قبلاً، خاطبه «أبو فؤاد» ساخراً: «شو بعملك يا خواجه دخيل؟ كنت اعطيني الكيليين، كان انتهى الأمر، بس إنتِ ما حلّيتِ إلاّ دخَّلت الأرمني بالدّق، والله يرحم قايل هالمتل: هالزرعه زرعتك وقمح راح تاكلي يامّ حسين!!».

كلام شيطاني والعياذ بالله!!

في أربعينيات القرن العشرين، طرق باب منزل الشاعر عبدالله كحيل صديقاه هاني الشريف والرضي موسى الرضي، وخاطباه بكلام يبدو في الشكل فارسياً لكنه لا مضمون حقيقي له، فأجابهما بمثل ما خاطباه به، وبعدما ضحكوا من الأعماق، اقترح هذان الصديقان على الشاعر عبدالله كحيل الذهاب إلى زيارة الشيخ علي أكبر، وهو من علماء الدين الإيرانيين المناهضين لشاه إيران، وقد استقر في النبطية هرباً من اضطهاد عرش الطاووس له.

تم توافق الأصدقاء الثلاثة على التوجه إلى مكان إقامة هذا العلامة المجاهد، وأن يتولى «أبو فؤاد» مخاطبته بكلام فارسي شكلاً!!.

بعد توجههم إلى منزل العالِم الشيخ استقبلهم بالترحاب، وعند جلوسهم خاطبه الشاعر عبدالله كحيل بهذا الكلام الذي يبدوفي ظاهره فارسياً، لكنه في حقيقة الأمر ليس كذلك!!.

حين استمع الشيخ علي أكبر للشاعر عبدالله كحيل وهو يخاطبه بهذا الكلام الغريب العجيب، قال وهو مستغرق بالضحك: «هذا ليس بلسان فارسي!! بل هو كلام شيطاني!! والعياذ بالله!!».

رياسة صبري للمجالس عادةٌ

في أربعينيات القرن الماضي خاض أحد النواب معركة رئاسة المجلس النيابي في مواجهة الرئيس صبري بك حمادة.

عندما فاز صبري بك كان للشاعر عبدالله كحيل هذه القصيدة:

رياسةُ صبري للمجالس عادةٌ
توارثها عن أهلهِ، عن جدودهِ

ولا عجبٌ أن يربح الصوتَ دائماً
وقد أصبح النوابُ أدرى بجودهِ
ومن عجبٍ كيف انبرى قِرْدُ عاملٍ
يناوئ أشبالاً بقِزمِ قرودهِ؟!

شو الجنّ نشل الربع؟!

عندما دخل الشاعر عبدالله كحيل إلى المقهى لم يكن لديه من نقود إلا مبلغ ٢٥ قرشاً لا غير.

حين باشر لعب «الورق» جلس إلى جانبه المفوض سعيد رضا «أبو محمد» الذي أخذ هذا المبلغ من جيبه، ووضع مكانه قرشاً واحداً!!.

بعدما انتهى الشاعر عبدالله كحيل من لعب «الورق» توجه نحو ملحمة الحاج درويش كلوت لشراء كيلو غرام من اللحم، وأثناء توضيب صاحب الملحمة كمية اللحم المطلوبة مدّ «أبو فؤاد» يده إلى جيبه كي ينقده ثمنها، وهو ٢٥ قرشاً، وكم كانت دهشته عظيمة عندما لم يجد إلاّ قرشاً واحداً!!، فغادر الملحمة وعاد تواً إلى المقهى، وتوجه نحو«أبو محمد» طالباً إليه رد المبلغ الذي انتزعه من جيبه!!، وأعلمه بأنه قد اكتشف لعبته، فما كان من الأخير إلا وأنكر إنكاراً قاطعاً أن يكون قد أخذ هذه القطعة النقدية التي كانت في جيب «أبو فؤاد» الذي أجابه: «ما أخذت الربع ليره من جيبتي فهمنا!! بسّ مين حط القرش بجيبتي؟ شو في جن أخذ الربع وحط الفرنك بدالها؟ أوعى يكون يا بو محمد الجن نشَل من جيبتك القرش وحط الربع بدالو وإنتِ مش عارف!! خلينا نفتش بجيوبك لنشوف؟!!». وهنا قام المفوض سعيد رضا بإعادة القطعة النقدية التي أخذها من جيب «أبو فؤاد»!!، وهو يضحك من هذا «المقلب» الذي أوقعه بصديقه «أبو فؤاد»!!.

كلام فارسي بالشكل!!

حين زار السفير الإيراني في لبنان العلاّمة الشيخ محمد تقي صادق في منزله بالنبطية أواخر العام ١٩٤٦، أرسل العلاّمة المذكور وراء الشاعر عبدالله كحيل، وعندما حضر «أبو فؤاد» خاطب الشيخ محمد تقي ضيفه بالقول: «بدّي عرّفك يا سعادة السفير على أفندي يجيد اللغة الفارسيه التي تعلّمها من دون معلم!!. وبعد ترحيب من السفير الإيراني بهذا الشاعر المُجيد للغة بلاده!!، أخذ «أبو فؤاد» ناصية الحديث، ونطق بكلام ظهر للبعض أنه فارسي!!، واستفاض في خطابه، وأخذ يرفع كلتا يديه إلى الأعلى، ويتمايل يَمنة ويَسرة، ويضرب الأرض بقدميه، ويرفع صوته ويخفضه!!؛ فما كان من الشيخ محمد تقي صادق إلا الإغراق بالضحك، لأنه أدرك ـ وهو المتضلّع من اللغة الفارسية ـ أنّ هذا الكلام لا معنى له ولا مضمون!!.

وعندما أنهى الشاعر عبدالله كحيل خطبته «العصماء» خاطب السفير الإيراني ممازحاً: «كيف لقيت هذا الكلام؟ إن شاء الله عجبك؟!!»، فأجابه السفير: «إن هذا الرجل الظريف يتكلم الفارسية بالشكل، لكن لا معنى لكلامه على الاطلاق!!».

طارت القهوي وطلبها!!

كان الشاعر عبدالله كحيل «أبو فؤاد» يلعب في المقهى لعبة «الخمسميه» ونافسه فيها «أبو عكرمه»، وقد استطاع «أبو فؤاد» إنزال خسارة بهذا المنافس، فما كان منه إلا الصعود إلى سطح طاولة اللعب، وأنشد هذا البيت الموَجّه إلى الخاسر:

طارت القهوي وطلبها والعيون العسليه
قومْ أمشي انقلع برّا مشّ زبون الخمسميه

ضحاك بِعِبَّك!!

قامت وزارة الأشغال العامة في العام ١٩٥٠ بتوسيع مدخل النبطية الشمالي.

اقتضى هذا الأمر اقتطاع أجزاء من العقارات المحاذية لهذه الطريق، ومن ثم دفع التعويضات لأصحاب هذه العقارات المشيدة عليها بيوت آهلة بالسكان، وكانت قيمة التعويض المحددة للشاعر عبدالله كحيل ٦٠٠٠ ليرة، بينما تقرر صرف مبلغ ١٢٠٠٠ ليرة كتعويض لمنزل المرحوم الأستاذ محمد جابر، وهو مجاور لمنزل «أبو فؤاد»، فذهب الشاعر عبدالله كحيل يشكو أمره إلى رئيس مجلس الوزراء رياض بك الصلح، الذي اتصل بوزير الأشغال العامة أحمد بك الأسعد بشأن الموضوع، فأعلم الرئيس الصلح الشاعر كحيل بأن التعويض المقرر له قد رُفع إلى مبلغ ٨٠٠٠ ليرة، فأصر «أبو فؤاد» على حقه بتعويض مماثل لذلك الذي دفع لأصحاب المنزل المجاور، فعاود الرئيس الصلح الاتصال بأحمد بك، وبعد حصوله أخبره الرئيس الصلح أنه نجح برفع قيمة هذا التعويض إلى ١٠٠٠٠ ليرة، لكن هذا الشاعر الفكه تمسك بحقه بالحصول على تعويض مقداره ١٢٠٠٠ ليرة، بالتمام والكمال!! وإزاء تشبث «أبو فؤاد» بهذا الحق، كرر الرئيس الصلح التواصل مع الوزير الأسعد، وإثره أعلمه بالموافقة على دفع مبلغ ١٢٠٠٠ ليرة، وخاطبه قائلاً: «ضحاك بعبكْ يا عبدالله! جبنالك ١٢٠٠٠ ليرة وحبة مسك!!». فما كان من «أبو فؤاد» إلا ورفع الطرف الأعلى من «جاكيتته» ودسّ رأسه تحته، وراح يُطلق ضحكة عالية!! فما إن شاهده الرئيس الصلح ـ وهو في هذا الوضع ـ حتى أغرق في الضحك!!.

٢ ـ إخوانيات المشايخ الشعراء[*]



من اليمين إلى اليسار: الشيخ عبد الحسين صادق، الشيخ سليمان ظاهر، الشيخ أحمد رضا والشيخ محمد رضا الزين.

نسيَ الرِضا...!!

للقهوة موقعها الرفيع في قلوب العلماء العامليين، ففي الوقت الذي يُلَذُّ أحدهم باحتسائها، وما إن يرشف من كأسها حتى تنسكب اللذة كلمات تسري من فوق الشفاه: شِعراً فيه جمال البن وحلاوة مجلسه. وهذا فريق من العلماء يتفقون على القيام بنزهة يوم جمعة في المئذنة، ومن بينهم الشيخ محمد رضا الزين الذي ذهب إلى حبوش مساء الخميس على أن يوافيهم صباح الجمعة إلى المئذنة، لكنه اضطر للخلف بوعده، فداعبه الشيخان أحمد رضا وسليمان ظاهر بقصيدة ضمّناها أبياتاً فضّلا فيها الشاي على القهوة، باعتبار الشيخ محمد رضا الزين من المغرمين بها.

(*) نقلاً عن كتاب الدكتور حسن محمد نورالدين «مطارحات شعرية».

قال الشيخان:

نسيَ الرِضا عهداً مضى وإخاءَ
أمحمدٌ[١] إفرض عليه جزاءَ

لم يَذْكرْ أنساً لنا في مجلسٍ
قد طاب ماءً سلسلاً وهواءَ

لو كنتَ شاهِدَنَا ومجلسَ أُنسنا
جمَعَ الغِناءَ وروضةً غنّاءَ

فالماءُ منسابُ الجداولِ قد حَكَى
كفّاً لـ«يوسفَ»[٢] إذ تفيضُ سخاءَ

والشايُ يُجلي في الكؤوس كأنّما
منه نُديرُ سُلافةً صهباءَ

هو درةٌ بيضاء لمَّا خُدِّرتْ
برزت إليكَ عتيقةً حمراءَ

لا كابنةِ البُنِّ التي تشتاقُها
وتهيمُ فيها غدوةً ومساءَ

شتان بين سوادِها وضيائِهِ
ضلَّ الذي بدُجَى يقيسُ ذُكاءَ

وما إن وصلت القصيدة إلى الشيخ محمد رضا الزين حتى بادر إلى الردّ بقصيدة، منها:

لم أنسَ للخِلِّ الوفيِّ إخاءَ
وأنا الذي يولي الصديقَ صفاءَ

(١) محمد: الشيخ محمد بيطار.
(٢) يوسف: يوسف بك الزين.

هم معشري والفضلُ ناسَبَ بيننا
والشايُ أحدثَ فرقةً وجفاءَ

نظموا القريضَ بمدحهم وحدا بِهِمْ
لِلبُنِّ ذمٌّ طبَّقَ الأنحاءَ

وأنا العميدُ بقهوةٍ بُنِّيةٍ
لطُفت فأهدت رونقاً وبهاءَ

ماءُ الحياةِ بشربها أهدت لنا
والشايُ يُهدي حُرقةً وبلاءَ

ما عابها لونُ السوادِ لأنها
كالخالِ زاد محاسناً ورواءَ

وبعد أن تفاخر كل بقصيدته، رأوا التقاضي إلى العلامة الشيخ عبد الحسين صادق الذي قضى بينهم بقصيدة طويلة جمع فيها بين مدح الشاي وذمِّه ومدح القهوة وذمِّها(*):

هَاجَ الْغَرامُ مَشَائِخَا أُدَبَاءَ
فَصَبَوْا وكلّ لِلتَّصَبُّبِ فَاءَ

مِنْ بَعْدِ مَا هَجَمَ الْقتيرُ بِبَازِهِ
فَأَطَارَ أَغْرِبَةَ الصِّبَا عَنْقَاءَ

عَادوا لِحانَاتِ الْهَوى فَتَعَاقَروا
أَقْداحَهَا عَادِيَّةً صَهْبَاءَ

ذا يَحْتَسي حَضَرِيَّهَا الْقَانِي وَذَا
يَتَرَشَّفُ الْبَدَوِيَّةَ السَّمْراءَ

(*) أُخذ النصّ الكامل لهذه القصيدة من ديوان «سقط المتاع»، شعر العلامة الشيخ عبد الحسين صادق، ص ٣٤٧ إلى ٣٥٦.

كَانوا مَعاً فَتَجَاذَبوا رَبْطَ الْهَوى
فَتَنَازَعوا، فَتَشَتَّتوا أَهْواءَ

رَكِبُوا مُتونَ مُيولِهِمْ فَجَرَتْ بِهِمْ،
جَرْيَ الْعَواصِفِ، لا تَمُرُّ رَخاءَ

حَقِبوا الْقُلوبَ مَزاوِداً لِهَواهُمْ،
وَمِنَ النِّياطِ، لَوَوْا عَلَيْهِ وِكاءَ

يَعْدونَ، وَلَكِنْ عَدْوَةً لُجِّيَّةً،
لَمْ يُبْصِرُوا أَرْضاً بِهَا وَسَمَاءَ

حتَّى إذا أعْيَاهُمُ دَلَجُ السُّرى
وَإِلَى الْمَبَاءَةِ أُلْجِئوا إلْجَاءَ

نَزَلُوا، وَلَكِنْ لِلْخِصامِ، تَنوفَةً
قَفْرَاءَ، مِنْ رِيفِ الْوِئَامِ، خَلاءَ

كُلٌّ، يَجُرُّ لِقُرْصِهِ نِيرانَهُ،
وَلِحَوْضِهِ، يُدْلِي دِلاً ورِشَاءَ

يَقْضِي لَهُ وَعَلَى سِواهُ بِمَا يَشا
لَكَأَنَّمَا فَصْلُ الْقَضَا مَا شَاءَ

أَلْقَوْمُ عَذْرِيُّونَ إلاَّ أَنَّهُمْ
لا عَزَّةً عَشِقوا، وَلاَ عَفْراءَ

ذا عَاشِقٌ شَاياً، وَهذَا قَهْوَةً،
لاَ ظَلْمَ حَسْناءٍ وَلآ صَهْبَاءَ

كُلٌّ، لَهُ وَعَلَيْهِ، ساطِعُ حُجَّةٍ،
أجْلَى مِنِ ابْنِ جَلاً سَناً وضِياءَ

محاسن الشاي

مَا الكاسُ فيهِ الشَّايُ مَسْكوباً سِوَى   جَلْوا سَماءٍ تَسْتَقِلُّ ذُكاءَ
بِمُذابِ عَنْدمِهِ صَبَا شِرِّيبُهُ   فَحَنى عَلَيْهِ بُكْرَةً وعِشاءَ
يَجْنيهِ شَهْداً، يَجْتَليهِ جُمَانَةً،   يَحْويهِ تِبْراً، يَحْتَسيهِ طِلاءَ
وَيَسوغُهُ أَزْكَى شَذىً مِنْ عَنْبَرٍ،   وَأَرَقَّ مِنْ مَاءِ الْعُذَيْبِ صَفاءَ
مُتَطَوِّرُ النَّزَعَاتِ، مُدَّةَ عُمْرِهِ   وَبِكُلِّهَا لَمْ يُخْطِئِ الْحَسْناءَ
هُوَ سُنْدُسٌ بَدْءاً، وَوَشْيٌ مُحَبَّرٍ   وَسَطاً، وَقَاني الأُرْجُوانِ نِهَاءَ
أَوْ شِيحَةٌ طِفْلاً، وجُنْبُذُ وَرْدَةٍ   شَيْخاً، وَزَهْرُ بَنَفْسَجٍ أَثْنَاءَ
أَوْ يَانِعُ الرُّطَبِ الجَنِيِّ تَعَقَّبَتْ   حَمْراؤُهُ الصَّفْراءَ والْخَضْراءَ
إِبْريقُهُ، فَوْقَ السَّماوِرِ غَالِياً،   حَبْرٌ بِصَوْمَعَةٍ يَهُذُّ دُعاءَ
أَوْ خَاطِبٌ، مُتَسَنِّمٌ أَعْوَادَ مِنْبَرِهِ،   يَفوهُ فَيُخْرِسُ البُلَغَاءَ
أَوْ طَائِرُ القُمْرِيِّ، فَوْقَ أَراكَةٍ،   بَسَقَتْ يُرَجِّعُ صَادِحاً شَدَّاءَ

أَوْ مَعْبَدٌ، نُصِبَتْ لَهُ أَعْوَادُهُ،   فَانْصَاعَ يُعْلِنُ بِالْقَريضِ غِنَاءَ
لَكَأَنَّ مَجْلِسَ شُرْبِهِ فَلَكٌ، وأَكْؤُسَهُ   نُجومٌ تَرْجُمُ الْجُلَسَاءَ
أَوْ رَوْضَةٌ عَبَثَ النَّسيمُ بِزَهْرِهَا   فَتَنَاثَرَتْ أَوْرَادُهَا أَنْحَاءَ
أَوْ قُرْطُ مَارِيَةٍ تَذَبْذَبَ راقِصاً   فَأَرْفَضَّ لُؤْلُؤَةُ الرَّطيبُ سَواءَ

مساوىء الشاي

اللـه مَا هَذا الْغُلُوُّ بِأَحْمَرٍ   عِلْجَاً، إذ اسْتَنْطَقْتَهُ، فَأْفَاءَ
الشَّايُ لَيْسَ سِوَى رُعافِ سَماوَرٍ   مِنْ أَنْفِهِ الْمَزْكومِ صَبَّ دِماءَ
وَغُسَالَةُ الْقَلْبِ الْقَريحِ بِكُوبِهِ   نَضَخَتْ فَأَتْرَعَتِ الْكُؤوسَ قَذاءَ
والنُّطْفَةُ الأَمْشاجُ مِنْ عَلَقٍ وَمِنْ   فَوْحِ الْحَميمِ تَخَلَّقَتْ حِرْبَاءَ
حَمْرَاءَ آونَةً وَصَفْرا آنَةً   أَخْبِثْ بِهَا حَمْراءَ أَوْ صَفْراءَ
تَسْوَدُّ مَا غلَبَ النَّجيعُ مِزاجَهَا   وَإِذا الْمِزاجُ عَلا بَدَتْ صَهْبَاءَ
وَلَرُبَّما طَفَتِ الرَّواسِبُ في قَرارَتِها   بِهَا فَتَشَكَّلَتْ رَقْطَاءَ

هُوَ جَمْرَةٌ ذابَتْ بِماءٍ جَامِدٍ   أعْجِبْ بِجَمْرٍ غَضاً تَبَوَّأَ مَاءَ

كَمْ فَتَّ في عَضُدٍ، وفَتَّتَ مُهْجَةً،   وَصَلَى بِجَذوَةِ نَارِهِ أَحْشَاءَ

يَحمومُهُ بِئْسَ الشَّرابُ لِشارِبٍ   يَشْوي الْوُجوهَ ويَقطَعُ الأَمْعاءَ

لَوْ لَمْ تَكُنْ كُلُّ الطِّباعِ تَمُجُّهُ   لَمْ يتَّخِذْ، لِقَبُولِهِ، شُفَعَاءَ

لَولاَ نَقاءُ إنائِهِ، وَحَلاءُ   سُكَّرِهِ، لَبَاءَ بِإِثْمِهِ وتَناءَى

لَيْتَ الذينَ تَصَبَّبوا فيهِ لَوَوْا   عَنْهُ الْعِنَانَ تَرفُّعاً وإِبَاءَ

عَهْدي بِهِمْ كَانوا الذُّؤَابَةَ لِلتُّقَى   والزَّاهِدينَ النُّسَّكَ، الصُّلَحَاءَ

□ محاسن القهوة

قَذَفوا العَرِيقَةَ بِالفَخارِ، كَريمَةَ   الْحَسَبَيْنِ، والْحُورِيَّةَ الْعَذْرَاءَ

وتَنَاقَلوا هَجْوَ ابْنِهَا، لَكِنَّهُمْ   خَافوا الرَّقيبَ، فَأَوْمَأوا إِيمَاءَ

حَاكُوا لَهَا ثَوْباً يُحاكِي لَوْنَهَا   الدَّاجِي تَسَدَّى خِزْيَةً وَهِجاءَ

جَرُّوا عَلَيْهِمْ، وَالْجَريرَةُ مِنْهُمُ   أَلْفَيْ جَريرٍ شَاعِراً هَجَّاءَ

أَمَمٌ تَدينُ بِحُبِّهَا لَمْ يَسْتَطِعْ   قَلَمُ الْحِسابِ لِعَدِّهَا إِحْصَاءَ

أقْنومُهَا ذاكَ الْمُقَدَّسُ دُمْيَةٌ   يَسْتَعْبِدُ الآبَاءَ وَالأَبْنَاءَ

أَتَجافياً عَنْ حُرَّةٍ لَمْ يَمْلِكِ الْحُرُّ   الْكَريمُ لَها قِلًى وجَفاءَ؟

هيَ، مَنْ عَلِمتَ، سَليلةُ الْعَرَبِ الأُلى   يَتَساجَلونَ دِلاءَهُمْ أَكْفَاءَ

خُضْرُ الْجُلودِ، فَلَمْ تُعَرِّقْ فيهِمُ   حُمْرُ الأَعاجِمِ، جِلْدَةً بَرْصاءَ

وتَعُدُّ مِنْ أَبْنائِهَا عَمْرَ بْنَ   كُلْثُومٍ ومِنْ أُمَّاتِهَا الْخَنْساءَ

عَرَبِيَّةٌ، وَالْعُرْبُ أَقْرَى النَّاسِ   أَضْيافاً،وَأَطْلَقُهُمْ يَداً وَحِباءَ

وَكَريمَةٌ لِوُفودِهَا، طَابَتْ قِرىً،   والطِّيبُ لاَ يَتَجاوَزُ الْكُرَمَاءَ

فَعَلَى مَصَالي نَارِهَا تَجِدُ الْوَرى   يَتَسايَلُونَ: جُنادِلاً وَحَصاءَ

وَإِلَى الصَّلاةِ تَدُقُّ في نَاقُوسِهَا   صُبْحاً، ضُحىً، ظُهراً، مَساً، وَعِشاءَ

لَمَسَتْ أكُفُّ الْجَاهِلينَ مَقَامَهَا   فَتَظَاهَرَتْ مِنْ لَمْسِهِمْ دَهْمَاءَ

لاَ تَبْتَئِسْ بِحَديثِ مَنْ يُزْري بِهَا   إِنَّ الْحَواسِدَ تَخْلُقُ الإِزْراءَ

لَوْ لَمْ تَكُنْ عَيْنُ الْحَيَاةِ مُحَاطَةً / بِسَوادِهَا بَرزَتْ، إذاً، عَوْراءَ

وَعَقَارِبُ الأَصْداغِ لَوْلاَ لَوْنُهَا / لَمْ تَدْرِ مِنْهَا اللَّسْبَةَ الْحَلْواءَ

وَالْخَالُ، لَوْلاَ أَنَّهُ هُوَ نُقْطَةً / مِنْ مِسْكِهَا، مَا عَبَّقَ الأرْجَاءَ

هِيَ مُرَّةٌ، لَكِنَّهَا أرْيُ الْجَنى / لِمُفَكِّرٍ يَتَبَحَّرُ الآرَاءَ

سِيطَتْ بِمُقْلَتِهِ، وَحَبَّةِ قَلْبِهِ / فَرَأَى الأُمورَ وَأَبْصَرَ الأَشْيَاءَ

□ مساوىء القهوة

غُفْرَانَكَ اللَّهُمَّ، لَيْسَ الْقَهْوَةُ / الْسَّوْدَاءُ إلاَّ الْقَيْنَةَ الْذَّفْراءَ

حَمْقَاءُ، ذاتُ طَبيعَةٍ نارِيَّةٍ، / غَضْبَى تَفورُ فَتَقْذِفُ الأمْعَاءَ

لاَ تَسْتَقِرُّ تَغَيُّظاً إلاَّ إذا / رَقَصَ الإناءُ بِهَا فَراحَ وجَاءَ

بِالْعُرْبِ تُلْصِقُ نَفسهَا، وَالْعُرْبُ مِنْ / إلْصاقِهَا يَتَنَصَّلونَ بَراءَ

أيَّ الْجَمَالِ رَأى بِهَا الصَّابِي بِهَا: / أَمَلاحَةً، أَوَضَاءَةً أجَلاءَ؟

أَمْ قُوَّةً، وَهِيَ التي تُوهِي الْقِوَى، / وتَهُدُّ مِنْ صَرحِ الشَّبابِ بِناءَ؟

كَمْ أسْمَرٍ، صَدْقِ الْكُعُوبِ، مُقوَّمٍ / ، مِنْهَا، اسْتَمَدَّ تَقَوُّساً وَحَناءَ

كَمْ أجْدَلٍ، مِنْهَا، دَنَا فَأَعَادَهُ / ذاكَ الدُّنُوُّ نَعامَةً فَتخَاءَ

حَلاَّلَةٌ مِنْ عَزْمِهِ ثَبْتَ الْعُرى، / نَحَّاتَةٌ مِنْ صَلْدِهِ الصَّمَّاءَ

مَا واصَلَتْهُ، لَيلَةً، إلاَّ / وأصْبَحَ واصِلاً وَكَراهُ رَاحَ الرَّاءَ

□ الحكم

هذي الصِّفاتُ مَثالِباً ومَناقِباً / تُلِيَتْ عليكَ مَدائحاً وهِجاءَ

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ، أَنْتَ، مَا يَحْلو لَهَا / لا مُلْجَأً قَسْراً وَلاَ مُفْتَاءَ

وَإلَيْكَ عَنّي، لاَ تَسُمْنِيَ لِلْقَضا، / فَأَرَى الْوَرى أوْ نِصْفَهُ أعْداءَ

كُرْهُ الْقُضَاةِ جِبِلَّةٌ، وَغَريزَةٌ / لِلأَخْسَرَيْنِ: حُكومَةً وقضاءَ

مَنْ يُوجِرُ الْحَقَّ الأَمَرَّ فَعَاذِرٌ / لِمُلِدِّه أنْ يَنْصُبَ الْبَغْضَاءَ

مَا حِيلَةُ الْقَاضِي، وَأَيَّةُ وِجْهَةٍ / يَنحو، فَيُرضِي اللهَ وَالْخُصَمَاءَ؟!

إنَّ الْقُضَاةَ ثَلاثَةٌ هَلْكى وَنَاجِيهِمْ / يَنوءُ بِعِبْئِهِ إعْيَاءَ

فَالْبُعْدُ عَنْ دارِ الْحُكُومَةِ وَالْقَضا ... أحْجَى وَأَنْجَى مَنْزِلاً ومَبَاءَ

وَعَلَيْكَ بِالْمَعْصُومِ، وَهْوَ الْعَقْلُ، ... فَالْعَقْلُ السَّلِيمُ يُطَابِقُ الإيحاءَ

ذَاكَ الرَّسولُ الْبَاطِنيُّ يُميطُ، عَنْ ... وَجْهِ الْحَقيقَةِ، سُدْفَةً وَغَطاءَ

لَمْ يَكْتَرِثْ، وَالْحَقُّ كَفَّةُ حُكْمِهِ، ... أنْ يُحْفِظَ الْعُظَماءَ وَالزُّعَماءَ

مُرُّ الْحَفيظَةِ، مَا حَلا طَعْماً، وَلاَ ... لاَنَ اللَّمِيسُ تَقِيَّةً وَرِيَاءَ

صَعْبُ الْمِراسِ، شَدِيدُ عَارِضَةِ الْهُدى ... لاَ يَرْعَوي، أَوْ يَكْشِفَ الْغَمَّاءَ

عَدْلُ الْحُكومَةِ لاَ تَهُزُّ عَواصِفُ ... الشُّبُهاتِ مِنْهُ صَعْدَةً سَمْراءَ

يَقْضِي، وَطَوْعُ يَمينِهِ فَصْلُ الْقَضا، ... لاَ جَائِراً جَنِفاً ولا عَدَّاءَ

لَيْسَ الصَّديقُ صَديقَهُ، أوْ يَرْعَوي ... لِلْحَقِّ، لاَ مُسْتَنْكِفاً أَبَّاءَ

وَإِخالُهُ يَقْضي، عَلَى الإثْنَيْنِ، ... بِالنَّفْيِ الأَبِيدِ عُقوبَةً وجَزاءَ

عَمَلاً بِأَيْسَرِ مَا يُجازَى مُفْسِدٌ ... عَكَرَ الْبَسيطَيْنِ: الثَّرى وَالْماءَ

أَلضَّرْبَةُ الْكُبْرى عَلَى الْمُثْري، هُمَا ... لا يُبْقِيانِ لَهُ ثَرىً وَثَراءَ

٣ ـ أمّا خوش مدير!!

من أهالي النبطية رجل ظريف وخفيف الظل، وسريع النكتة؛، يدعى سليمان. . .، وكان كثير «التفقيع». إذ في الصباح الباكر كان «يتروّقْ» مقدار أوقية من الأرزّ النيء كي يستطيع إطلاق «فقعاته» المدوية!!.

حين عيّنت السلطة الفرنسية المنتدَبة إبراهيم. . . مديراً لناحية النبطية في العام ١٩٢٥ قام بجولة تفقدية لحي السراي، فشاهد عند تجواله سليمان، الذي تظاهر بأنه يعاني آلاماً في معدته!!

وراح «يتمعمل» على الأرض وهو يصرخ: «دخيلك يا مدير بطني!، يا مدير راح موت!، دخيلك ملِّس عليي بصحّ!، دخيلك!!». فمرت هذه الحيلة على المدير وراح «يملِّس» على معدة سليمان. . .الذي بادر إلى إطلاق ٢١ «مدفعاً» من العيار الثقيل، ترحيباً بسعادة المدير الذي استشاط غضباً من هذه الفِعلة الشنعاء!! ونادى رجال «الجندرمة» كي يقتادوه إلى السجن، عقاباً له على فعلته هذه!! وبينما هو مسوق إلى السجن صاح بأعلى صوته: «أما خوش مدير!! سكَّرتوا بواز العَالَم، بدكن تسكّروا طيا. . .!!».

٤ ـ طلع العدل متل الفواخري

في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ جرى انتخاب المجلس البلدي للنبطية، وقد تنافست لائحتان، الأولى ترأسها علي حسين الصبَّاح «أبو حسين»، والثانية دعمها تحالف ضمّ الشيخ أحمد رضا والدكتور بهجت ميرزا.

أسفرت المعركة عن فوز اللائحة الأولى بأكملها، وتم انتخاب «أبو حسين» رئيساً للمجلس البلدي ومحمود طه «أبو شفيق» نائباً للرئيس.

في صباح اليوم التالي دعا محافظ الجنوب الشيخ كسروان الخازن الحزبين إلى لقائه.

حين التقى الفريق الخاسر المحافظ تحدث باسمه الشيخ أحمد رضا الذي قدم احتجاجاً على التدخلات السافرة التي أقدم عليها موظفو الدولة لمصلحة اللائحة المنافسة. وختم كلامه بالحديث عن غياب العدل في تعامل الادارة مع اللائحتين المتنافستين، إذ حصل انحياز سافر لمصلحة اللائحة الرابحة!!.

هنا انفعل الشيخ كسروان الخازن، نظراً لأنّه قد أشرف على العملية الانتخابية بنفسه، وحرص على التزام الموظفين للحياد التام، فما كان منه إلاّ مخاطبة الشيخ أحمد بالقول: «ويش عم تحكي يا شيخنا؟! عم تحكي عن العدل؟ العدل اندفن تحت التراب، وقبرو تحت إجري!!».

وضرب الأرض برجله، وقد بدت عليه علامات الغضب الشديد!!.

عندها أراد الشيخ أحمد ترطيب الأجواء سائلاً الشيخ كسروان: «يا سعادة

المحافظ! العدل اللي قلت إنو مات، دخلك شو كان دينو؟ ومين صلّى عليه شيخ أو خوري؟».

بعدما سمع المحافظ كلام الشيخ، بدا الانشراح على محياه، وأطلق ضحكة مدوية، وخاطب الشيخ أحمد بالقول: «يا شيخنا! العدل متل الفواخري طلع لا دنيا ولا آخره!! لا صلى عليه شيخ ولا قدس عليه خوري!!».

٥ ـ فكاهات السيد عبدو خلف

ولوّ يا حجّي عمتقولي القط موثوق؟!



السيد عبدو خلف

قامت زوجة السيد عبدو خلف(*) بسكب اللبن في الجرة، المُعدّة لـ «المخيض» ـ التي يطلق عليها اسم «الخضّاضة» ـ وراحت تخضّها حتى تمت عملية فرز الزبدة عن اللبن الذي تصنع منه «البليلة» (وهي مزيج من هذا اللبن الخالي من الدسم والسميد)، فقامت الزوجة بوضع الزبدة في النملية، لكن القط الشقي «عنتر» تسلّل إلى مكان الزبدة، ولعقها عن بكرة أبيها!!، وعندما تفقد السيد عبدو الزبدة اكتشف أنها تبخرت!!، وحين استفسر زوجته عن سبب فقدانها أجابته: «أكلها القط يا رجّال لأني تركت باب النمليه مفتوح!!»، فاستغرب فعلتها وخاطبها قائلاً: «لماذا تركتِ باب النمليه مفتوحاً؟ وما

(*) ولد عبداللطيف خلف (المعروف بـ«السِيد عبدو خلف») في بلدة شقراء سنة ١٨٥٩، وهو متحدر من أسرة هاشمية النسب، ويمم شطر النبطية الفوقا التي أقام فيها حتى وافاه الأجل في١٠/ ٣/ ١٩٦٠.

نَهَلَ من معين علم المدرسة الحميدية لمؤسسها العلامة السيد حسن يوسف مكي. ونظم الشعر التي تجلت أغراضه في مديح الرسول وآل بيته، ووصف واقعة الطف التي استشهد فيها الإمام الحسين وصحبه، وفي مديح من يكن لهم المودة نظراً لحسن تعاملهم معه، والهجاء لمن لا يحسن التعاطي معه،والرثاء لمن احب، كما في قصيدة رثي فيها استاذه مؤسس المدرسة الحميدية العلامة السيد حسن يوسف مكي، وتلاها يوم وفاة «السيد الرئيس» في العام ١٩٠٦، ومطلعها:

عهدي بربعك من نوالك مخصبُ   وبراحتيك حيا المكارم صيّبُ
يا قدوة العلماء كيف تركتها   مع ثاكلاتك يوم بينك تنحبُ

قضى ردحاً طويلاً من عمره في قراءة السيرة الحسينية، فأبدع.

من ريب أن هذا القط سوف يلتهم الزبدة عندما لا يجد من حائل بينه وبين الوصول اليها!!»، فأجابته: «ولوّ يا سِيد! ما القط ربيناه على أيدنا، وها لقط موثوق!!»، فأجابها السيد عبدو بسخرية: «ولوّ يا حجّي! عمتقولي القط موثوق! والله لو شاف الشيخ . . . الزبده لكان مرمغ لحيتو فيها!!».

عذر أقبح من ذنب!!

قامت زوجة السيد عبدو خلف بدق اللحمة على «البلاطة»، ثم غطتها برغيف حين توجهها إلى الحديقة لتأمين الحوائج للحمة المدقوقة، فسارع الهر «عنتر» إلى التهامها!!، فأتى عليها بأكملها. وعندما علم السيد عبدو بما حصل، سأل زوجته عن السبب الذي دعاها إلى ترك اللحمة المدقوقة سائبة أمام هذا القط؟، فأجابته: «يا سِيد! القط عنتر نحنا ربيناه، وكنت ظانيِّ إنّو بيحفظ العِشري!!»،فسخِرَ السيد عبدو من كلامها بالقول: «يا حجِّي! وقت القط بيشوف اللحمي راح يتركها صاغ سليم؟!!، تقللي عقلك يا حجِّي؟!!،ها للحمي لو شافها الشيخ . . . لكان أكلها وأكل بيّها كمان!!».

وعندما علم الشيخ بما قاله السيد عبدو عاتبه عتاباً شديداً، فأجابه: «يا مولانا الشيخ! عندما تطرقتُ إلى ذكركم أمام زوجتي بعد إقدام القط على التهام اللحمة إنما كان كلامي للتنويه بما تتمتعون به من أخلاقٍ عالية!!»، فضحك الشيخ، وعقَّب بالقول: «يا سِيد عبدو لقد أتيت بعذرٍ أقبح من ذنب!!.

ما أنت إلاّ شفرةٌ!!

حين قرأ السيد عبدو خلف مجلس عزاءٍ عن روح أحد الأعيان، أُعجِبَ خنجر أفندي بأدائه، فتمنى عليه القيام بزيارته في دارته، وحدد له توقيتها.

في الموعد المضروب حضر السيد عبدو، وحين طرق باب خنجر أفندي، استقبله الخادم سائلاً إياه عن بغيته؟ فأجابه: «قادم لزيارة خنجر أفندي بناء على

موعد مسبق»، فدخل، ثم عاد بعد ثوانٍ، وخاطبه بالقول: «بيقلك سِيدي الأفندي إنّو مش هون!!». فأدرك السيد عبدو أن خنجر أفندي لا يريد استقباله، ولحظ مدى غباوة هذا الخادم!! فما كان منه إلا أن نظم بيتاً من الشِعر هو:

يا طالِباً من خِنجرٍ بعض الندى هيهاتَ تظفرْ
ما أنتَ إلاَّ شفرةٌ كَذِبَ الذي سمّاكَ خِنجرْ

وقام بكتابة هذا البيت على ورقةٍ، وطلب من الخادم إيصالها إلى سيِّده، وانصرف لا يلوي على شيء!!.

حين قرأ خنجر أفندي هذا البيت أدرك مدى الخطأ الذي ارتكبه الخادم الأبله، وسعى إلى تدارك عواقب الأمر، فأرسل أحد رجاله وراء السيد عبدو كي يعيده إلى دارته، وبعد إلحاح من هذا الرسول عاد إلى دارة خنجر أفندي الذي استقبله بالعناق والترحاب والقبلات الحارة!!، واعتذر إليه عن هذه الغلطة الفظيعة!!، وأكرمه، فأعاد السيد عبدو خلف صياغة هذا البيت، فأصبح:

يا طالِباً خيراتِهِ من خِنجرٍ أُنعِمتَ فاظفرْ
ما أنتَ إلاَّ صارمٌ كَذِبَ الذي سمّاكَ خِنجرْ

لا خيرَ فيكَ والزمانُ ترَلّلي!!

احتاج السيد عبدو خلف إلى مبلغ من المال، فقصد الحاج يوسف... الذي كان يُدَيِّنُ بالفائدة، وفقاً لـ«تحليليةٍ» شرعيةٍ قوامها، أنّهُ عندما يرغب شخص ما في اقتراض مبلغٍ من المال، يقوم الحاج يوسف ببيع الزبون قطعة صابون بقيمة الفائدة التي تحسم من أصل المبلغ الذي يسلفه إياه!!، بعدها يقوم بوضع قطعة الصابون في «خرْجْ» على ظهر هر، ثم يعمد إلى قرص هذا الحيوان بذيله ليموء!!، إذاك يُستنتج أنّ هذا البهيم الأعجم قد وافق على هذه الصفقة!!.

الخلاصة، أن السيد عبدو طلب من الحاج يوسف إقراضه مبلغاً من المال، فاعتذر إليه محتجاً بأن المال المطلوب غير متوافر، وكان سبب رفضه الحقيقي هو

خشيته من طول لسانه!!، وقيامه بالتشهير به إذا ما طلب منه فائدةً على المبلغ المُقترَض!!، وفي الوقت عينه، فإنه لا يمكنه إقراضه مالاً من دون فائدة!!

عندها خاطبه السيد عبدو بهذا البيت:

إن لـم تـكـن لـي والـزمـانُ شُـرُمْ بُـرُمْ
لا خـيـرَ فـيـكَ والـزمـانُ تَـرَلَّـلـي

اسمُ مُتيَّمٍ حروفه مشتَهِره!!

التقى السيد عبدو خلف عدداً من العلماء، وأسمعهم هذا البيت من الشِعر:

اسـمُ مُـتـيَّـمٍ حـروفُـهُ مُـشـتَـهِـرهْ
خـمـسـةٌ بـأربـعـهْ وسـتـةٌ بـعـشـرهْ

وطلب منهم أن يحزروا ما هو هذا الاسم المقصود في هذا البيت؟ حين لم يُجيبوا، خاطبهم بالقول: إذا ضربنا (٥ x ٤) فالحاصل هو الرقم (٢٠)، وهو يساوي في حساب «جُمّلْ الكبير» حرف (الكاف). وإذا ضربنا (٦ x ١٠) فالحاصل هو الرقم (٦٠)، وهو يساوي في هذا الحساب: حرف (السين).

٦ ـ نكات محمود طه

القط ولاّ اللحمه؟


محمود طه «أبو شفيق»

اشترى محمود طه «أبو شفيق» كيلو غراماً من اللحم يوم الاثنين، وهو يوم السوق الأسبوعي في النبطية.

عندما عاد إلى منزله ظهراً، وهو يُمنّي النفس بأكل الكبة والفراكة، إلاّ أن أمله قد خاب، عندما أخبرته زوجته بأن القط قد أكل اللحمة!!.

فما كان من «أبو شفيق» إلا الإمساك بالقط ووضعه في ميزان التين، فتبين له أنه يزن أقل قليلاً من كيلو غرام!!، فأمسك بهذا القط من أذنيه، وخاطبه ساخراً: «إنتِ القط أو اللحمه؟ اللحمه أو القط؟»، ومن ثم صب جام غضبه على زوجته التي فرّطت باللحمة!!.

وكول يا بن العمّ!!

امتلك أحمد الصبَّاح «أبو عدنان» مصنعاً للصابون في النبطية، وقد احتاج هذا المصنع إلى مواد أولية متوافرة في مدينة طرابلس؛ فكان كثير التردد على هذه المدينة لشراء هذه المواد.

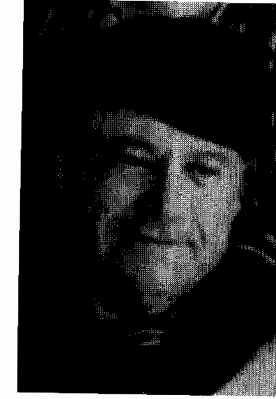
ذات يوم، وبعد عودة «أبو عدنان» من هذه المدينة توجه مساءً إلى منزل قريب، وحين سأله صاحب الدار عن المأكولات التي أعجبته في هذه المدينة؟، أجابه: «يا بن العم! هناك أكله شهيه إسمها المدلوقه»، وعندما استفسره عن

مكوناتها؟ أجاب: «فيها سميده مع سمنه حمويه، وفيها مهلبيه، وفيها شعيريه، وفيها فستق حلبي، وفيها كاجو، وفيها صنوبر، وعليها القطر، وماء ورد وزهر!!. عندها حبكت النكتة مع محمود طه، فعلّق ساخراً: «أي نعم، يا بن العم! حطّ كل هالإشيا على صرمايه عتيقه بتصير أشهى ما يكون، وكول يا بن العم!!».

إذا جبتيللو عظمتين ولحمه...!!

كان حسن وهبي «أبو حسني» وكيلاً لأملاك الرئيس رياض الصلح في تول، عندما سأله خاله علي حسين الصبَّاح «أبو حسين» عن موسم التبغ؟، تعمد «أبو حسني» المبالغة في الوصف قاصداً استثارة رد فعل ساخر من «أبو شفيق»، إذ قال: «عليم الله يا خال! كل شتلة دخان بتْطلع قدّ سروي وبدها تعطي دنك دخان!!». فعقَّب محمود طه بالقول: «عليم الله يا بو حسين! عندك إبن أخت يخزي العين عليه، إذا جبتللو عظمتين وشأفة لحمه بيعمل منهن طابور عسكر!!».

٧ ـ ضاءت أم ضاعت؟!



الشاعر محمد علي الحوماني

في ٢٠ آذار سنة ١٩٢٥ أقيم احتفال تكريمي في مستودع المياه التي استجرها يوسف بك الزين من نبع عين الطاسة للنبطية وجهاتها، وألقى كاهن رعية النبطية الأرشمندريت أثناسيوس الصائغ قصيدةً استهلها بهذا البيت:

لا في اللـواءِ ولـكـن فـي اللـواءيـن
(ضـاءت) مـنـاقـبُـكُـم يـا يـوسـفَ الـزيـن

عندما توجه الأرشمندريت صائغ إلى منزل العلامة الشيخ محمد تقي صادق للقيام بواجب المعايدة صادف وجود الشاعر محمد علي الحوماني في دارة العلامة الشيخ، وبعد تبادل التحايا والتبريكات، راح الشاعر الحوماني يتذكر الاحتفال التكريمي ليوسف بك الزين بمناسبة جر المياه إلى النبطية ومنطقتها، وإنه كان من خطباء هذا الحفل الحاشد، كما الأرشمندريت صائغ، وخاطبه بالقول: يا محترم!

سمعتك أثناء إلقاء خطبتك، تتلو قصيدة عصماء، ما زلت أحفظ البيت الأول منها وهو:

لا في الـلـواءِ، ولـكـن فـي الـلـواءيـنِ
(ضـاعـت) مـنـاقـبُـكُـم يـا يـوسـفَ الـزيـنِ

فغضب الأرشمندريت صائغ، وخاطب الشاعر الحوماني: يا أُستاذ محمد علي لقد حرَّفت هذا البيت، فأبدلتَ كلمة (ضاءت) بـ(ضاعت)!!، وهمَّ بالانصراف، لكن الشيخ محمد تقي صادق حال دونه والمغادرة، وهدّأ الشاعر الحوماني من روعه بالقول: يا محترم! أنا ذكرت كلمة (ضاعت) بدلاً من(ضاءت)، وقد حسبت أنك استعملت الكلمة الأولى، وعلى كل حال؛ فكما تعلمان، فإن كلمة (ضاعت) تعني: فاحت وانتشرت، فيقال مثلاً: ضوع العبير!!.

هنا انفرجت أسارير «الأبونا»؛ وأخذ يروي لهما مفارقة طريفة جرت معه، إذ قال: ذات يوم دعوت أحد الكهنة إلى مأدبة غداء، ومن الفواكه الموجودة عليها بطيخة كبيرة، وهنا حبكت معي النكتة وقلت:(الخوري قدّ البطيخة)؛ فغضب الكاهن ووجه لي الملامة على هذا الوصف، لكنني بيّنت له، أن كلمة (قدَّ) ضمن سياق هذه الجملة تعني: (قطَعَ) وليس لها مدلول (الحجم) كما تبادر إلى ذهن السامع!!.

٨ ـ يا حرفوشي بدّا صْبْور!!

اشترى «الحرفوشي» قرقوراً من أجل التضحية به صباح عيد الأضحى المبارك، لكن من سوء حظه أن هذا القرقور قد زلَّ حافره فوقع في «التنور»، فأصيب بحروق بليغة أدّت إلى نفقه، وعندما وجده على هذا الحال ندب حظه العاثر، فنظم أحد جيرانه هذه الأبيات:

يا حرفوشي بدّا صْبْور
يسلم راسك بالقرقور

قمتْ الصبح تعلّقلو
لْقيتو واقع بالتنور

مِنّو مشوي ومِنّو مقلي
ومِنّو أحمر كالدبور

لحماتو تْكِبُّنْ برّا
وتبرجد فيهن «حمّور»[*]

لَشهلا كم كرعاني
وللبجلا بدلة غندور

الأحول شاغللي بالي
متل حمار الزيتاني

وشو هالحالي ياكركور

(*) حمّور: اسم كلب.

قام الصبح يطلّ عليه
صار بحلقو يعضوض دَيه

محمَّر بدون إفادي
كلّف ليرا وزيادي

عا بنتو ما كان يجود
الله يخسرني حمّود

الأحول شاغللي بالي
شو راح اعمل بحالي

هالقرقور ما لو تاني
مثل حمار الزيتاني

مصيبة وحلّت يا شهبور

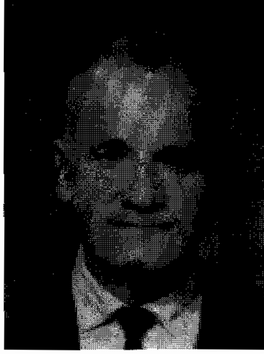
٩ ـ كنت أحكي من الأول...!!

كان الحاج قاسم ش. . . مضرباً للمثل في تصرفاته الغريبة، يروى أنه حين يريد قضاء حاجته، كان يتوجه نحو منطقة تقع بين النبطية والكفور تُدعى «الدَرَجات». ومن سلوكياته المثيرة للعجب، أنه ذات مرة اتجه إلى دمشق، فأسرج بغله، واصطحب معه امرأة تدعى عدلا. . .، وهي امرأة لعوب، لديها الاستعداد الدائم لمعاشرة أي رجل يراودها عن نفسها، حينما يؤمن لها بعض المتطلبات!!.

مكثا في دمشق أياماً معدودات، وعادا معاً، وهما يمتطيان دابة الحاج قاسم، ولم يقم رفيق الطريق بأي حركة أو ينبس بكلمة تُنبئ عن رغبة ما بنفسه!!، فأصابتها الحسرة الشديدة جراء هذا الموقف المثير للعجب!! وللصيام في رجب!!.

حين أمسيا في المدخل الشرقي للنبطية، نطق أخيراً الحاج قاسم بما كانت الحاجة عدلا تتوقعه منه قبلاً!! وراودها عن نفسها، فأجابته بسخرية: «فات الأوان يا حجّ! كنت أحكي من الأول يا خ. . .عمنوّل!!».

١٠ ـ «حصانين» على فرد طوالي ما بيتفقوا!!



الحاج
أمين درويش الحاج علي

سافر من النبطية إلى السويداء تاجر مواشٍ، هو أمين درويش الحاج علي «أبو حسن»، وكان قدومه إليها بهدف بيع أغنامه في موسم صنع «القورمة».

عندما نادى المنادي في سوق المواشي بأن أغنامه صودرت من قبل الفرنسيين شاهده مختار السويداء الشيخ حسن الجربوع، الذي سبق له استضافته وصحبه من المشايخ الطرشان الذين أتوا إلى النبطية قبل خمس سنوات لشراء ثيرانٍ للفلاحة، فدعاه إلى مضافة عبد الغفار باشا الأطرش الذي أحسن وفادته، وعندما علم بمصادرة الفرنسيين لأغنامه طلب إليهم إعادتها لصاحبها، وهذا ما حصل. ثم استبقى «الباشا» أمين درويش في ضيافته مدة ثلاثين يوماً ريثما فرغ خدمه من بيع مواشي هذا الضيف.

في الليلة السابقة لمغادرة أمين درويش للسويداء عائدا إلى النبطية، أقام عبد الغفار باشا وليمة على شرفه دعا إليها أعيان السويداء ووجهاءها. وقد اقتصر حديث الباشا خلال هذه المأدبة على هذا الضيف، دون سواه، مما أغاظ أحد المدعوين، فسعى إلى إحداث الوقيعة ما بين المضيف وضيفه، فأخذ يعزف على الوتر الطائفي، إذ خاطب عبد الغفار باشا بالقول: «يا سعادة الباشا! أنا مستغرب هالإلفي بينكم يا بني معروف وبين شيعة جبل عامل!! مع إنُّو ما في بلد أو قرية فيها دروز وشيعة مع بعضهم البعض!!»، فتوجه عبد الغفار باشا بالسؤال إلى ضيفه قائلاً:

«شو قولك يا أمين أفندي بكلامو؟». فأجاب على الفور: «سلامة معرفتك يا جناب الباشا! حصانين عا فرد طوالي ما بيتفقوا وما بيتجاوروا مع بعضهن، والحصان الذكر بدُّو إنتايه!!». فأثنى الباشا على ما قاله ضيفه.

١١ ـ عجبٌ عجبٌ!!

في ثلاثينيات القرن المنصرم شاهد المصلون في مسجد النبطية رجلاً من أبناء الخالصة، وهو يؤدي الصلاة مردداً:

الـــلـــه أكـــبـــر   الـــلـــه أكـــبـــر
عـــجـــبٌ عـــجـــبٌ   عـــجـــبٌ عـــجـــبُ
قـــطـــيـــطـــه حـــمـــرا   مـــا لـــهـــا ذنـــبُ
ســـبـــحـــانَ ربـــي   والـــعـــنـــقـــود بـــحـــلـــقـــي
شـــاكـــورا بـــاكـــورا   أربـــع قـــطـــاط بـــحـــاكـــورا
كـــركـــورا فـــاكـــورا   أربـــع غـــنـــمـــات وقـــرقـــورا
ســـبـــحـــان ربـــي   والـــعـــنـــقـــود بـــحـــلـــقـــي

فدهش المصلون لما نطق به هذا الرجل!!، ونقلوا ما سمعوه إلى إمام النبطية العلامة الشيخ عبد الحسين صادق، فطلب منهم إحضار هذا الرجل إليه، وحين

مثوله بين يديه، طلب إليه أن يردد أمامه ما يقوله أثناء أدائه الصلاة، ففعل، وأسمع سماحة الشيخ ما يرتله في صلاته، عندها أغرق إمام النبطية في الضحك، سائلاً إياه عن الشخص الذي علّمه هذه الصلاة؟ فأخبره أن أحمد الحريري ـ وهو تاجر يتردد إلى منطقة الحولة ـ هو الذي فعل ذلك!!. إذ ذاك، قام العلامة الشيخ عبد الحسين صادق بتعليم هذا الرجل أصول الصلاة، وأرسل وراء أحمد الحريري، وأنّبهُ على الكلام الهزلي الذي لقّنه للرجل كي يردده عند تأدية الصلاة!!.

١٢ ـ بدي شذّاب متل ها لشذّاب!!

استقرض أحدهم مبلغاً من المال من بدوي من بُداة الكفور، وعندما أنكر المُستدين هذه الواقعة رفع الدائن دعوىً على المقترِض، وحين عُقدت الجلسة راح المُوَكَّل عن هذا الأخير يصول ويجول مدافعاً عن مُوَكِّلِهِ، فدهش الدائن «البريء» لأقوال المُوَكَّل غير الصحيحة، واستأذن القاضي بتأجيل الجلسة إلى موعد آخر كي يتسنى له توكيل من يدافع عنه، مخاطباً إياه بالقول: «يا سِيدنا بطلب منكم تأجيل هالجلسة، حتى جيب شذّاب متل ها لشذّاب!!».

١٣ ـ عنبيقات «أبو منيف» وتخيّلاته

I ـ العنبيقات(*)


«أبو منيف»

شو بَعْمِلّك إذا كان توب هالحماره بيبور؟!

باع «أبو منيف» رجلاً من بلدة مجاورة للنبطية حمارة بيضاء، فوجدها المشتري «لبّاطهْ»، فخشي من لبيطها على أولاده!!، فتوجه إلى البائع طالباً إليه استبدال هذه الحمارة بأخرى، لأنه يخاف على أولاده من عاقبة «لبيطها»، فاستمهله «أبو منيف» بعض الوقت، ورغب إليه أن يحضر في اليوم التالي.

على الفور، توجه إلى محل الشيخ أمين قميحة حيث اشترى علبة دهان أسود، وقام بطلاء تلك الحمارة البيضاء، فأصبح لونها أسودَ!!. وحين حضر المشتري في الموعد المضروب أراه «أبو منيف» الحمارة المصبوغة باللون الأسود باعتبارها حمارة أخرى!!، فمر «المقلب» على الشاري!!، وامتطى الحمارة من دون «جِلال»؛ وعندما وصل إلى حبوش، نظرت امرأته إلى بنطاله الكاكي وقد أمسى أسودَ، فعاد مسرعاً إلى البائع، وأخبره بما حصل، فما كان منه إلا التظاهر بالدهشة من حصول هذه المعجزة!!، وخاطب الشاري: «إن كان الله تعالى قد خلق توب ها لحماره بيبور!!، شو بدو يعملك ها لعبد الفقير؟!».

(*) عنبيقات: جمع «عنبيقة»، وهي كلمة باللهجة المحكية لأبناء جبل عامل، مرادفة لكلمة «مقلب».

المال الحلال رجع لصحابوا؟!

باع «أبو منيف» «كديشة» من رجلٍ من قرية مجاورة للنبطية، وقام الأخير ببيعها من آخر، فاعتنى بها المشتري الأخير، وعلفها بالشعير والحشائش الخضراء، فعادت إليها حيوية الشباب بعد الهرم!!، فأراد هذا المُقْتَني بيعها، فاقتادها إلى سوق الاثنين الأسبوعي في النبطية، فتعرف عليها «أبو منيف»، وأمسك بتلابيب هذا الرجل، وصاح به أمام الملأ، بأنه قد سرق كديشتهُ!!، فنفى «العارض» هذا الأمر بشدة، وشرح ملابسات شرائه لهذه الدابة أمام الناس الذين تجمعوا حولهما، فطلب «أبو منيف» من الحضور أن يحكموا بالعدل بينهما، وخاطبهم: «يا عالم يا ناس! هالكديشه مِلْكي!!، وسرقها هالرجّال!!، ودليل ملكيتي إلها إنّا بتعرف طريق بيتي!!، فإذا استهدت عليه بتكون ملكي!!، وإن ما استهدت فهيّ مِلكو!!»، فوافق الجمع على الأخذ بهذا الاقتراح، وعندما حُلَّ رباط هذه الكديشة توجهت تواً إلى منزل «أبو منيف»!!. فحكم الحضور بملكية الأخير لها، عندها صاح بأعلى صوته: «الله أكبر!! المال الحلال رجع لصحابوا!!».فأُسقِطَ بيد هذا المالك المسكين، وبكى حظه العاثر!!.

كيف بدي مون عالبهايم؟!

رُفعت شكوى على «أبو منيف» بتهمة رعي مواشيه في إحدى مقابر النبطية حيث عاثت بها فساداً، وقد تكرر هذا الأمر، رغم تعهده قبلاً في مخفر النبطية بأنه لن يسمح لمواشيه بالرعي في المقبرة!!.

عندما سأله رئيس المخفر عن سبب مخالفته لما تعهد به سابقاً لجهة المحافظة على حرمة هذه المقبرة وعدم تدنيسها من قبل دوابه؛ علماً بأنه قد تعهد بهذا الأمر بموجب محضر مأخوذ منه في المخفر، أجاب: «يا سِيدنا! أنِا تعهدت بمنع دوابي من الرعي بالجبّانه تحت طائلة المسؤوليه إذا ما تكرر الأمر. نعم، أنِا ما بنكر تعهدي، لكن هالدواب اللي ما بيفهموا خرجوا عن طاعتي وبطّلوا يردّوا عليي أو

يسمعوا كلامي، بعدين هشلوا وفلّوا من بيتي!!، وصرلهن ثلاث أشهر فالين، والولد بيخرج عن طاعة بيّو!! فكيف بدي مون عالبهايم اللي خرجوا عن طاعتي؟!، المقصّفين العمّار دشروا وخسرتن!! اللّه يلعن الساعه اللي ربيتن فيها!!، يا عمي كلفوني دم قلبي وهربوا!!اللّه يقصف عمارن واحد ورا التاني!!».

وين رحتوا بالمصاري؟!

أصيبت حمارة عائدة لـ «أبو منيف» بمرض عضال، وباتت على وشك الهلاك، وأقصى ما كان بقي من عمرها مدة لا تتجاوز الأسبوعين كحدٍ أقصى، فأراد بيعها بثمنٍ يوازي ذلك الذي يدفع عن حمارة معافاة!! فتوسّل أحد الأطباء البيطريين لحقنها بإبرة منشّطة، وهذا ما حصل، فبدت للناظرين في أوج حيويتها وكامل قوتها. وعرضها للبيع في سوق الاثنين في النبطية، فاشتراها أحد الرجال الذي خدع لِمنظرها الذي بان له وكأنها في ذروة الصحة وتمام العافية!! وقبض بائعها ثمنها، وهو ١٠ ليرات دُفعت نقداً وعداً؛ وبعد يومين زال مفعول الإبرة المُنشِّطة، وعاد لهذه الحمارة هزالها ونفقت، فادرك مشتريها الغبن الذي ألحقه به البائع، فتوجه إليه ليعلمه بواقع الحال، وليطالبه باسترداد ثمنها.

عندما لمحه «أبو منيف» في مدخل «الزاروب»، أدرك أن الشاري عائد لاسترجاع ثمن الحمارة المباعة؛ فعمد إلى ضرب أولاد شقيقه الصغار الذين كانوا يجلسون بقربه، بعدما تظاهر بأنه لم يشاهد الآتي إليه!!، وخاطب أولاد شقيقه بصوت عالٍ: «يازعران! وين رحتو بالمصاري؟».

عندما اقترب منه المشتري، رقّ قلبه لمنظر هؤلاء الأطفال الصغار الذين يتعرضون للضرب على يد عمهم!!، فاستفسر من «أبو منيف» قائلاً: خير! خير يا بو منيف! شو في؟»، فأجابه، وهو يتظاهر بالغضب العارم: «مش بعتك الحماره بعشر ليرات؟! العمى بقلبن هالزعران، بعدما عطيتني العشر ليرات حق هالحماره، راحوا صرفوهن، والله بدي آخذ روحهن وكسرهن تكسير!!»، فناشده الكفّ عن ضرب أولاد شقيقه، وأن يرأف بهم؛ وبالمقابل، فإنه يسامحه بثمن الحمارة المريضة التي باعه إياها، وهكذا كان!!.

يا أفندينا أنا ما بعمل ها لشغايل!!

سعياً منه لتسويق حمارة هرمة ومصابة بمرض الشيخوخة بثمن محترم!!، قام «أبو منيف» بنفخها بمنفخ للدواليب، ومن ثم باعها من أحد الوجهاء الأماثل بثمنٍ عالٍ، باعتبارها حاملاً، وبعد يومين من زرابتها «نفّست»، وظهرت عليها علامات المرض الشديد، فما كان من مشتريها إلا التوجّه إلى ساحة النبطية حيث التقى البائع وانتحى به جانباً، وراح يتحدث إليه بتهذيب وبصوت خافت حول ملابسات شرائه للحمارة، فما كان من «أبو منيف» إلا التظاهر بالغضب الشديد، وأخذ يصرخ بأعلى صوته: «لَهْ يا أفندينا لَهْ! ما كنت متصوّر تقللي هالكلام، أنا ما بعمل هالشغايل، أنا زلمه تركت هالقصص من زمان!!أنِا عندي مرا ومكفّيتني!!».

عندها أصيب هذا الرجل المهذب بالذهول، وانتابه خجلٌ شديد، وآثر الانصراف وهو خالي الوفاض!!.

ارتعبت الحماره فشابت!!

أصيبت حمارة رجل من قرية مجاورة للنبطية بالمرض، فأراد استبدالها بأخرى سليمة معافاة، فاتجه بها إلى سوق النبطية، حيث التقى «أبو منيف» فخاطبه بالقول: «يا بو منيف! بدي شي حماره منيحه وفرطه، بدل هالحماره، وشو بدك فرق الكديشه بعطيك»، فأجابه «أبو منيف»: «بِخاطرك يا حبيبنا! شو بدك بيصير، بس تركلي هالحماره لَبَكرا، لَشوف حالتها إذا كانت موّيتي ولاّ لأ!!». فامتثل صاحبها لرغبته وترك الحمارة بعهدته. عندها بادر «أبو منيف» إلى حلاقة وبرها، ثم صبغها بلون مغاير للونها، وعلفها بالشعير المغربل الذي تعلف به الخيول، فصارت بتمام الصحة وكمال العافية!!.

في اليوم التالي عاد صاحبها إلى سوق النبطية والتقى «أبو منيف» الذي أراه الحمارة بالحلّة الجديدة، وخاطبه بالقول: «يا معلم! مبارح رحت داكشت حمارتك عند النَوَر بها لحماره!! شو رأيك فيها؟». فدهش صاحبها بما ظنه حمارة أخرى، وقال: «يخزي العين شو هالحماره متل العروس!!». وتم الاتفاق على أن تتم المبادلة، لقاء دفع ليرتين فارق «دكيشة». وهكذا كان!!. ثم عاد بالحمارة إلى بيته حيث انتزع «جلالها» وربطها في الحقل، وأثناء الليل حل الضباب الذي أدّى إلى إزالة الصباغ عن جلدها!!.

صباحاً عاد مشتريها إلى النبطية، وحين التقى «أبو منيف» بادره بالقول: «يا بو منيف! شوف هالحماره مبيّن شايبه، كيف هالحكي؟» فأجابه: «وين ربطتها بالليل يا أخ؟!»، فقال له: «ربطتها بالحقلي»، فخاطبه شارحاً: «مبيّنه القصه!!. هالحماره نقزت وارتعبت بسّ شافت الوحوش، خافت يا ويلاه!! والخوف بشيّب اللي عمرو ما شاب!!».

شو صاب الديكْ لَبَطّل يبيض؟!

اقتنى «أبو منيف» ديكاً كان يشارك «القرقة» «ربخها» على البيض، وهذا الصنف من الديكة يطلق عليه اسم «الديك الحنون»!!.

في إحدى المرات زاره رجل من إحدى قرى قضاء النبطية، فوقع نظره على هذا «الديك الحنون» وهو«رابخ» على البيض جنباً إلى جنب مع «القرقة»، فدهش مما رأت عيناه!! واستفسر «أبو منيف» عن هذا الأمر العجيب، فأجابه: «هالديك بيّاض ورابخ على البيضات اللي باضهم!!». فرغب الرجل بشراء هذا الديك الغريب الأطوار!!. فأجابه «أبو منيف» بالإيجاب، وحين استفسر منه عن ثمنه؟! قال له: «بسيطه من شان خاطرك حا أخذ منك حق هالديك البيّاض ألفيتين زيت زيتون ونعارة سمنه بلديه»، فوافق للتو على طلبه، ورغب بأخذ الديك إلى منزله في الحال، على أن يجلب له في اليوم التالي ما طلبه كمقابل له، لكن «أبو منيف» رفض تسليمه الديك قبل المجيء بالبدل وقال له: «يا حبيبي! بتجيب الألفيتين

ونعارة السمن بتاخذ الديك، سلم واستلم هيك الأصول، الدنيا فيها حياة وموت»!!، فامتثل هذا الرجل لرغبة «أبو منيف»؛ وفي صباح اليوم التالي أحضر معه «المطلوب»، وتسلّم الديك الذي حسبه بيَّاضاً!! وعاد به إلى منزله، وقد بدت عليه علامات الظفر، وملامح الانتصار، وظن أنه «عاد برأس كليب»!!.

انتظر المقتني الجديد حوالي الأسبوعين، لكن هذا الديك لم يبض!!، فتوجه إلى النبطية حيث التقى «أبو منيف»، وأبلغه بأن الديك الذي ابتاعه منه لم يبضْ!!. فأخذ «أبو منيف» بناصية الكلام قائلاً: «شو أنِا غشيتك!! هالديك شفتو بعينك رابخ عالبيضات اللي باضهم، وانتِ اشتريتو على هالأساس، عندك بطّل يبيض شو بعملّو؟! يا حبيبي المرا بتحبل وبعدين بتقطعها، والرجّال بتنقطع بزرتو، هيدا بيحصل من النقزة أو صيبة العين، يمكن هالديك ناقز أو حدا صايبو بالعين، كان لازم تحطّللو خرزي زرقا لتحميه من صَيبة العين، أو في حدا عاقدو، يا روحي الرجال بيعقدوها قبل الجواز وبتبطّل تدخل عانسوانها!!».

إلو سويّه بللي اشتروا الترين!!

أثناء وجود «أبو منيف» في ساحة قرية بدياس اقترب منه رجل يضع «برنيطة» على رأسه، وسأله عن مالك بناء حجري ضخم قيد التشييد، فأجابه للتو: «يا أخ! هالبنايه لها لعبد الفقير اللي حدّك!! شو بتريد قللي؟». فأعرب عن رغبته بشراء هذا البناء الضخم قبل إنجاز بنائه، فأبدى «أبو منيف» موافقته على البيع، وبعد مساومة اتفقا على الثمن، عندها خاطبه الأخير بالقول: «يا حبّوب! في ناس كتار عارضين عليي شرا ها لقصر الفخم وبوضعو الحالي، لكن أنا عطيتك كلام وعيب عا شوارب اللي بيبطّل، لكن منشان ما تعود بكلامك، أو ما حدا غيرك يغريني بسعر أحسن بدي منك ١٠٠ ليرا رعبون، وإن شا الله بكرا بنلتقي بالساحة الساعة تسعه الصبح، وبتكون جبت المصاري وأنا جبت سند الطابو، وبننزل سوى عالطابو بصيدا حتى نطوّبلك ياه!!»، فوافق الرجل ونقده مبلغ ١٠٠ ليرة، بالتمام والكمال!!، وعاد إلى النبطية سالماً غانماً!!.

في الموعد المحدد جاء الراغب بالشراء، وانتظر طويلاً دون جدوى، وبعدما فقد الأمل من مجيء الرجل الذي اتفق معه، استفسر مَنْ في الساحة عن مالك البناء الذي اتفق معه على شرائه؟ فانقلب الحضور على ظهورهم من الضحك، وأخبروه، أن هذا البناء غير المكتمل هو حسينية قيد الانشاء، فذهل لسماعه هذا الخبر، وأسف لضياع العربون، ولعدم إمكانية شراء هذا البناء!!.

عندما عاد «أبو منيف» لاحقاً إلى بدياس أُخبر ببردة فعل هذا الرجل المغفَّل، فعقَّب بالقول: «هيذي مش أول حادثة متل هالنوع بتصير يا حبوب! ببيروت في عدة أشخاص باعوهن الترين، فإلو سوية باللي إشتروا الترين!! بتصير هالقصه بأحسن العيل!!».

هالحماره مسروقه مع بقرتين وأربع غنمات!!

قصد الحاج رشيد طه «أبو محمد» سوق الجمعة الأسبوعي في العباسية لأجل شراء حمارة. وبعد استعراض عدد من الحمير المعروضة في السوق وقع اختياره على واحدة طلب صاحبها ثمناً لها ١٠٠ ليرة، لكن «أبو محمد» اعتبر هذا السعر مرتفعاً، فغادر العباسية عائداً إلى النبطية. على مشارف العباسية التقى «أبو منيف» الذي سأله عن سبب قدومه إلى العباسية، فأخبره بما حصل معه، وأنه أراد شراء حمارة «ما كان صاحبها يقبل بيعها إلا بمية ليرا وأنا دفعت ٥٠»، فأجابه «أبو منيف»: «ما عليك، بسّ أنت وافق، والحماره حا تكون عندك بعد ساعه، وهيِّر الخمسين ليرا، وقوم دلّني عالحماره»، ففعل.

عندما وافق الحاج رشيد توجه «أبو منيف» للتو إلى سوق العباسية، وحين شاهد الحمارة التي رغب «أبو محمد» بشرائها، صاح بأعلى صوته: «يا عالم! يا ناس! هالحماره مسروقه مع بقرتين وأربع غنمات، هوذي حالي ومالي سرقهن إبن حرام من بيتي، وهلَّق لقيت الحماره، وينو هالحرامي اللي سارقها دلّوني عليها بدي آخذ حقّي منّو؟ وين الحكومي؟ وين الجندرمه؟».

وكان صاحب الحمارة قد غادر السوق لبعض الوقت من أجل قضاء حاجة، وتركها مربوطة بعهدة أحد تجار المواشي المجاورين له، فذهب هذا الرجل مسرعاً، يبحث عن صاحب الحمارة، وعندما وجده أخبره بما حصل قائلاً: «أنفذ بجلدك في رجّال عما يقول إنو حمارتك مسروقه منو مع بقرتين وأربع غنمات». فأقسم له أغلظ الأيمان بأنه اشترى هذه الحمارة من تاجر باعه إياها بمبلغ ٨٥ ليرة، «وشو بيعرفني منين جابها، شو الحماره فيها سند طابو؟»، فرد عليه بالقول: «سماع مني هيأتها الحماره مسروقه ومبين إنّو الرجال اللي إجا عالسوق صادق بقولو إنَّ حمارتو، وناوي يجيب الجندرمه، ويمكن ياخذوك عالحبس ويشحشطوك، شو بدك بها العلقه ياصاحبي؟! روح فلّ عابلدك والسلامه غنيمه!!». فامتثل لرغبته وولى الأدبار!!.

عندما عاد هذا الرجل إلى السوق، وجد «أبو منيف» ممسكاً برسن الحمارة، وقد ازداد صراخه، فطلب إليه التزام السكينة قائلاً: «اللي عرض الحماره للبيع فلّ، خوذ حمارتك والله معك»!!. فساق الحمارة وقام بتسليمها إلى الحاج رشيد الذي نقده ٥٠ ليرة ثمناً لها!!.

II ـ المبالغات

هالسرج كان لعنتر!!

عرض «أبو منيف» ـ في سوق الاثنين الأسبوعي بالنبطية ـ فرساً للبيع، وفوق ظهرها سرج موشى بالفضة، وعندما حضر زبون لمعاينتها وسأل عن ثمنها، رحب به «أبو منيف»، وعمل على «ترغيبه» بشرائها، قائلاً: «يا معلم! لو بتعرف هالسرج لمين كان؟! بتسمع بعنتر أبو الفوارس؟ هيدا حطّو عا ظهر حصانو الأبجر تلات سنين!! شوف هيّاها أختي جايي من السعوديه عا ظهر هالفرس!!».

بتريد فرجيك عازبدين...؟!

حضر «أبو منيف» إلى محل الرضي موسى الرضي «أبو موسى»، طالباً إليه استبدال بطاريات المصباح «الأنتريك» العائد له، فنصحه «أبو موسى» برميه في النفايات، لأن الدهر أكل عليه وشرب!!، فأبدى «أبو منيف» دهشته لهذه النصيحة التي عدّها في غير محلها، وخاطبه قائلاً: «بتريد من ها لأنتريك فرجيك عازبدين بالليل، أو حتى عا حيفا؟!».

الديك ملجوم وما قدرت هدّيه!!

كان «الغرّ» ينقل أبناء النبطية الذين «يتيّنون» في تل دبين، في موسم قطاف التين صيفاً، بسيارته الـ «فورد ـ أبو دعسه».

ذات ليلة وصل «الغرّ» متأخراً إلى التل، فاضطر للمبيت في إحدى الخيم، حيث التقى «أبو منيف»، بعدما استيقظا في الصباح الباكر، جلسا متكئين على جذع شجرة التين، وقع نظر «الغرّ» على ديكٍ سمين عائدٍ لـ «أبو منيف»، فتمتم، عندها سأله الأخير عمّا يهمس به: «شو يا بو زهير؟»، فأجابه: «شو رأيك بها الديك نذبحو؟». فقال له «أبومنيف»: «يخرب بيتك!! هذا الديك بطلعة الليطاني طلع ويظهرو فردتين تين وأَنِا بظهرن، والديك ملجوم وما قدرت هدّيهْ!!».

هالتوتي بتحملْ ٨٠ صحّارةْ!!

نبتت في منزل «أبو منيف» شجرة توت، وقد نصحه أحد أصدقائه باقتلاعها نظراً لما تسببه من أوساخ، فأجابه بدهشة: «يخرب بيتك! هاذي هالتوتي بتحمِّل يوم أيّ يوم لأْ ٨٠ صحّارة كبوش عسطح بوسطة رشيد حمزه النازلي على بيروت!! فكيف عم تشور عليي لأقبعها؟! شو بدك تقطع برزقي؟!».

فند هالتوتي بيمَونْ مَلَكْ من ملوك العرب!!

عندما طلب السيد حسن شريف بدر الدين «أبو أحمد» من جاره «أبو منيف» قطع «فند» شجرة التوت الذي يتدلى على منزل والده المجاور، مما يتسبب في تراكم الأوساخ في فناء هذا المنزل، أجابه «أبو منيف» متحسراً: «الله يسامحك يا سِيد راح تقطع رزقتي!! شو بقطع فند التوتي اللي بموِّن منو كل سنه ملَك من ملوك العرب؟!».

عِنَّا عشيره بيونين عندها ٤٠٠٠٠ باروده!!

ذات يوم التقى «أبو منيف» بالأستاذ حبيب رشيد جابر «أبو عمار» في سوق النبطية، فسأله: «وين عمّ تعلِّم يا أستاذ؟»، فأجابه: «بالبقاع». عندها انفرجت أسارير «أبو منيف» وقال لمحدثه: «إذا بدك شي من البقاع نحنا تحت أمرك، في عِنّا قرايب من عشيرة سلوم بيونين بين ديّهن ٤٠٠٠٠ باروده، ويمكن أكتر من هيك بكتير!!».

عندها ابتسم الأستاذ حبيب وخاطبه بالقول: «اللهم زد وبارك!! يخزي العين شو هالعشيري اللي عندا مسلحين أكثر من الجيوش العربية مجتمعةْ بحرب فلسطين!!».

... وهالبطيخه ما راحت عن عيننا!!

...وتابع «أبو قاسم» حديثه بالقول: «وعلى ذكر البقاع يا أستاذ حبيب! في مرّه من المرات كنت رايح من زحله على حمص بالتران، يا خيي! شفت بطيخه حدّ رياق، يخزي العين مش معروف طولا وعرضا أدّيش!! قطعنا ٢٠ كيلومتر وهالبطيخه ما راحت عن عيننا!!»

«لقطيني» سكّرت جسر أبو الأسود!!

عندما التقى «أبو منيف» بعض الأصدقاء حدثهم قائلاً: «غلطنا، وزرعنا بزرين لقطين بالجنيني الزغيري، ما شفتلك بالليل، إلاّ وجبّ اللقطين راح يعسّ ويعربش عالحيط، وقام نزل على بيت السيد مصطفى، هونيك رمى لقطيني زغيري، وصّل عازبدين ورمى لقطيني أكبر، وظل يمدّ لوصل عا جسر أبو الأسود، هونيك رمى لقطيني سكّرت الجسر، فإجت وزارة الأشغال عملت نفق تحت الجسر لتسهيل مرور السيارات!!».

١٤ ـ لسعات الشيخ علي الزين

مُناط والحوماني!!



الشيخ علي الزين

عندما كان الشاعر محمد علي الحوماني يهم بإصدار مجلته «العروبة» كان يكثر من استعمال لفظة (مُناط)، ويكررها لأقل مناسبة وحديث، وكان ينتقده زملاؤه على ذلك. وفي يوم مشرق، زارت ثلة من أدباء شقراء والصوانة الشيخ علي الزين في جبشيت، وعلى الغداء تحدثوا بموضوعي (مُناط) والحوماني، وقرروا شرب الشاي عند الحوماني في حاروف، ولما وصلوا إليها قدّم الشيخ علي الزين بإسم الجميع قصيدة يداعب الحوماني فيها، منها:

أيـــهـــا الـــفـــذُّ ســـلامٌ ... وابـــتـــهـــاجٌ واغْـــتِـــبَـــاْطُ

مـــنْ مُـــحـــبِّـــيْـــنَ دَعَـــاهُـــمْ ... حُـــبُّـــهُـــمْ أَنْ يَـــتَـــعـــاطُـــوا

كـــلُّ شـــيءٍ فـــيـــه زُلـــفَـــى ... لِـــهَـــوَاكُـــمْ أو (مُـــنـــاطُ)

فـــانـــتَـــحُـــوا دارَكَ مـــلـــهـــىً ... وبِـــمَـــغْـــنَـــاكَ أحَـــاطُـــوا

لا تُــغــالِــطْ بــلــقــاهُــم
أو يُــتــعــتــعْــكَ احْــتِــيــاطُ

فَــهــمُ حَــمْــدٌ وإلاَّ
فــصَــفِــيْــرٌ و(ضِــراطُ)

أنا مظلوم بها للفّه!!

في منتصف خمسينيات القرن الماضي استضاف الطبيب الدكتور علي جابر في منزله في النبطية رجلاً من المتزمتين في شؤون الدين والدنيا، وقد خاض معه الشيخ علي الزين حواراً مطولاً، اكتشف من خلاله عبثية الحوار مع هذا الرجل، الذي اتضح أن عقله مغلق ولا يمكن الأخذ والعطاء وإياه، مما حمل الشيخ علي على خلع عمامته الملتفة على طربوش، ووضعها على رأس هذا الرجل، ثم خاطبه قائلاً: «أنا يا أخّ! مظلوم بها للفّه وهيِّ خرجك!!».

... والنظر إلى وجهكم الكريم!!

ذات يوم سأله أحد المُدرِّسين ـ بسخرية ـ عن مفسدات الوضوء؟ فأجابه: «منها ثلاث: البول والغائط والنظر إلى وجهكم الكريم!!».

... ووجوه متل وجهكم!!

ذات مرة ضم الشيخ علي الزين لقاء مع عدد من الأصدقاء. وكان الشيخ علي مصاباً بإسهال حاد، فراح بين الفينة والأخرى يذهب إلى بيت الخلاء، فخاطبه م.ن... بالقول: «شو مبيّن يا شيخ علي كل دقيقه عما تروح عا بيت الميّ؟ شو ماكلّك شي أكلي عملتلك ضروره؟» فأجابه ساخراً: «يا شيخنا! في أكلات بتخرّي، ووجوه متل وجهكم الكريم!!».

قل أعوذ برب الفلق!!

حين زار أحد الثقلاء الظل ـ الشبيه بتمثال «إله الإنتقام» في الديانة الهندوكية ـ الشيخ علي الزين راح يمطره بوابل من الأسئلة المزعجة مما سبب له ضيقاً شديداً، وكان آخرها: «يا شيخنا! أي سورة بتعجبك من القرآن الكريم؟!»، فأجابه دون تردد: وفقاً للشخص الذي أشاهده، فمثلاً، حين يحضر شخصكم الكريم تحضر في ذاكرتي سورة «الفلق» ونصها: ﴿قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسقٍ إذا وقب * ومن شر النفاثات في العُقد * ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

اسأل مجربٌ ولا تسأل حكيم!!

في مطلع العام ١٩٧٥ قام أحد الشعراء بزيارة الشيخ علي الزين في منزله في جبشيت، وقد تمت هذه الزيارة بعد مشاركة هذا الشاعر في مهرجان المربد الشعري في البصرة، واستفاض الشاعر في الحديث عن الحفاوة التي لقيها في العراق، وتطرق الى المطاعم القائمة على نهر دجلة التي تقدم لزبائنها سمك «المسكوف»، وأخذ يصفه بأنه شهي وطيب المذاق، وقد أسهب بالإشادة بما يتمتع به هذا السمك من صفات حسنة!! وراح يتغزل بجماله وكماله!!. مبيناً، أن الناس يشتهونه كثيراً في القطر العراقي الشقيق، فتدخل السيد... غامزاً من قناة الشاعر ـ بالقول: «وأنتِ أحلى وأطيب وأجمل!! والناس بيحبوك هونيك أكترا!!»، فاحمرَّ وجه الشاعر، ولم يُحرْ جواباً، ولم ينبس ببنت شفة!!، لأن المعنى في قلب الشاعر!!، فوجّه الشيخ علي الزين كلامه للشاعر قائلاً: «ولا يهمك، السِيد أدرى بالأمر!!، اسأل مجرِّب ولا تسأل حكيم!!».

١٥ ـ التمريه أكلة...»!!

كان الحاج . . . من التجار الأغنياء في النبطية، لكنه امتاز بالبخل الشديد.

يحكى، أن زوجته كانت تجلس عصراً مع النساء الأخريات أمام منازلهن حيث كن يشترين «التمرية»، إبان جلوسهن في هذا الوقت، وقد أرادت زوجته مجاراة النسوة الأخريات في أكل «التمرية»، فطلبت من زوجها أن ينقدها قِرشاً لهذه الغاية. فامتعض من هذا الطلب!!، وخاطب زوجته بالقول: «مش عيب عليكي يا حجّي تاكلي تمريه؟!!، هذي أكلة الشـ. . .!!»، فخجلت زوجته عندما أعلمها بهذا الأمر!!، وطلبت منه السماح جرَّاء هذا الطلب!!.

عصر اليوم التالي جلست مع نساء الحي اللواتي عمدْنَ إلى شراء التمرية، فعابت عليهن شراء هذا الصنف من الحلوى لأنه من مآكل بنات الهوى، فاستهجن كلام الجارة!!، وسألنها عن مصدره؟ فأخبرتهنَّ بأنه زوجها، فسخرن من هذا الكلام!!؛ وشرحْنَ لها، أن التمرية نوع من الحلوى التي يأكلها كل الناس!!، عندها أدركت أنّ بخله هو الذي يكمن وراء وصفه هذه «الأكلِة» بأنها من مآكل الساقطات!!.

عندما التقته مجدداً طلبت إليه أن يعطيها قرشاً لشراء التمرية، فكرر وصفه السابق لهذه «الأكلِة». فأصرّت على موقفها مخاطبةً إياه بالقول: «يا حجّ! أنا شـ. . .!!، وبدي آكل تمريه!!، عطيني قرش وخلّصني بقى!!». فاضطر زوجها إلى نقدها هذا المبلغ وهو صاغر، وقد أخذ الحزن منه مأخذاً!!.

١٦ ـ حكايا الدكتور علي بدر الدين[*]

جوزة الهند والفأرة


الدكتور علي بدر الدين

سرّ في شوراع بيروت التجارية، وتلفت ذات اليمين وذات اليسار، فلا ترَ غير الجمود والكساد، ولا تسمع غير الشكوى والأنين، ممن كانوا بالأمس يتلاعبون بالملايين ويستغلون التموين ويتحكّمون بالمحتاجين.

تذكرني حالهم اليوم بحكاية فأرة عثرت على جوزة هند في أحد البيوت، فأخذت تقرضها حتى خرقت القشرة القاسية وبلغت اللباب، فشعرت بلذة كبرى وراحت تمعن فيه نهشاً ونخراً حتى فتحت كوة أطلت منها على الجوف الواسع، فدخلت إليه وأقامت هناك تشرب من ماء الجوزة، وتأكل من لبابها بشره ونهم. ولما أرادت أن تخرج من حيث دخلت لم تستطع، لأن حجمها كان قد كبر وتضخم، كما أصبحت عاجزة عن توسيع الثغرة في القشرة، لأنها تلبدت وكسلت مما التهمته. وكادت الفأرة تختنق، فلم تجد بداً من استفراغ ما في جوفها، حتى صغر حجمها فخرجت من الفتحة ونجت برأسها!.

فهل يدرك هؤلاء التجار حكمة الفأرة، فينجوا برساميلهم على الأقل قبل أن يختنقوا؟.

(*) مختارات من زاوية عيون وآذان، التي كان يخطّها يراع الطبيب الأديب الدكتور علي بدر الدين في جريدة «الحياة» البيروتية، خلال عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧، بتوقيع «أبو سينا»، وهذه الحكايا من إبداع مُخيِّلته.

أبو فَلَنْتَش

دخل ثور كبير إلى بيت صاحبه، فرأى خابية تحتوي كمية من العلف، فأدخل رأسه فيها ليأكله، فعلق، ولما وجده صاحبه على هذه الحال، استنجد بجيرانه، فجاؤوا يحاولون إخراج رأس الثور من الخابية، فلم يفلحوا. وعلى الأثر استدعوا العم «أبو فَلَنْتَش» المعروف في القرية بأنه حلاّل المشكلات وكاشف البليات.

وجاء «أبو فَلَنْتَش» مزهواً، ووقف قرب الثور يفكر، والناس حوله واجمون ينتظرون، وإذا به يقول لهم: «إقطعوا رأس الثور!!»؛ فقطعوه، وحاولوا إخراجه فلم يفلحوا، فعادوا يسألونه ما العمل؟ فقال: «إكسروا الخابية!!»، وكسروا الخابية، وأخرجوا الرأس المقطوع، وصاحبنا يقول لهم: «الحمد لله الذي قيَّض لكم نابغة ينقذكم من جميع الملمات. ترى ماذا يحل بكم لولا وجودي؟».

ألا ترى معي أيها القارئ أنهم يحلون اليوم مشاكلنا وأزماتنا على طريقة «أبو فَلَنْتَش»؟.

أم عطوش

كانت «أم عَطوش» تتهجم على زوجها «أبو عَطوش» دائماً حتى نفذ صبره، واسوَدّت الدنيا في عينيه، فخرج من البيت كئيباً متأثراً، لا يدري لمن يشكو أمره. وبينما هو يمشي مُطرِقاً مهموماً التقى بصديق يزعم أنه مخلص له. وما أن عرف هذا الصديق ما حدث لأبي عَطوش مع زوجته حتى تحمس وتطوع لإصلاح ذات البين، فرافق أبا عَطوش إلى بيته. ولما وصل قال للمرأة: «أهكذا يا أم عَطوش تعاملين زوجك الطيب؟ أين وفاؤك ومعروفك؟ يوم كان أبو عَطوش غنياً فتياً حسن الوجه، كنت تقابلينه بالبشاشة والحفاوة. أما اليوم وقد أصبح محدودب الظهر، مريضاً بالسعال المزمن، أجرب الجسم، ضعيف البصر، منحلّ القوى، فقيراً معدماً، ساذجاً قاصراً، وسخاً نتناً، صرت تنهرينه وتضطهدينه؟ إنها والله يا أم عَطوش لتصرفات منك!!...».

فقاطعه أبو عَطوش قائلاً: «لا عافاك الله ولا جزَاك خيراً! لقد جئت بوساطتك هذه تعرفها على عيوب لم تكن هي تعرفها من قبل، ففضحتني أمامها فلا كنت ولا كانت وساطتك ومداخلتك».

... وهؤلاء الذين جاؤوا يتوسطون بين الشعب والحكومة، ألا يذكروننا بصاحب أبي عَطوش؟

١٧ ـ دعابات الشاعر نور الدين بدر الدين

خُذ مُسْهِلاً واشرب حليبا

بمناسبة الحفلة التي أقامها شباب النبطية وأدباؤها لتكريم الدكتور محمد علي رضا، إثر تخرّجه طبيباً في الجامعة السورية في العام ١٩٣٨، ألقى الشاعر نور الدين بدر الدين قصيدة ترحيبية.

إثر سماع الدكتور بهجت ميرزا القصيدة اعتبرها تعريضاً بالأطباء الذين سبقوا الدكتور محمد علي رضا في النبطية، فأقام الدنيا ولم يُقعدها على السيد نور. وهذه مقاطع منها:



الشاعر
نور الدين بدر الدين

من المقطع الأول:

خَلِّ الهمومَ وكُنْ طروبا ... واتْرك أنينكَ والوجيبا
وافتحْ إلى الآمالِ، إمّا ... أقبلتْ، صدراً رحيبا
لا تخشَ عاديةَ الرَّدى ... فمُحمدٌ أمسى طبيبا

ومن المقطع الثاني:

أوَلستَ تنظرُ شمسَهم ... كُسِفتْ وكادت أن تغيبا
فاشرق علينا فالنّفو ... س لغيرِ فنِّكَ لن تطيبا
فلقد سئمنا طبَّهم ... خُذْ مُسْهِلاً واشربْ حليبا

العنزة الجرباء

يقول الشاعر نور الدين بدر الدين: «بعد أن أخذ السيد جعفر يميل إلى الشيوعية ويحبذها، صار يميل إلى تربية الغنم والمعيز، وماتت معزاة إثر ولادتها سخلاً، فطلب مني بعض الأصدقاء أن أُرسلَ له شيئاً حول الموضوع، فبعثت إليه بهذه القصيدة، راثياً ومُعزِّياً، على سبيل التفكهة الأدبية، كما هي الحال بيننا». والقصيدة يعود تاريخها إلى ٩/ ٢/ ١٩٤٥.

حارتْ بعينِكَ دمعةٌ خرساءُ ... مُذ فارَقَتْكَ العنزةُ الجرباءُ
أدمى فؤادك فقدُها لوليدها ... وذهابُها في إثرهِ نفساءُ؟
ماتت أمانيكَ العِذابُ بموتِها ... ودهتْكَ داهيةٌ بها دَهياءُ
ومصيبةٌ نزَلَتْ فهدّمتِ القوى ... وعراكَ من تأثيرِها بُرداءُ
فَلَكمْ تخيّلْتَ المعيزَ نواسلاً ... ولها إذا حلّ المساءُ ثُغاءُ

ولكَم حلُمتَ إذا اعتنيتَ بها بأنْ
يـأتيكَ منها مركزٌ وثراءُ

لبنٌ وشعرٌ ما تعيشُ، وزِبلُها
يُنمي النّبات، وزبدةٌ ولباءُ

وإذا ذبحناها فلحمٌ طيِّبٌ
وإذا انتشيتَ فكبدةٌ سوداءُ

إنّي لأعجبُ كيف تطمعُ بالغنى
أمرٌ به يستشكلُ الرّفقاءُ

لكنّ «مارْكِسْ» لم يشأ لك ثروةً
من دونِهم وجميعُهم فقراءُ

أهدى لها جَرَباً فأسقَط شعرَها
وزهتْ عليها بعدَهُ الجِرباءُ

وتقيَّحتْ وسَرَتْ روائحُ نتنِها
فكأنّما فَسُدتْ بها الأرجاءُ

ما زال ينحلُها إلى أن أصبحتْ
تمشي وفيها للكلابِ رجاءُ

حتى إذا ماتت وخلّت بعدَها
قلباً يموتُ لموتِها ويُساءُ

عزّ المصابُ بها وعذرُكَ واضحٌ
إنْ كان لا يحلو لديكَ عزاءُ

أو أظلمتْ كمَداً بعينيكَ الدّنى
وتساوتِ الأصباحُ والأمساءُ

موتٌ لمن ترجو له طولَ البقا
ولمن تودّ له الفناءَ بقاءُ

يا ليتها بقيتْ بقربِك حيّةً
ومضتْ فداها العنزةُ الشمطاءُ(*)

لكنْ إذا شاء الإلهُ فأمرُهُ
لا بُدَّ أن يقضيه كيف يشاءُ

فلها لأجلك كلُّ قلبٍ مُدنفٌ
ولها القوافي الشّارداتُ رِثاءُ

ليت السما ما أنزلتْ مطراً ولم
تُنبتْ حشيشاً بعدها الغبراءُ

تحدث الشاعر جعفر الأمين عن القصيدة التي نظمها الشاعر نور الدين بدر الدين، راثياً فيها معزاتهُ قائلاً: «ماتت ليَ معزاةٌ فأرسل الشاعر الأستاذ نور الدين بدر الدين رثاءً لها في ٩ شباط ١٩٤٥». وكانت للشاعر الأمين قصيدةٌ جوابيةٌ عنوانها: «فَحلَتْ بعيني العنزةُ الجرباءُ».

مطلع القصيدة:

أزرتْ بحالي شيمةٌ سمحاءُ
وتعفُّفٌ وتَجَمُّلٌ وإباءُ

وتعشّقٌ طاغٍ لكلِّ مُحبّبٍ
حملتهُ أرضٌ أو حوتهُ سماءُ

نعِمتْ بتحناني وصدق مودّتي
الناسُ والحيوانُ والأشياءُ

(*) العنزة الشمطاء: زوجة الشاعر جعفر الأمين.

ومن القصيدة:

وحصرتُ بالحيوانِ كلَّ محبتي
فحَلَتْ بعيني العنزةُ الجرباءُ

ودجاجةٌ معطاءُ أُسقِط ريشُها
منْ ضَعفِها وبُسينةٌ برشاءُ

وألذُّ نُطقٍ صارَ عندي حينما
تعوي بقربي الكلبةُ العرجاءُ

ويلذُّ بين كرومكم مشوارُ

هذه القصيدة هي جواب على قصيدة أرسلها الشاعر جعفر الأمين إلى صديقه الشاعر نور الدين بدر الدين الذي قال: «ورغم أن الوقت الذي وردتني فيه قصيدة السيد جعفر السابقة لا يساعد على التفكير والإجابة، بالنظر لتوقع نشوب الحرب بيننا وبين إسرائيل، ورغم أن وضعي الصحي المتقلب، لا يُمكّنُني من الانصراف إلى مثل هذه الأمور، فقد أخذت أغتنم بعضاً من فرص الراحة، وأنظم ما تيسّر حتى كان هذا الجواب في حزيران ١٩٦٧».

من هذه القصيدة الجوابية:

هذا إلى الرّوبِلِّ بات حنينُهُ
وأخو الشراهةِ شفّهُ الدولارُ

أمّا المغالي في العُروبَةِ حسبُهُ
أجرُ الجهادِ الفلسُ والدينارُ

هذي سياستُنا وهذا دربُها
أيُشَدُّ رحلٌ أم عليهِ يُسارُ

أم هل يروقُكَ للوجاهةِ مجلسٌ
برزت بهِ الحُدّاثُ والسُّمّارُ؟

ومضى به عبدُ... مُحدِّثاً
وعليهِ من صدقِ الحديثِ وقارُ

وسمِعتَ أ... للحديثِ مُعَقّباً
لعَرَاكَ مغصٌ أو دهاكَ زُحارُ

آباؤه رُسُلُ الهدايةِ والتُّقى
شُمُّ المعاطسِ سادةٌ أبرارُ

شهد الرواة الغابرون بفضلهم
وبمجدهم تتوارد الأخبارُ

١٨ ـ هجائيات الشاعر عبد المنعم فحص


الشاعر
عبد المنعم فحص

يا طخطخُ

لم يورد الشاعر عبد المنعم فحص(*) في مجموعته اسم الشخص المهجو في هذه القصيدة، ولا هو أفصح عن تاريخ نظمها.

قُلْ لي بربِكَ من بقومكَ يصلُحُ ... لوجاهةٍ وزعامةٍ يا طخْطخُ
كم معهدٍ، كم مسجدٍ قد شيَّدوا ... ما في سِوى نهْبِ الدَّراهِمِ أفلحوا

(*) ولد الشاعر عبد المنعم ابن السيد موسى فحص في النبطية عام ١٩٠٥، متحدراً من أسرة هاشمية تسكن بلدة جيشيت.
منذ يفاعته نظم الشعر الموزون المقفى، عندما ضاقت به سُبُلُ الحياة في الوطن، هاجر إلى السنغال في العام ١٩٢٦، ثم حطّ رحاله في شاطئ العاج، ويمّم وجهه شطر المغرب حيث حظي باهتمام خاص من البلاط الملكي نظراً لانتسابه إلى الأشراف الهاشميين. فعمل في الاذاعة المغربية حتى وافته المنية في أول تموز سنة ١٩٨٦.
في العام ١٩٦٧ صدرت له مجموعة شعرية يتيمة عنوانها «لفح الهجير» حيث قدّم لها الأديب الراحل الدكتور إبراهيم فران، وقد ضمت بين دفتيها قصائد قومية وطنية ووصفية، وأخرى تهكمية لاذعة حيناً وناعمة أحياناً، على حد تعبير «المقدم».

صلُّوا وصاموا للفِرَنكِ وكبَّروا ... حجُّوا وزاروا للنِّفاقِ وسبَّحوا
البُخلُ إنْ مُتُّمْ «يَموتُ»(١) ... والعارُ إنْ عشْتُمْ فلا يَتَزَحْزَحُ
بموتِكُم الصَّخرُ أنْفَعُ للخلائقِ منْكُمُ ... والقِردُ والسِّنَّوْرُ منكُمْ أسْمَحُ
ولقد وزنْتُكُمُ وبعرةَ عنزةٍ ... فوجدتُ أنَّ البعرَ مِنكُمْ أرْجَحُ
ولقد نزعتُ إلى المديحِ فَلَمْ أجدْ ... شخصاً لغيرِ القَدْحِ فيكُمْ يصلُحُ

معركة الفطيرة

نُظِمت هذه القصيدة في دكار ـ عاصمة السينغال سنة ١٩٣٥ بسبب شجار حصل بين صديقين، وهما أخوان، من أجل فطيرة واحدة(٢).

قد كان يومُكِ يا فطيرهْ ... سبباً لمعركةٍ كبيرهْ
أُدْخِلتِ في السِّجْنِ العميـ ... ـقِ وما سواكِ لنا جريرهْ
أرأيتُمُ أخوينِ يقتتِلان من ... أجلِ الخميرةِ والفطيرهْ
كلٌّ يَصُولُ على أخيـ ... ـهِ ولا يَرى أحَداً نَصيرَهْ

(١) استعمل الشاعر كلمة «يُموتْ» بدلاً من «يَمُتْ» للضرورة الشعرية (المؤلف).
(٢) العناوين من وضع «المقدم» الدكتور إبراهيم فران (المؤلف).

هـشَّـمْـتَ «هـاشـمُ» أضـلُـعـي
بـعـصـاً كـصـمـصـامِ الـمْـغـيـرَهْ

فـغَـدَوْتُ مـن ألـمٍ أئـ
نُّ وأصـبَـحَـتْ زُنـدِي كَـسِـيـرَهْ

قـدْ تـبـتُ عـن أكـلِ الـفـطَـا
ئـرِ إنّـهـا حـقًّـاً خـطـيـرهْ

ميتةُ بخيل

نُظِمت هذه القصيدة في داكار عاصمة السنغال في العام ١٩٤٨، وقد هجا فيها الشاعر أحد المغتربين بعد وفاته في هذا البلد.

إذا مـات «عـسَّـافٌ» وغُـيِّـبَ فـي الـقـبـرِ
فبَـشِّـرْ بـمـوتِ الـكـذبِ والـبُـخـلِ والـمـكـرِ
فـلـيـس يُـصَـلّـي مـسـلـمٌ غـيـرَ مُـدْمِـنٍ
عـلـيـهِ ويـبـكـي وهـو فـي حَـالَـةِ الـسُّـكْـرِ
ويـرجِـعُ بـعـد الـدَّفـنِ والـثـغـرُ بـاسـمٌ
إلـى ابـنـتِـهِ والـوَجْـهُ يَـطْـفَـحُ بـالـبِـشـرِ
يُـبـشِّـرهـا: قـد مـات عـسَّـافُ، إفـرِحـي
لـقد فُـزْتِ في إرث سَيقضي على الفقرِ
تعالي اسكري ما اسْطعْتِ يا بنتُ وارقُصي
وغنّي وبعدَ الرَّقصِ بولي على القبرِ

وقد زاد الشاعران يونس يونس وإبراهيم الحاوي هذه الأبيات:

ولا عـجـبٌ أن يـذرُفَ الـدمْـعَ أهْـوَجٌ
عـلـيـهِ نِـفـاقـاً وهـو يـضـحـكُ فـي الـسِّـرِّ
لأنَّ ابـنَ «عـسَّـافٍ» تـزوَّجَ بـنـتـهُ
ويـأمَلُ حصرَ الإرثِ في البنتِ والصهرِ
أهِـنْ بـحـيـاةٍ مـثـلَ هـذي ذمـيـمـةٍ
إذا ذُكِـرَتْ بـاءتْ بـشـائـنـةِ الـذِّكْـرِ
وإنَّ ذمـيـمَ الـذِّكـرِ مـنْ فَـرْطِ لُـؤمِـهِ
يـراهُ بـعـيـنِ الـلـؤمِ كـالـمِـسْـكِ والـعـطْـرِ

...وارتاح ظهرك من عريش الطنبر

نُظِمت هذه القصيدة سنة ١٩٤٤ في (أبدجان ـ شاطئ العاج) في صديق قد اشترى سيارة، وأخذه الزهو والكبر، وكان طنبرجياً في لبنان، وهو ضخم الجسم ملقب بـ«الغزال».

صـلِّ لـربِّـكَ؟ يـا غـزالُ وكـبِّـرِ
فـلـقـد نـجـوتَ مـن الـعـذابِ الأكـبـرِ

ومـلـكـتَ فـي «افـريـقـيـا» سـيّـارةً
فـارتـاحَ ظـهـرُكَ مـن عـريـشِ الـطُـنـبُـرِ

سـيـارةٌ كـم صـفَّـروا لـمـرورِهـا
فـكـأنَّـهـا بـابـورُ طـحـنٍ مُـضـجِـرِ

وإذا عـلا مـنـهـا الـدُخـانُ تـقـولُ: قـد
شـبَّ الـحـريـقُ بـمـخـزنٍ أو مـتـجـرِ

نـادى لـيـبـدِلـهـا بـبـيـضِ دجـاجـةٍ
أعـيـا الـنِـداءُ (ولـم يـجـد من مُـشـتـري)

الأربعَا بعدَ الخميسِ

نُظمت هذه القصيدة في (دلوا ـ شاطئ العاج) سنة ١٩٤٠، أثناء الحرب العالمية الثانية، في أفراد يستمعون إلى الراديو ولا يفهمون الحوادث، فيسأل بعضهم الآخر ـ وهو مدّع الفهم أكثر من الجميع ـ فينقل الأخبار ويحوّرها فتأتي بالعكس ويشتد الجدل، فيسمع الناظم ما يضحك الثكلى، فنظم هذه القصيدة:

إلـهي قـد جـنيـتَ عـلى التُّيوسِ
وقـد عـلَّمـتـهـم عـدَّ الـفُـلُوسِ

فـعافوا الـماءَ مـن «جُرنٍ» طويلٍ
وقـد شـربـوا الـمُـدامَ من الـكُـؤُوسِ

إذا أثـرى امـرؤٌ مـنـهـم جـهُـولٌ
يُـلَـقَّـبُ بـالـزعيـمِ وبـالـرئيسِ

وقـبـلاً كـان مَـعَّـازاً حـقـيـراً
يـعـدُّ الأربُـعـا بـعـد الـخـميسِ

إذا سـمِـعوا الإذاعـةَ ذاتَ يـومٍ
فـلـستَ تـرَى سِوى هـزِّ الـرؤوسِ

وكـم سـألـوا رئـيسـهُـمُ ولـجُّوا
عـن الأخـبـارِ فـي الـحـربِ الـضَّرُوسِ

فـجـاوبـهـم بـأن «أديـسَ بـابـا»
بـأرضِ الـهـندِ فـي حُـكـمِ الـسنوسي

وحـازَ الـتُّـركُ فـي الـيـابـانِ نـصـراً
وقـد أسـروا بـهـا ألـفـي روسـي

يا ساكناً في «سنفرا»

نُظِمت سنة ١٩٥٧ في صديق اسمه ظاهر.

يـا سـاكـنـاً فـي «سـنـفـرا»[1]
مـاذا جـرى لـكَ مـا جـرى؟

سـيـرُ الأنـامِ إلـى الأمـا
مِ وأنـتَ سـيـرُكَ لـلـورا..

قـد أهـرمـتـكَ «الـمـامـيـاتُ»[2]
وشُـلَّ شَـيـلُـكَ واهـتـرا

والـجِـسـمُ أوهـاهُ الـضـنـى
والـوجـهُ صـار «مُـبَـعـجَـرا»

تـبـدو كـقـطِّ الـمـطْـحَـنَـةْ!
لـلـعـيـنِ أشـعـثَ أغـبـرا

لُـذْ بـالـفِـرارِ إذا رأيـ
تَ عـلـى الـطـريـقِ مُـصَـوِّرا

والـجـأْ إلـى وَكْـرٍ بـجـو
فِ الـغـابِ حـتـى لا تُـرى

يـا ظـاهـراً خـيـرٌ لـهُ
فـي الـنـاسِ أن لا يَـظْـهَـرا

(١) سنفرا: اسم قرية في شاطئ العاج.
(٢) الماميات: جمع مامي: أي المرأة بلغة الأفريقيين.

الحجة الكاذبة

نظمت في أبدجان ـ شاطئ العاج سنة ١٩٥٨ وهي موجهة إلى من حجّوا بيت الله الحرام وما تابوا. وزاد كذبهم وحيلهم على الناس، وجمع المال الحرام بعد الحجّ.

قُلْ لِمَنْ حجَّ ولمّا يهتدِ ... ليتهُ من حَجِّهِ لم يَعُدِ
حِجَّةٌ قد خَدَعَ النَّاسَ بِهَا ... فهوَ شرُّ الناسِ في ذا البلدِ
زاد في (النَصبِ) وفي النهبِ ... ولم يتَّقِ الله ولم يسترْشِدِ
لو رأى وسطَ كنيفٍ(*) دِرهماً ... لهوَى في هِمَّةِ المُستشهَدِ
أو رأى في فمِ كلبٍ عظمةً ... قتلَ الكلبَ بسيفِ الحسدِ
وغداً يفنى ويفنى مالُهُ ... ما الذي يأخذ منهُ في غدِ

«حُنين»

نظم الشاعر عبد المنعم فحص هذه القصيدة «سنة ١٩٦٦ في طندا ـ شاطئ العاج».

(*) الكنيف: بيت الخلاء.

لقد ضرط الزمانُ على «حُنينٍ» ... فصار حنَيْنُ ذا سكنٍ ومالِ
فهبّ يشمُّ «ط...» الدهر شُكراً ... فقد أعفاهُ من نكدِ الليالي
فقال: اليومَ زال الفقرُ عنّي ... وكم ساءت لفرطِ الفقرِ حالي
وكنتُ أعيشُ في كمدٍ وحُزنٍ ... وكدتُ أمُوتُ من ذُلِّ السُّؤالِ
سأحرِصُ أن أعيشَ «أميرَ بُخلٍ» ... ولا أخشى الملامَ على فِعالي
وسوف تكونُ داري شبهَ حِصْنٍ ... منيعٍ ليس فيه سوى عيالي
فلا أدعُو الصديقَ إلى طعامٍ ... ولا خجلانُ من عمٍّ وخالِ
يخافُ «حُنَيْنُ» أن يأتي زمانٌ ... فيرجِعُ للخصاصةِ والوبالِ
فيأخذُ منه ما أعطى فيعرى ... ويصبحُ كالحمارِ بلا جِلالِ
إذا عُدَّ الرجالُ ترى «حُنَيْناً» ... يُعَدُّ مع الحميرِ أو البغالِ
وإن أخذوا نصيباً من ثناءٍ ... يكون نصيبُهُ ضَربَ النِّعالِ

نمر الدجاج

نظم الشاعر عبد المنعم فحص هذه القصيدة التي أهداها «إلى الصديق السيد نمر جابر، النمر الفتّاك بالدجاج عندما يشرب الكؤوس».

نـمـرُ الـدَّجـاجِ وربُّ دنِّ الـرَّاحِ
أخـبـرْ لَـكَـمْ أزْهَـقْـتَ مـن أرْوَاحِ

أمـا الـدَّجـاجُ فـسـبـعـةٌ أو تـسـعـةٌ
تُـشـوى فـ «تـقـرُطـهـا» بـكـلِّ صـبـاحِ

كـلَّـتْ يـدُ الـنـتَّـافِ عـن نـتـفٍ كـمـا
كـلَّـتْ يـدُ الـشـوَّا مـعَ الـذبَّـاحِ

أمـا الـخـمـورُ فـبـالـقـنـانـي عـدَّهـا
لا عـدَّ بـالأكـوابِ والأقـداحِ

حـتـى إذا اشـتـدَّ الـهـجـيـرُ حـرارةً
تـمـتـدُّ فـوقَ «الـتـخـتِ» كـالـتـمـسـاحِ

وإذا دُعـيـتَ إلـى الـحـسـابِ بـمـوسـمٍ
تـبـكـي عـلـى الأتـعـابِ والأربـاحِ

أماه أماه...!!

نظمت هذه القصيدة إلى صديق مغترب مقيم في «اتشسلي» «شاطئ العاج»، وكان مريضاً يشكو ويئن من الغربة في إفريقيا السوداء.

أُمَّـاهُ أُمَّـاهُ لا تـبـكـي ولا تـسَـلـي
عـمَّـا أُقـاسـي مـن الآلامِ فـي اتْـشَـسَـلـي

لـقـد رُزقـتُ مـن (الـبـولـي) ثـمـانـيـةً
شبه التياسين تهوى مِشية الحجلِ

أقـضـي الـسـنـيـنَ فـلا رِبـحٌ ولا أمـلٌ
ومـنْ يـعـيـش بـذي الـدنـيـا بـلا أمـلِ

كـم ابـتَـسَـمْـتُ لأيـامـي وكـم عـبـسـتْ
يا ليْتَ شِعري متَى الأيامُ تبسمُ لي؟

والـدَّائِـنـونَ كَـآسـادٍ تـطـاردنـي
حتى هربت إلى «الكنوا» من الخجلِ

١٩ ـ ها لجوازه بدا هيك خـ...!!

اقترنت الحجّه ما. . . بالمؤذِّن محمد. . . ، فألقى بعض الفتيان القاذورات في «المنشل» المحتوي على الماء الذي ينويان الاغتسال به بعد الخلوة الشرعية، وعندما سكب «العريس» الماء على جسده أصيب بتلوث جراء هذه القاذورات. فذهب إلى العين للاستحمام في مطلع الفجر.

وخلاصة الكلام، أن الحاج محمد شكا أمره إلى الشيخ قائلاً: «يا مولانا! لقد عملها بعض الزعران الذين ألقوا الأوساخ في (المنشل) الذي ملأناه بالماء للاغتسال. وعندما سكبتُ الماء على جسدي امتلأ بها»، فضحك الشيخ، وقال بلهجة ملؤها السخرية: «بيني وبينك يا حجّ! هيك جوازي، بدا هيك خـ. . . !!».

٢٠ ـ جعيديات من كفر رمان(*)

I ـ جعيدية حمد نبهان

نظم الشاعر الشعبي حمد نبهان هذه القصيدة في العام ١٩٣٦، إثر قيام لصوص بسرقة محصول «أم علي قاسم» في كفر رمان.

إم عـلـي قـاسـم هـا لـحُـرّا
كـانـت عـمْ تـدْعـي بـرّا

راحـت لَـتـجـيـب الـقـمـحـات
قـالـت: كَـفّـوا عـهـد الـلـه

قـالـت: قـومـوا يـا ولادي
روحـوا لْـداوود وهـادي[1]

هـيـذا بـيـعـطـي إفـادي
مـع إنّـو بـيـاكـل قُـرّا[2]

مـع إنّـو بـيـاكـل جـرجـيـر[3]
وهـلـلـي بـدو يـصـيـر يـصـيـر

وَسْـألـوا أحـمـد جـابـر[4]
مـع إنّـو بـيـنـام بـرّا

(*) من ذاكرة الحاج سعيد علي أحمد الذي أملاها عليَّ في ٢١/٤/٢٠٠٧.
(١) داوود وهادي: داوود وهادي أبو زيد.
(٢) قرّا: عشبة نهرية.
(٣) جرجير: عشبة نهرية.
(٤) أحمد جابر: فلاح من كفرمان.

مسع إنّو بيـنام جوّا ... بيتلطى متل الدّوّا[1]

قوم يا علي قاسم لَيْهُنْ ... إلقي قارّة على قارّة

القيْ قارّة عالضّياع ... ومرّا تاني عالبلاد

راحت لمحمود جواد[2] ... قالتلّو: قوم تْفَرّا[3]

قللا: روحي مْنِ قبالي ... بَلاها هالمقالي

أنا رجّال لَحالي ... مش عم بظهر لَبَرّا

لا عمْ بظهر ولا عمْ شوف ... لْهَوْني الشرف والمعروف

يحسبوا دقني من صوف ... ما شاوروني بالمَرّا

II ـ جعيدية حسن مدلج

في أربعينيات القرن المنصرم ضرب المَحْل في الأرض، فندر العشب في الحقول، وافتقد الفلاحون مواسم الغلال.

(١) الدّوّا: الدوّي طائر ليلي، شبيه بالهدهد. وقد انقرض.

(٢) محمود جواد: محمود جواد علي أحمد.

(٣) تفرّا: أنظر، شاهد.

في هذا العام لم يجد فلاحو كفر رمان تبناً ليعلفوا مواشيهم، ولا أنبتت الأرض عشباً أخضرَ لترعاه دوابهم. فاضطر فلاحو هذه القرية لتسلق الجبال العالية، والوصول إلى أشجار السنديان كي يجلبوا أوراقها علفاً لدوابهم.

من بين هؤلاء الفلاحين رجل يدعى حسن علي مدلج (المعروف بـ «حسن حاج علي») الذي امتلك عدداً من الأبقار سعى إلى تأمين علفها، كما فعل سائر مقتني المواشي من أهالي كفر رمان.

ونظراً إلى تمتع هذا الفلاح بموهبة نظم الشعر بالمحكية؛ كان يوسف بك الزين يرسل بطلبه كلما حضر إلى داره في كفر رمان، من أجل الاستماع إلى جديده الشعري.

في أحد الأيام سأله إذا نظم قصيدة جديدة؟ فأجابه: بالإيجاب، وراح يردّد على مسمعيه هذه «الجعيديةْ»: التي يصف فيها أحوال أبناء كفررمان، وكيفية تعاملهم مع موسم اليباس «المحل».

كل هذا جاء في هذه «الجعيديةْ»، وهي بلسان ناظمها حسن مدلج الذي ضمنها أبياتاً ظهرت، وكأنها تنطق ـ أولاً ـ بلسان «ابن كفر رمان» فيجيبه يوسف بك الزين. ثم يعود الناظم إلى أبناء كفر رمان ليصفهم فرداً فرداً.

ابن كفر رمان

شو هالسِني المنحوسي ... والبقر مات من الجوع

عالورق قمنا الدّوسي[1] ... وقالولي: الورق ممنوع

رحنا من هون عالغارة[2] ... قالوا: بتحطّ خسارة

(١) الدّوسي: المشي الاقتحامي.

(٢) الغارة: بقعة في مزرعة العرقوب، الواقعة في خراج الجرمق.

يا سِيـيدي لا تتْجَارا[١]
وها لسني العتب مرفوع

يوسف بك الزين

مش عم بتجارا عليكن
بس اقزعوا[٢] بديكُنْ
ولِيسترجي يحاكيكنْ
بخلّيلو ظهرو مخلوع

ابن كفر رمان

يطوّل عمرك سِيدي البيك
بْحَيْثْ مشيْتْ هالحالي هيك
نِحنَ عبيدك بَنْ دَيْك
وشِانكْ عالعَالَم مرفوعْ
وسرقنا شهر هْلالي[٣]
وارتحت وهِدي بالي
وكلمن هيّر زْمِالي[٤]
واستَلمْ طريقو طلوع

(١) تتجارا: تجور.
(٢) أقزع: المصدر: قزع، يقال: قزع الغصن، أي قطعه أو قصفه.
(٣) شهر هلالي: شهر قمري.
(٤) زمالي: دابّة.

وصف واقع حال أبناء كفر رمان

علي أحمد أبو زيد

علي أحمد ما يخالف
لرفيقو علي يعقوب
عا لْدورات[١] ما نِو عارف
راحوا عا أرض العرقوب
رجعوا والطوفان طايف
وشِقحة[٢] لَخناقو بيضرب
قللو مِنك مشّ خايف
وهونْ العاصي بدّو يطْوع

بلسان خليل محيدلي

خليلَ يا بْو زعنوني[٣]
مَرْتو شّو ها لنَبّاحةْ
إمّو لِبقا الداهوني
وبيتو بيفتح عالساحةْ
قللاَ يا مّي شْغفيني
واليوم ما فهش شْراحةْ[٤]
اندهيلي لَدَحّنوني[٥]
وظهري من الخَلّي مخلوع

(١) الدورات: قطع أرض فوق الميذنة، تقع على طريق عربصاليم.
(٢) شقحة: نبع في الميذنة.
(٣) الزعنوني: وعاء فخّار صغير.
(٤) شراحة: الذهاب إلى الحقل.
(٥) دحنوني: امرأة من كفررمان، امتازت بظرفها.

بلسان كاظم محيدلي(*)

إمّو لكاظم بتغار
والتبّاني مَلاني
بتقللو: يا علي ظْهار
على حصان الحمْداني(1)
جيب الحَطَبات للدار
وأهدم كعب السنّداني
إظهر يا كاظم إظهر
ولا تدَوْحِلْ متل النعنوع(2)
حمد(3) قالا: يا نهيل(4)
عملتيني شبّ وجاهل
حملتِك على ظهري
واكتر من هيْكْ بستاهل
علي بيتمقطع فيي
وإنتي كلامِكْ زاحل(5)
دشّرنا الفلوحيِّهْ
وخلّينا الموسم مزروع

(*) كاظم: لقب علي محيدلي.
(1) حصان الحمداني: هو مضرب مثل باعتبار فارسه كمثل سيف الدولة الحمداني.
(2) النعنوع: متسول من النبطية.
(3) حمد: حمد نبهان.
(4) نهيل: زوجة حمد نبهان.
(5) زاحل: خارج عن أصول اللياقة.

بوّ مسلم(1) بهيكي دار
يا بطل ما لو تاني
إظهر يا عبد(2) إظهر
شوف الضيعا خرباني
هيذاكْ يعقوب يا معتّر
ناطر عِشب الحتّاني(3)
ما بيطلعش لا آذار
بنكون خلّصنا من الجوع
علي قاسم ركب الجَحشي
وقللا: يا إمي دْعيلي
قارّهْ ما بتوقفش قبالو
إن حَمَل فرد وسكيني
لو تنظر برْمَات عقالو
عا غلْظ فَنْد التيني
وحَطِتو وشِرْوالو
بيْسّوو ملكيّات جرجوع

---

(1) بو مسلم: محمد مسلم ظاهر.
(2) عبد: عبد الحسن ظاهر.
(3) الحتاني: قطعة أرض في الميذنة.

فلاحون من كفر رمان(*)

راحوا عا حاروف بْمشابةْ ضيوف — لَعِندْ بو معروف[1] مختار البلد
قللنْ: تبن ما عاد في كل البلاد — وعلي قاسم غاد ينْدَه يا حمد[2]
فات الحِمْل بالوطى[3] كدّ وخطى — الدنيا بِرعيد وبِشتا والريح جاد
قامت إمو[4] بالصياح والْولولي — وقالت: إجاني علي متل الأسد
قللا على الحارِك: قومي ورْحَلي — وين الحْمارا صارت بأيّا بلاد؟
قالتلو: ما فاتت دياري ولا في مَنْزَلي — من أجلها لَبّستني توب السَواد

(*) توجه فلاحون من كفر رمان إلى حاروف لشراء التبن، فضربتهم عاصفة شتاء فرّقت شملهم. وفي هذه الأبيات يصوّر الناظم معاناتهم عند عودتهم إلى قريتهم (المؤلف).

(١) أبومعروف: كنية أطلقها الناظم على مختار حاروف.

(٢) حمد: حمد نبهان.

(٣) الوطى: قطعة أرض واقعة بين النبطية وكفر رمان.

(٤) إمو: والدة علي قاسم.

٢١ ـ لُطف الحاج محمد طقش


الحاج محمد طقش
«أبو أحمد»

عندك دبس وبتشكي من العصبي؟!.

قدم أحد أبناء قرية في أقليم التفاح إلى النبطية كي يحضر سوقها الأسبوعي الذي يقام يوم الاثنين، وعرّج على محل الحاج محمد طقش «أبو أحمد»، فشكا له داء العصبي المزمن الذي حلَّ به، وطلب إرشاده إلى طبيب يستطيع معالجته من هذا الداء العُضال؟!، فأجابه، أن لا ضرورة للذهاب إلى عيادة أي طبيب!!، وخاطبه بالقول: «ولوّ! يا حيف عليك!! دواك من أبسط ما يكون!!، جيب دبس واشلح بالزلط متل ما الله خلقك! وقول لَمَرْتك تدهن جسمك بها لدبسات بِعزّ الظهر!!، وقعود على مستراح التين شي ساعتين تلاته!! وبإذن الله حتصح من مرض العصبي!! وتصير متل الحصان!!، ولوّ! عندك دبس وبدك تروح لعند الحكيم!!».

فانطلت الحيلة على هذا الرجل، وعندما عاد إلى قريته قام بتنفيذ التعليمات التي أعطاه إياها «أبو أحمد»، وأوعز إلى زوجته بدهن جسمه بالدبس، وقعد على مستراح التين، فتحركت جحافل النحل والدبابير والزراقط القادمة من كل أرجاء إقليم التفاح!! وأعملت لسعاً في جسده، فأصيب جلده بالتورم والانتفاخ!! فحُمِلَ ـ وهو في الرمق الأخير ـ إلى أحد مستشفيات صيدا، حيث عولج بالأمصال والمراهم،فتماثل للشفاء من داء العصبي، نتيجة للصراع ما بين «السموم»

و«مضاداتها»، مما أسفر عن اكتسابه المناعة!! فحمد الله وشكره، وقصد «أبو أحمد» حاملاً إليه هديةً قيمة جراء وصفته التي أدت إلى شفائه من هذا الداء العُضال!!، ورُبَّ ضارةٍ نافعة!!.

ميّة النقير بدل النبيذات!!

جاء أحد أبناء حيطورة بقنينة من النبيذ المعتّق إلى أحد أصدقائه، وعندما حضر إلى منزله في النبطية ولم يجده، أودعها أمانة في محل الحاج محمد الطقش «أبو أحمد» الذي عمد إلى استبدال النبيذ بـ«ميّة النقير»(*).

بعد أيام عاد صاحب قنينة النبيذ إلى محل «أبو أحمد» حيث استرد وديعته، وتوجه إلى منزل صديقه وأهداه إياها، فشكره على تجشمه عناء القدوم من قريته، ولجلبه له هذه الهدية القيمة، ودعاه إلى تناول طعام الغداء.

قبل تناول الطعام سكب بعض ما في القنينة في الكأس، حاسباً إياه نبيذاً معتقاً، وحين أدنى الكأس من فمه شمَّ رائحةً كريهةً، فأدرك أنَّ ما في القنينة ليس بالنبيذ!!، بل توجد مادة أخرى، وأعلم مهديها بهذا الأمر، فاكتشف هذا الرجل أنَّ القنينة تحوي على «ميّة النقير»،فعاد مسرعاً إلى «أبو أحمد»، وعاتبه على فعلته، فأنكر «الحِلّه وغطاها»، لكن صاحب القنينة أصر على اتهامه باستبدال «ميّة النقير» بالنبيذ، وسأله: «إذا كنتْ مش إنْتِ إللي استبدل النبيذ بميّة النقير، مين بدو يكون عمل ها لعمله؟» فأجابه أبو أحمد: «بالقرآن الكريم آية تقول: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾. فالخمر من عمل الشيطان الذي حضر إلى محلي وشرب الخمر اللي هوّي من عملو، وشو بعمِللو، أنا فيي للشيطان يا خواجه؟!! الخمر من عملو وشِرْبو!!، وحط محلّو مية نقير!!».

(*) ماء النقير: يقوم الإسكافي بنقع نعل الحذاء في مياه مسكوبة بسطل، فيسمى الماء الذي ينقع فيه النعل «ماء النقيع». لكن العامة حرّفت كلمة «نقيع» فأصبحت «نقير» (المؤلف).

خوذ يا جار! عبّيلي بها لقنينه كاز!!

ذات ليلة ظلماء شكا «أبو أحمد» إلى زوجته الأنانية الغالبة على طباع الناس في هذا الزمن الذي طغت فيه روح الطمع وقيم الأثرة، وخاطبها: «يا مَرا! ما حدا بها لإيام بيقول: خوذ، بل بيقول: هات!!». وإذ بباب البيت يقرع، فدخل أحد الجيران مخاطباً «أبو أحمد»: «خوذ يا جار!..»، عندها انفرجت أسارير «أبو أحمد»، وهمس في أذن زوجته: «إجت والله جابها يا حجّي!». ولم يكد يتم جملته حتى تابع الجار كلامه بالقول: «خوذ يا جار! عبّيلي بهالقنينه كاز!!».

٢٢ ـ عالمراح يو!! متل مبارح يو!!

يحكى أن امرأة تمتعت بقدرٍ عالٍ من الجمال والأخلاق الحميدة والسمعة العطرة، قد أحبت رجلاً، وولهت به ولهاً شديداً. وشاءت الأقدار أن تحقق لهذه المرأة مناها، وأن تصبح زوجةً لهذا المحبوب. فقضيا أياماً مشهودة في السعادة والهناء. لكن تباً للدهر الذي فرّق الحبيبين وأبعد ما بينهما. فغادر الزوج إلى المهجر طلباً للرزق، بعدما ضاقت به السبل؛ ولأن غيبته طالت في بلاد الغربة، كاد أن ينسى زوجته المسكينة المنتظرة في الوطن؛ وكلما طالت الأيام، ازدادت زوجته تعلقاً به وحباً له، لكن ذلك الزوج قطع كل الوشائج، وزوجته المتربصة تعد الأيام والسنين بانتظار عودته!! وكان أن لجأت إلى وسطاء الخير لإعادة وصل ما انقطع بزوجها الذي طال غيابه، لكن ذلك لم يُجدِها نفعاً!!، فلجأت إلى النذور، فلم تدع صالحاً من الصالحين أو ناسكاً من النُسَّاك إلا نذرت له النذور!!، وطرقت أبوابَ كاتبي أحجبة المحبة وتأليف القلوب!!. لكن هذه «الوسائل» لم تُجدِ فتيلاً. فنذرت نذراً قوامه أن تقوم بإلقاءِ نفسها ـ إذا عاد زوجها ـ مدة أسبوعٍ كامل في حضن «القُرَيَّاني»، وهو من أشد الناس شبهاً بأحدب نوتردام!!.

شاءت الصدف أن يعود الزوج إليها من غربته بعد طول غياب، وأن يلتئم الشمل، وأن تعود المياه إلى مجاريها؛ فزين الشيطان لهذه الزوجة، أن تفي بهذا النذر!!. فانطلقت في ليلة صيف مقمرة إلى مراحٍ في قرية أرنون حيث كان يقيم «القُرَيَّاني»، لا يجاوره أنيس أو حسيس. وكان أنْ وصلت إلى المراح، وبعد تردد حسمت خيارها، واقتربت من «القُرَيَّاني» الذي أفاق من غفوته خائفاً مذعوراً وهو يصرخ: «إنتِ إنسيّه ولاّ جنيّه؟» فأجابته: «إنسيّه من خيار الإنس!!»، وراحت تراوده عن نفسها!!، وكان أن قضى منها وطراً!!، فأمضيا ليلةً حمراء، روى فيها

غليله بعد طول حرمان!!، وواقعت هذا «الفحل» على مدى ليالٍ سبعٍ متواصلات!!. وفي الليلة الثامنة انتظر «القُرَيَّاني» قدومها، فلم تأتِ. وبعدما أعياه الانتظار راح يصرخ: «عالمراح يو!! متل مبارح يو!!». فوصلت أصداء صرخته إلى أقاصي البرية. واستمر على هذا المنوال عدة أشهر!!. أما هي فأدركت هول الإثم الذي أقدمت على ارتكابه!!، وأخذ ضميرها يؤنبها على فعلتها المنكرة!!، فاستغفرت الله على ما اقترفته من ذنب عظيم!!.

٢٣ ـ تأدب ياموسى!!

نقد الحاج قاسم ص... نجله الوحيد علي مبلغ ٢٥ قرشاً لأجل حلاقة شعر رأسه، وبينما هو متوجه صوب المُزيِّن، مرَّ على محل لصنع الحلويات، فلمح «سدر نموره» فسال لعابه عند مشاهدته، واشترى بالنقود التي زوَّده والده بها ما تيسر من هذه الحلوى؛ وبعد التهامها عاد إلى المنزل، فلما شاهده والده ورأسه غير حليق، استفسر منه عن السبب؟ فشرح له ما جرى، فأعاد تزويده بمبلغ مماثل لذلك الذي قام بصرفه على شراء «النموره»؛ ثم توجه مجدداً إلى صالون الحلاقة، فشاهد في محل الحلوى «سدر شعيبيات»، فاشتهى هذه الحلوى، واشترى أربع قطع منها، ودفع مبلغ ٢٥ قرشاً ثمناً لها، ورجع للمرة الثانية إلى منزل والده الذي ما أن شاهده غير حليق الشعر حتى أبدى انزعاجه من ذلك، وسأله عن السبب الذي حال دون حلاقة شعره؛ فأجابه، دون خوف ولا وجل: «والله يابيي اشتهيت الشعيبيات، واشتريت بالربع ليره أربع قطع منهن، شو بعمل نفسي فتحت عليهن؟».

فامتعض الوالد منه أشد امتعاض وأعطاه، للمرة الثالثة، ٢٥ قرشاً، وشدَّد عليه بأن يقوم بقص شعر رأسه وإلاَّ... فأبدى الطاعة، وتظاهر بالإمتثال لمشيئة والده!!. وأسرع بالذهاب إلى الحلاق كي يقص شعره، وأثناء اتجاهه إلى الصالون عبَر بمحل الحلويات، فشاهد «سدر المشبَّك» عندها تحرَّكت شهيته إلى هذا الصنف

من الحلوى، واشترى بالمبلغ الموجود معه، قطعاً منها، وعاد إلى البيت لا يلوي على شيء.

حين شاهده الأب وهو لم يحلق شعره بعد، جن جنونه، وصرخ به سائلاً عما فعله ـ للمرة الثالثة ـ بالمبلغ الذي نقده إياه من أجل قص شعره، فأجابه ببرودة لامتناهية: «عجبتني يابيِّي أكلة المشبَّك، فاشتريت بالربع ليره كم قطعه!!».

عندها اعتبر والده أن السيل قد بلغ الزبى، وأن ما فعله ولده علي لم يعد يحتمل، وشكل تجاوزاً لكل المحاذير!!، فما كان منه إلا الإمساك بعصاه الغليضة، واندفع ليضربه بها؛ وحين همَّ بذلك، صاح نجله: «تأدب ياموسى! بطني أبْدى من كل شيء!!».

٢٤ ـ كل ما بيطلع جيل طلاع معو!!

عندما بلغ ج... مبلغ الرجال، خاطب والده قائلاً: «بسّ يكبروا رفقاتي يا بيِّ! مع مين بدي امشي؟». فأجابه: «بكرا يا بني بتكبر! وإذا حسِّيت إنك ما كبرت كل ما يطلع جيل طلاع معو!!».

٢٥ ـ إن سبّني الدون!!

عندما علم ر... أنَّ «أبو منيف» وأولاده يرعون مواشيهم في مقبرة النبطية، توجه إليها وبرفقته هـ....

حين اقتربا منها شاهدا «أبو منيف» وأولاده يرعون ماشيتهم في هذه المقبرة، مما سبّب بتلويثها، ونشر الأقذار في أرجائها وتكسير شواهد قبورها!!؛ فطلب ر... منهم الكف عن رعي الماشية في هذه المقبرة، فما كان من «أبو منيف» إلا وخاطبه بالقول: «إذا مش عاجبك شيل قبر بيّك من هون!!».

عندما أراد هـ... التصدي لهذا الرجل نهاه ر... عن هذا الأمر، ثم انصرف عائداً إلى منزله.

في اليوم التالي طلب ر... من هـ... الذهاب إلى السوق وشراء حاجيات بقيمة ١٠٠ ليرة، ومن ثم أخذها إلى منزل «أبو منيف»؛ وبعد تردد، توجه إلى السوق، وقام بشراء هذه الحاجيات؛ وذهب بها إلى منزل «أبو منيف»، وسلمّه إياها له، كعربون صداقة ومحبة!!. فراح هو وأولاده يلهجون بالدعاء بطول العمر لمرسل هذه الهدية. وأصرّوا على التوجه إلى منزل ر... لشكره على عطائه الجزيل، وهم يطلقون الأهازيج، ويرددون أسمى آيات الشكر، مرفقة بالابتهال إلى الله عزّ وجل أن يحفظ هذا الشهم المعطاء ذخراً للمحتاجين وأبناء السبيل!!. فتوجه إليهم بالشكر القلبي على تجشمهم عناء القدوم إلى منزله، الذي يعتبره منزلهم الصغير!!. وأمر خادمه بأن يُحضر كيلو غرامين من «دخّانه» الخاص إلى «أبو منيف» ولكل ولد من أولاده، فشعروا بأن هذا الرجل قد غمرهم بفضله. وشكروا هذا الأريحي على عطائه الجزيل، وقدموا له الاعتذار عما بدر منهم في الأمس، ووعدوا بصون هذه المقبرة برموش عيونهم!!.

حين تساءل هـ... عن سر هذا الكرم الحاتمي نحو هؤلاء الناس الذين ارتكبوا إساءة لا تغتفر؟ كان جوابه: «ألم تسمع بهذا البيت الذي ينضح بالحكمة؟»:

إن سبَّني الدون ما لو أهل لِينْسَبّ
وإن عضّني الكلب، شو رأيك بْعضّ الكلب؟

٢٦ ـ خِلِق دعيجان يوم فقّع إبن النبطيه عاوضحه!!

روى أحد ظرفاء النبطية، أنه كان من عادته وعادة نفر من أصدقائه الاستيقاظ فجراً، وقضاء تلك الصبحية في بيت أحدهم، بالمناوبة. وكان يقيم في ضواحي النبطية ـ في تلك الأيام ـ بعض البدو من أصحاب الماعز والغنم التي يعيشون من بيع حليبها ولبنها. وكانت نساؤهم يقمن بالبيع في الصباح الباكر جداً.

يقول: وبينما كنت ذاهباً إلى بيت صاحب النوبة في ذلك الصباح الباكر، وضياء الفجر بالكاد كان يُظهِر معالم الأشياء، والهدوء يخيم على الشارع، ولا حسيس ولا أنيس هناك. وإذا بي أشعر بـ «فقاقيع» تجوب في أسفل بطني، فضبطت نفسي وتركت «الفقاقيع» تتجمع لتتحول إلى فقاعة كبيرة يكون لها وقع وصدى في هذا الجو الهادي إذا أفلتها. ولما أصبحت «الفقاعة» على فوهة بيت النار، أطلقت لها العنان فكانت طلقة وكأنها من مدفع هاون.

وسرعان ما سمعت صوت استغاثة من أحد المنعطفات أوقف شعر رأسي. والتفتّ نحو الصوت فإذا هي بدوية تهتز وترتجف ويكاد وعاء اللبن يقع عن رأسها. ولما اقتربت منها صاحت بي: «ما تخاف اللّه يا شيخ؟! ـ ما لك دين! ـ ولَك نحنا إسلام!»؛ وكأن الضراط من عمل الكفار!!...، ونكاية بها وإمعاناً في إغاظتها...، أخذت أضرب على بطني وأهز وأغربل جسمي، وأعصر نفسي حتى لم يبق في معدتي ولا في أمعائي ـ سواء الدقيقة منها أم الغليظة ـ أية طلقة، أما هي فقد فرت هاربة صائحة نائحة!!.

هذا ما رواه الشاعر جعفر الأمين(*). أما ما سمعته من المتقدمين في السن إكمالاً لهذه الرواية، فأورده فيما يلي:

بعدما سمعت وضحة البدوية دوي «فقعات» أحد أبناء النبطية أسرعت إلى قومها مهرولة، وهي تستغيث مذعورة: «يا أهلي! يا جماعة الخير! يا ربعي! يا أهل النخوه ورجال الحميه! بنتكم وضحه نعمل فيها اللي ما بينعمل بالنبطيه!! الله عليهن أهالي هالبلد، الحقوني! الحقوني»!. فحسب البدو من أبناء عشيرتها أن أحداً ما في النبطية قد اعتدى عليها!! ولما سُئلت عما جرى معها أثناء ذهابها إلى سوق النبطية أجابت: «في واحد من أهل هالبلد رفع فخدو وراح يفقّع عليي وكان صوت الفقعه تاعو سمعتو كل الناس!! ونقزني وجفّلني وجرح حشمتي!! الله عليهن أهل النبطيه ما في ولا واحد منهن قللو: استحي ليش عم تفقّع قدام هالحرمي!!».

فشكل البدو وفداً منهم توجه إلى أحد مختاري النبطية حيث شكوا له ما حصل لإحدى عقائلهم من إقدام أحد أبناء البلدة على «التفقيع» بحضورها!!. فضحك «المختار» حتى الثمالة، وأجابهم ساخراً: «يا رجال! هالرجّال فقّع على المرا، روحوا فقّعوا عليه وواحده بواحده!!».

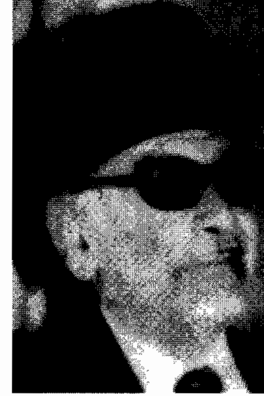
فاشتد غضب البدو، وعاتبوا المختار على قولته هذه، وانصرفوا وهم يرددون: «بدك تكحلها يا مختار عميتها!!، حِنا ما نفقِّع متل هالفقَّاع!!».

في ذاك اليوم وضعت بدوية مقيمة في الخيم المنصوبة قرب النبطية غلاماً أسمته: دعيجان.

وحين أرّخ أهله لولادته كانوا يقولون: «دعيجان ولد يوم فقّع إبن النبطيهْ عا وضحه!!».

(*) أوردها الشاعر جعفر الأمين في كتابه «الأمثال العامية في جبل عامل»، ص ٢٦ و٢٧.

٢٧ ـ وهبني لساناً ينطق الصدق مرّةً!!



الشاعر
محمد الباقر إبراهيم

عمل الشاعر محمد الباقر إبراهيم «أبو عدنان» مُدرِّساً في مدرسة خرطوم الرسمية، ونظراً لكونه من سكان الدوير، فإنه كان مضطراً للذهاب في أيام الدراسة إلى قرية خرطوم سيراً على الأقدام.

صبيحة يومٍ من أيام فصل الشتاء توجَّه «أبو عدنان» إلى قرية خرطومٍ، وكان الطقس في الإصباح مائلاً إلى الصحو، لكنه تغيَّر فجأة، فأبرقت وأرعدت، وانهمر المطر بغزارة، وعصفت الريح، مما حمله على تغييروجهة سيره، والتوجه نحو الشرقية، والبقاء فيها ريثما تنجلي العاصفة.

من وحي هذه المعاناة نظم «أبو عدنان» هذه القصيدة:

ذهبتُ إلى الخرطومِ والغيثُ هاطلُ
وفي الجوِ رعدٌ أينَ منهُ القنابلُ؟

تدفّق ماءُ المُزنِ فالسهلُ أبحُرٌ
وسالت دروبُ الناسِ فهي جداولُ

فقلت لنفسي، إن أردتِ سلامةً
وكان لكِ عن منهلِ الموتِ شاغلُ

هلُمي إلى الشرقيةِ الآن أسرعي
ففيها لنا عند الكرامِ منازِلُ

بها تجدي... مُسَوداً
ولا غروَ فهو العبقريُّ المناضلُ

سأمدحهُ حتى أُخلِّدَ ذِكرهُ
وإن لامني فيما أقولُ العواذلُ

سلوا الليل عنه كم تبتل ضارعاً
إلى الله يدعو والدموعُ هوامِلُ

يناجيه: يا رباهُ! هَبنيَ قُوّةً
ترضّى بها عنّي النساءُ الأراملُ

وهبني لساناً ينطِق الصدقَ مّرةً
وما عِشتُ ذرني للملاحِ أُغازلُ

بعد حين توجه الحاج إلى العلاّمة الشيخ محمد تقي صادق حيث تمنى عليه تكليفه أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام نيابة عن أحد المتوفين الموصين بأداء هذه الفريضة. فطلب العلاّمة الشيخ أن يقوم بالتعريف عنه شاهدان من العدول، نظراً لعدم وجود سابق معرفة به. فسمى اثنين، أحدهما الشاعر محمد الباقر إبراهيم، فأثنى العلامة الشيخ على هذا «السيد» التقي الورع، وطلب إلى الحاج إحضاره إليه؛ فتوجه تواً إلى منزل «أبو عدنان»، ورغب إليه بالذهاب إلى لقاء الشيخ محمد تقي صادق للتعريف به، وأمل منه أن ينشد بحضرته قصيدة المديح التي ضمنها تقريضاً له، لأن الشاعر محمد الباقر إبراهيم كان قد أسمعه الأبيات الستة الأول منها، وأخفى عنه الأبيات الثلاثة الأخيرة التي تتضمن هجاءً له!!.

فاعتذر «أبو عدنان» للحاج عن القيام بهذه المهمة، لكن إزاء الإلحاح الشديد من هذا الزائر اضطر للقبول.

حين الالتقاء بالعلامة الشيخ، أمسك الحاج بناصية الحديث، وأخبره بأن

الشاعر إبراهيم قد نظم قصيدة فيها كيل المديح لشخصه، فأبدى العلاّمة الشيخ الرغبة في سماع هذه القصيدة، فاستجاب «أبو عدنان»، وأنشد هذه القصيدة كاملة من دون أي نقصان، فاستلقى العلامة الشيخ محمد تقي على ظهره من شدة الضحك، بينما أصيب الحاج بالذهول عندما سمع الأبيات الثلاثة الأخيرة التي تحتوي على تعريضٍ بشخصه!!، وقد استفاق من ذهوله، عندما خاطبه العلامة الشيخ محمد تقي صادق بالقول: «سوف أؤمن لك القيام بحجتين وليس حِجه واحده، كرمال الذي أثلج قلبي بهذه القصيده الطريفه!!».

حين غادرا منزل العلامة الشيخ، افترق الحاج عن الشاعر،وأقسم بأغلظ الأيمان على أن لا يكلمه بعدها طوال حياته، واستمرت القطيعة لعقدٍ من الزمن، لكن العلاَّمة الشيخ محمد تقي صادق قام بإصلاح ذات البين بينهما، فعادت المياه إلى مجاريها.

٢٨ ـ القرق بين الشاعرين إبراهيم وحرقوص

قصيدة الشاعر محمد الباقر إبراهيم

تدلّى «قرقٌ» للشاعر محمد الباقر إبراهيم، فأجريت له عملية جراحية في مستشفى الجنوب في صيدا على يد الدكتور وهبي شعيب، وبينما هو في طور النقاهة في منزله في الدوير، بلغه أن العلاّمة السيد علي مهدي إبراهيم صدمته سيارة وكُسر ساقه، وأنه في المستشفى المذكور، وبقصد المداعبة والاعتذار لعدم زيارته له وللترويح عنه أرسل له هذه الأبيات:

الدهرُ مُذْ كان دهرٌ ظالمٌ عاتي
أما الدليلُ على هذا فبيضا...

تضخَّمت ورَبَت بالماءِ وانتفخت
قُرقاً تدندَلَ مثل الضرعِ للشاةِ

من فوقِهِ نام ذاك الشهمُ مكتئباً
لهفي عليه صريعاً شبهَ أمواتِ

إنّ المصائبَ في الدنيا منوعةٌ
لكنما القرقُ من أدهى المُصيباتِ

فالقرق يخفي ويمحو اسم صاحبه
مستبدلاً باسمه «أخ...» الكناياتِ

لهفي على زمنٍ كالحُلمِ مرَّ وما
شكوتُ لأهلي سوءاً أو بُنيّاتي

أنامُ في الليل كي أغفو فيُنقُلُني
حلمٌ إلى حالةٍ من خير حالاتي

والنومُ من بعدُ لم أظفرْ بلذتهِ
لمَّا سلبتُ من «المذكور» لذاتي

قالوا: شعيبُ يزيلُ القُرقَ في عجلٍ
فاذهب إليه ولا تخش الجِراحاتِ

لبّيتُ أمَرهُمُ توّاً ورُحت إلى
«وهبي» وقد زاد نبضي بضعَ نبضاتِ

جعلتُ روحي وقُرقي رهنَ مِبضعهِ
مستسلماً للمنايا بِضعَ ساعاتِ

ثم انتبهتُ فلا قرقٌ ولا ألمٌ
ماضي العزيمةِ للمستقبل الآتي

... وقصيدة الشاعر عباس حرقوص

. . . وتدلى «قرق» الشاعر عباس حرقوص فأُدخل إلى مستشفى غندور الكائن في النبطية الفوقا، فأجرى له الدكتور عادل غندور عملية جراحية تكلّلت بالنجاح، وإثر إبلاله عادت به الذاكرة إلى القصيدة التي نظمها الشاعر محمد الباقر إبراهيم عند إجرائه لعملية مماثلة، فنظم قصيدة «مماثلة» لتلك التي نظمها «أبو عدنان» وهو في طور النقاهة بعد إجرائه للعملية.

قُرقي تدلّى وزاد الفِتقُ آهاتي
ونام ديكي حزيناً فوق بيضا. . .

فتقٌ تسرّب منه الريحُ واشتغلت
معزوفةٌ لسُعالٍ دون ميقاتِ

طلّقتُ سيكارتي لكنها تركت
ذكرى تثيرُ أحاسيسي ورغباتي

والقُرقُ بين نزولٍ أو طلوعٍ لهُ
كرّاتُ نرجيلةٍ. . . يا للمُصيباتِ

إذا قرأتُ حديثاً بين مجتمعٍ
أثناء تعزيةٍ أو شِعرِ مرثاةِ

سمعته من جرابِ البيض ردّدهُ
بالانفتاح. . . بأنّاتٍ وعنّاتِ

رفعتهُ في حزامٍ زاد من ألمي
وقصّر الضّغطُ عند السير خطواتي

مصيبتي يا أبا عدنان قسَّمَها
بيني وبينك دهرٌ ظالمٌ عاتي

يا للمصيبةِ من فتقين قد وُلِدا
قُرقين قد حرّما قفزي على الشاةِ

كلُّ المصائب عند «القفزِ» هيّنةٌ
وَالهفَ قلبي على أيامِ لذاتي

فاهنأ «محمدُ» في هذا الشفاءِ وطبْ
فيكَ المعالي احتفت مع خيرِ ساداتِ

قُرقي بقُرقكَ أرجو اللهَ يُلحِقُهُ
في خير شقٍّ وضمٍّ للجراحاتِ

على يدي «عادل الغندور» خيرِ فتىً
فخرِ الأطباءِ.. أدرى الناسِ في ذاتي

حتّى أُجَدّدَ للأيام بهجتها
فوق «المطيّةِ» في المستقبلِ الآتي

٢٩ ـ لطائف الشاعر عباس حرقوص

بجيابي النحس تعبّا...!!



الشاعر عباس حرقوص

من الحوادث الطريفة التي حصلت مع الشاعر عباس حرقوص[*] إذ اعترضه ـ أثناء انتقاله من عبّا إلى قريته حاروف ـ حاجز لجهاز المكافحة «الوردان» التابع لشركة «الريجي»؛ وكيف استطاع بفضل سرعة بديهته أن يرتجل أبياتاً من الشعر، مما أدى إلى امتناع رئيس الدورية عن مصادرة «الكيلوغرام» من التبغ الذي كان بحوزته.

(*) الشاعر عباس حرقوص «أبو محمد» (المعروف بـ«عباس الحاروفي») (١٩٢١ ـ ٢٠٠٦) هو شاعر شعبي، غنّى العتابا و«الشروقيات» و«الموشحات» و«القرّادي» وغيرها من فنون الزجل، كما اشتهر بقصائده الغزلية و«الفراقيات»، ويقرض الشعر الفصيح، ويؤرّخ بالحروف نظماً للولادات والوفيات. حيث أنك لا تدخل عيادة طبيب في مدينة النبطية وضواحيها، ولا داراً لأحد الزعماء أو رجال الأعمال. إلاّ وتشاهد لوحة كبيرة مكتوبة بخط واضح جميل وأنيق، وقد عُلقت على الجدار في مكان بارز ملفت للنظر، وقد يدفعك فضولك إلى قراءة ما كُتب فيها، فتجد نفسك أمام قصيدة تشيد بمهارة هذا الطبيب، أو بفضل صاحب تلك الدار وكرمه وطيب أرومته؛ أو هي أبيات من الشعر يؤرخ فيها هذا الشاعر تاريخ بناء الدار أو ولادة رب المنزل أو أحد أفراد أسرته. وأرباً بك من الذهاب إلى زيارة المقابر لتقرأ تاريخ وفاة صاحب هذا الضريح أو ذاك شِعراً؛ حتى إذا أردت أن تتعرّف إلى صاحب هذا الشعر وجدت نفسك وجهاً لوجه أمام الشاعر حرقوص. ومن في الجنوب اللبناني عامة ـ وفي مدينة النبطية ومنطقتها خاصة ـ لا يعرف الشاعر المقوىّ الحاج عباس «أبو محمد»؟!.

رغم أنه شاعر بالمحكية، فهو أيضاً يقرض الفصيح، وأديب فكه، خفيف الروح، حاضر الجواب، سريع البديهة. مجلسه شيق ممتع يطرد الهمّ من القلب، كما أنه يتمتع بأسلوبه المميز في الكلام والتعبير. فلا تتمالك نفسك _وأنت تسمعه_ من الاستغراق في الضحك المتواصل حتى =

روى الشاعر عباس حرقوص هذه الحادثة بأسلوبه الشيّق، إذ قال: مرة من المرّات نمنا ليلة في بلدة عبّا في منزل أحد الأصدقاء، وصودف يومها أنه كان في البلدة رجل يفرم الدُخّان، ومعلومكم أنه كانت تحتكره شركة «الريجي» التي يسمونها إدارة حصر التبغ والتنباك، وكان رجال «الوردان» التابعين لهذه الشركة يراقبون الطرق ويقطعونها على المارة، ويلاحقون تجار ومهربي الدّخان. ومختصر القول: كانت تلك الليلة عرمرمية «فتحنا فيها حنفيات الحكي» و«درنا النباريش على بعضنا»، و«شطفنا حالنا من الغُرَّةْ إلى التُرَّةْ» كما يقولون، وكان الفصل شتاءً، وكانت تلك الليلة ليلاء، والمزاريب كانت طوالها «تُغني ما يطلبه المستمعون». وفي الصباح ـ تصبحون على خير ـ أهداني صاحب المنزل كيلوغراماً من الدُخّان المفروم، ويومها لم أوفق بسيارة تقلني إلى بلدتي حاروف، فأخذتها كعّابي، وكان الطقس صافياً، ولكن البرد كان شديداً، والصقيع «بيشلّح القط ظافيرو»، فمشيت من عِبّا إلى بلدة جبشيت محاولاً الوصول إلى بلدتي حاروف، وعندما وصلت إلى منطقة تدعى السمّوقه ـ بين عبّا وجبشيت ـ وكانت المنطقة يومها خالية من العمار، وجدت «الوردانيةْ» متلطين هناك تحت إحدى أشجار الزيتون، وإذا بأحدهم يقول لي: «وينك يا حبّوب! أيش معك بها لكيس؟» فقلت له «عالصبحانيه»: «صباح الخير»، فأجابني: «صباحك وصل، بسّ بدي أعرف شوفي معك بها لكيس؟». فعلمت أنه لم يعد من الأمر مفر، فقلت له على الفور:

= تساقط دموع الفرح من عينيك؛ فهو قادر على أن يبعث في جلسائه السرور والمرح، دونما إسفاف أو تهريج، ومن عباراته التي تميز بها، مثلاً، إذا أراد أن يصف جمال حسناء أعجبته قال: «رأيت فتاة سبحان الخالق العظيم عندها عينين بيشلّحو الأعمى عصايتو». وإذا أراد التحدث عن رجل متجهم الوجه قال: «وجهه مثل بوابة الحبس، لا يضحك للرغيف السخن». حتى إذا رأى شنباً عظيماً عرمرماً في وجه أحد من الرجال قال: «رأيت رجال مرَكِّبْ بوجهو شنب متل كيدون البسكلات». وإذا سمع دعاء إحدى النساء الأرامل، قال: «عليها كل دعوةْ بتدفش سكسويل بالطلوع». وإذا أراد أن يصف فتاة تمضغ العلكة، قال: «عليها طرقة علك بتفقع متل جدار الصوت». وإذا أراد التحدث عن كثرة الشتاء، قال: «كانت غزارة المطر عمّا تغنّي طول الليل: ما يطلبه المستمعون!!».

بسجيابي النحس تعبّا
وفيّ دهري الخاين خان
سهرت الليلةْ بعبّا
وعطيوني كيلو دخّان

فخاطبني: «كلّم حضرة الشيف المسؤول»، توجهت إلى المسؤول، فرأيته «ناتع شوارب متل كيدون البيسكلات»، فقلت له: «صباح الخير» أجاب: «أهلاً ومرحباً، شو كان عم يقلّك الوردان؟». ولفظ كلمة «يقلك» بالقاف المُفَخّمة، فقلت في نفسي «الأخ أكيد من بني معروف لحتى نرقعو شي ردّه»، فقلت له:

بني معروف خالقنا جَبَلهُمْ
بلطفو ونعمتو الكبرى جبَلهُمْ
شبّ النار في قمة جبلهُم
طفّوها بدم حمرا من الرقاب

فانفرجت أسارير الرجل، وخاطبني قائلاً: «عشت! والله لو ما يكون محضور علينا لكنت قوصتلك دكتين». «وشوّ كان عم يقلك الوردان؟»، فقلت له سَألني: «إيش في معك بها لكيس؟» فأجابني: «ارقعو شي ردّة تشوف»، ساعتها داعيكن، أخذ نَفَس وقطع رخصه بالحكي، ما عاد خايف من حدا، فقلت لـ «الوردان»:

خابت معاي بها الصبحية نظرتك
وقلبك عليَّ ليش شن بغارتو
وشوها لبَلادي الشفتها من حضرتك
بتشارك الشحاذ عاسيكارتو

فضحك الرجل وقال لي: «لو كنت قاتل بيّ روح فِرقنا مع السلامه».

بوكلوفيس من العزايز

قام الشاعر عباس حرقوص بالصلاة على جثمان أحد الموتى من كبار الأثرياء،

وداوم على قراءة مجلس عزاء عن روحه، ناهيك بالمكوث ليلاً مدة سبعة أيام في خيمة نُصبت فوق قبر هذا المتوفى، حيث قام بتلاوة الذكر الحكيم من أجل «تونيسه»، لكن أهل المتوفى دفعوا له بدل أتعاب لا يتناسب مع المجهود الذي بذله هو ورفيقه في هذا العمل، وهو الحاج محمد قديح «أبو الذهب»، فأدركا أنهما عادا بخفي حنين.

في ليلة من ليالي شباط ١٩٦٣ المقمرة، الصافية السماء، شاهدنا ـ أنا وثلّة من الأصدقاء ـ الشاعر الحاروفي ورفيقه واجمين بعد خروجهما من منزل المتوفى، بعدما خاب أملهما من المبلغ الذي دفع لهما من أهل المتوفى الأثرياء.

بعدما تبادلنا وإياهما التحايا والسلامات، طلب إلينا «أبو محمد» أن نحمله على الأكتاف، وراح يردد هذه القصيدة التي نظمها حين خروجه من منزل المتوفى الذي أطلق عليه اسم «بوكلوفيس»:

بوكلوفيس من العزايّز
للشريعةْ كان...
كان يشرب عَرَق يتّي
كلّ يوم تمان قزايز
كان يسكر عالقناني
وعالصبايا وعالغواني
مات بكانون تاني
قبل سلاّخ العجايز
كان نوري أندَبوري
ما اعترف مرّةْ لخوري
كان منكّح متل دوري
جنازتو أَخرى الجنايز

كان قمسرْجي كان سبقْجي | كان حشّاش كان عرقجي
كان شرّاوي مختّقجي | دفترو من الحقّ بايز
من الشهامي كان خالي | دفترو معبَّى رزاله
بالسما لا تقول عالي | عاصِراطو بليس جايز
كان عالعَالَم يقرِّق | ما بين الإخوي يفرِّق
كان عالواقف يزَرّق | كان يسكر عالركايز
مات... الحزِانا | ليت نعيو ما إجانا
كان عر... بـ «باريزيانا» | دفتر العر... جايز

الليره كانت بتنزلّ هليوكوبتر!!

يروي الشاعر عباس حرقوص القصة التالية: «عزموني أهل الهرمل مرّه، بعد ما قويت مجلس العزا على النهر هونيك، عا نهر العاصي، أولَمُولي، وذبحوا الخواريف وحطّوا الرزّ، وعزموا وجها البلد اللي هونيك، قعدت أنا بدّي أكل، بعد شوي بتختفي الشمس من فوق منّي، تطلعت عا جنبي، شفت زلمي وجهو متل بوز الكميون، قلتللو: أهلاً، قللي داعيك بو مخيبر، قلتللو: تشرّفنا،عليم الله عليه شوارب متل كيدون الموتسكل!! وخدود متل عش الزراقط!! يا بَلِعْ سلِّمْ على الزّلطْ. دار الأكل، بدو يكون ريقو أسيد، لأنّو ما بيهدي بحلقو شي، وبدّو يكون زلعومو متل قسطل السّوبه، أكِلْ أكِلْ، كل واحد تقريباً حاطط لئلُه لوَينْ بدّو يوصل بالأكل، هوّي فِشّ عندو خطوط، اكل عن يمينو وعن شمالو، أكل كل شي. وين راح ها لأكل؟ بدّا تكون معدتو بذار مدّين، ليك هيي الله خير، ذبحولن بشي ميَّة ألف عا وقت لَمّا الليره كانت بتنزِّل هليوكوبتر!!».

القطاط والرزّ بحليب

حلّ الشاعر عباس حرقوص ضيفاً على صديق في ساعة متأخرة من الليل، وكان جائعاً، وقبل إخلاده إلى النوم شاهد طنجرة، وعندما أمعن النظر فيها، وجدها مليئة بـ «الرزّ بحليب»، فالتهم ما فيها، ونام بعد ملء بطنه بهذه الأكلة الشهية.

عندما استيقظت ربة البيت صباحاً كي تحضّر الشاي، شاهدت طنجرة الرزّ بحليب فارغة، فأيقظت زوجها وأخبرته بما حصل، فقال لها: «فيّقي ها لضيف لنشوف شو القصه؟!». وعند الاستفسار منه عما حصل لمحتويات الطنجرة أجاب: «قطعتوا عليي نومتي، شو القصه؟!». وعندما أخبراه بما حصل، اتهم الهر بأكل «الرزّ بحليب» ونظم هذه الأبيات:

بْرَمتْ المداين والقرى | حتى وصلت عا دار حبيب
حاتم ببيتو جوهرا | وعا قلوبنا أغلى حبيب
القطاط عملوا مظاهرا | ونادوا على بعيد وقريب
الله يوفّق ها ألمرا | طبخت لِنا رزّ بحليب

شرش الزلُّوع!!

أصيب أحد أصدقاء الشاعر عباس حرقوص بحالة «عدم الاستطاعة»، فجلب له أحد أبناء بلدة شبعا شلش «الزلُّوع» الذي ينبت في جبل حرمون، فنظم الشاعر الحاروفي هذين البيتين من وحي المناسبة:

يـا أُجـسـمـو مـتـل الـفـاقـوع
ومـاشـي بـيـتـهـدّا بـغـيـرو

جـابـولـو شـرش الـزّلـوع
حـتـى يـتـحـرّك...

قصيدة التلجهْ

نظم الشاعر عباس حرقوص هذه القصيدة أثناء قيامه بقراءة القرآن الكريم على قبر حماة الحاج رشيد... (أبو محمد).

كان ذلك في شتاء سنة من ستينيات القرن الماضي، وفي ليلة عاصفة مثلجة، حيث مزّقت الرياح الشادر،فانكسر القنديل، وانطفأ الجمر، واستحال صنع الشاي، وتعذرت بالتالي القراءة على روح المتوفاة التي كان يقوم بها ـ إضافة الى الشاعرعباس حرقوص ـ الشيخ خليل...(الملقب بـ «المسبّل») والحاج محمد قديح (الملقب بـ «أبو الذهب») ومحمود الشيخ صالح. في الصباح جاءت حفيدة المرأة المتوفاة، وخاطبت «القرّاء» بالقول: «عايزين شي؟». فأجابها الشاعر عباس حرقوص: «خذي هالقصيدة اللي عم خاطب فيها بيّك»:

بـتـنـا بـلـيـلـة عـتـم مـرهـوبـي
تـاريـخـهـا بـلـوح الـعـمـر نـادر

كـانـت عـلـيـنـا مـوت مـصـبـوبـي
مـرسـومـهـا مـن الـمـقـبـره صـادر

سـهـرنـا وقـرِيْـنـا بْـروح مـسـلـوبـي
ولْـسَـانـا عـالـنـطـق مـش قـادر

وكـانـونّـا مـن غـيـر لـهـلـوبـي
أربـعـه وفـيـنـا الـدهـر غـادر

مـن فـوقـنـا ومـن تـحـتـنـا رطـوبـي
والـتـلـج كـابـس فـوقـنـا الـشـادر

يـا بـو مـحـمـد كـان بـالأحـرى
تـشـوف شـادرنـا بـأوصـافـو

خـيـمـة نَـوَرْ أو بـدو بـالـصـحـرا
بـحـور الـبـلا عـلـيـنـا بـهـا طـافـو

الـمـيّ عِـمْـلـتْ عـالـقـبـر مـجـرى
والـضـوّ نـشّـف زيـت إنـصـافـو

ومـحـمـود صـالـح كـان عـم يـقـرا
والـوحـل كـان مـطـرّز لـحـافـو

والـمـسـبّـل حـالـتـو أخـ...
مـقـرفـص ونـربـيـشـو بـيـن شـفـافـو

وبـو الـذهـب فـي بـسـعـلـتـو شـخـره
بـيـرجـف وعـيـسـى سـيـف عـاكـتـافـو

وكـان الـهـوا فـي سـرعـتـو الـخُـطـره
يـنـسِّـمْ عـلـيـنـا والـفَـرشْ عـالْـمَـيّ

والـتـلـج عـمّـا
يـزتّ نـفـنـافـو

بتيناتي لا تحتجّ!!

ذات صيف كان الشاعر عباس حرقوص يقطف «أكواز» التين في كرم خاله السيد حسن هاشم، وصادف مرور الشيخ صالح كركي الذي طالما ناداه ـ بحكم صلة القربى ـ بـ «إبن أختي».

وطالما امتعض الشيخ صالح حين كان أحدهم يخاطبه بلقب «حاج». حين شاهد قريبه يجني التين، خاطبه بهذين البيتين:

يابن اختي يا حاتم طيّ / يا شيخ عباس يا عيّوق
من تيناتك بدي شويّ / شريحه ودحروب ومبعوق

فأجابه الشاعر عباس حرقوص ببيتين من الشعر خاطبه في ختامهما بلقب «حاج»، إذ قال:

بتيناتي لا تحتجّ / منهم ما بتذوق الفجّ
حتى تمحي كلمة شيخ / وتكتب بالبوّابي حجّ

فغضب الشيخ صالح كركي أيما غضب، وانصرف وعلامات الحنق ظاهرة على وجنتيه!!.

خذوهُ فَغلّوه...

نقدت إمرأةٌ، الشاعرَ عباس حرقوص مبلغ ٢٥ قرشاً كي يقرأ آيات من الذكر الحكيم عن روح زوجها، فتعمّد قراءة:

﴿خذوه فَغلّوه. أما الجحيم فصلّوه * وفي سلسلة طولها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾.

فسألته قائلة: «يا شيخنا أتريد إدخال زوجي النار؟»، فأجابها: «شو بربع ليرة بدي دخّلِك جوزك في جنات تجري من تحتها الأنهار؟!».

دع لي النار أصطلِ بها!!

في يوم من أيام الشتاء القاسي قدم الشاعر عباس حرقوص إلى النادي الحسيني في النبطية، فالتقاه العلامة الشيخ محمد تقي صادق الذي كان منكباً على «منقل» الجمر المتّقد.

القى الشاعر عباس حرقوص السلام على العلامة الشيخ، فردّ عليه بمثل ما حيًّا وقال له: اجلس والتزم الصمت»، فأجاب: «أنا قلت لا إله إلا الله»، فردد العلامة الشيخ: «لا إله إلا الله»، فتوجه إليه بالكلام: «يا مولانا! بنحكي؟»، فسمح له بالحديث؛ عندها تحدث الشاعر الحاروفي قائلاً: «يا مولانا! إن شاء الله أنتم من أهل الجنّة»، وكرّر هذا القول مرات عديدة.

بعدها أخذ الشاعر عباس حرقوص «الكانون» من أمام العلامة الشيخ، ووضعه أمامه، قائلاً: «إذا كنتم يا مولانا! من أهل الجنّه، فدع لي النار أصطلِ بها!!»، فصاح به العلامة الشيخ: «رجّعو يا مقرود! قوم خيّط بغير ها لمسلي!!».

٣٠ ـ الطلاق الديمقراطي بين النعنوع والقُريَّاني!!

كره «النعنوع» العمل كشغّيل «فاعل»، لا سيما وأن عمله هذا يقوم على إفراغ حفر المراحيض، ويُطلِق العامة على هذه المهنة: «مْعَزِّل شْشامي»، فوجد في هذا العمل مشقة لا يحتملها جسمه الأهيف «المُنعنع» علماً أن هذه المهنة تُلحِقُ الضرر الفادح بصحته!!، فحثته زوجته صبحية على ممارسة مهنة التسول التي برعت بها، والتي تشكل باباً للكسب الوفير والربح السريع، من دون جهد يذكر، أو استثمار رأسمال يُحسب له حساب!! وهو لا يملك منه دانقاً!!.

كان «النعنوع» يشاهد الشحّاذين يطرقون الأبواب الموصدة فتفتح لهم، ويقوم الناس بإعطائهم النقود والملابس والخبز وسائر التقديمات العينية، حسنةً لوجه الله



القُريَّاني يقتسم «الغلّة» مع شريكه النعنوع

الكريم!!. ولاحظ أن مواكب الشحاذين تتكاثر في المناسبات الدينية، وفي الأفراح والأتراح، وإن «عِدّة شغل» هؤلاء المتسوّلين تقتصر على حسن اختيار الدار لطرق بابها، وكذلك المكان المناسب للاستعطاء وطلب الحسنة!!، وعلى دعاء مكثّف ينطلق على لسان المتسوّل: بطول العمر ووفرة الرزق وحسن الحظ والتوفيق للعائلة!!.

لكن «النعنوع» اكتشف ببصيرته «الثاقبة» أن من الشروط التي تؤهل المتسول للحصول على عطاءات كثيرة وجود عاهة لدى الشحاذ، أو كِبر في السن، فتدب الشفقة في قلوب الناس، فيتسابقون إلى الإحسان!!، وهو يفتقر إلى أحد هذين الشرطين الضروريين؛ إذ إنه سليمٌ معافى، وغير مصاب بأية عاهة، ومثل «العِتر»، فما العمل؟، لقد أخذ يبحث عن طريقة لجني المكسب بواسطة هذه المهنة!!، فنصحه أحد الظرفاء قائلاً: «إكسر إيدك واشحذ عليها! كما يقول المثل»؛ لكن كسر اليد يلحق به الضرر ويسبّب له الألم، ومعاذ الله، أن يفعل هذه الفِعلة!!، وقال له آخر: «تظاهر بالعرج أو العمى أو بعاهة تستدر بها الشفقة!!». لكن أبناء بلدته لا تنطلي عليهم هذه الألاعيب من رجل يعرفونه جيداً!!؛ وحار في أمره!!، فماذا يفعل والحالة هذه؟ وبينما هو يقدح زناد أفكاره، إذ بأعمىً محدودبِ الظهر قصيرِ القامة يشبه أحدب نوتردام ـ ملقّب بـ «القُريَّاني» ـ يقع أمام ناظريه!!، فصرخ على طريقة أرخميدس: وجدته! وجدته! وجدته!، فتقدم إليه بحنان مفتعل ورِقّةٍ زائفة!!، وخاطبه بالقول: «يا عزيزي! رقَّ قلبي لك وتاقت نفسي إليك»، وراح يغمره ببحر من العواطف بغية إيقاعه في شِباك شراكته!!، وحدثه عن استعداده للتعاون معه في مهنة التسول لأنهما يتكاملان!!، وبينَّ له أنه في خدمته، ورحب به مقيماً في منزله حيث يؤمن له المأكل والمشرب والمنامة، وأنه وزوجته السيدة صبحية وأولادهما رهن خدمته. فلاقى هذا العرض الاستحسان من قبل «القُريَّاني»، ونال الوقع الحسن في نفس هذا الرجل «المقطوع من شجره»، فهو يقيم وحيداً في مِراحِ بقرية أرنون. وتم الوفاق والتوافق على أن يقوم فارسا الهيجاء بالاستعطاء

والتسوّل معاً!!، وعلى تقاسم الغلة مناصفة وبالعدل والقسطاس!!. فسارت الأمور على ما يرام، والرجلان يجولان في البلدة، ويندسّان في المناسبات الحاشدة، ويطرقان الأبواب، وتوسعت دائرة عملهما لتشمل بلدات وقرى مجاورة للنبطية، وكبر حجم مدخرات الطرفين!!، وعندما افتتح أحد المصارف فرعاً له في النبطية فتح كل منهما حساباً فيه، وأصبح هذان «الشريكان» مضرباً للمثل في الشراكة والصداقة في ممارسة مهنة الشحاذة!! وفي «العيش المشترك» تحت سقف واحد!!. لكن الخلاف راح يذُرُّ قرنه بينهما؛ ويقال، إن سببه ملاحظة «القُريَّاني» تدني مداخيل «المصلحة»!!، فكان يلمس هذا التدني يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد اسبوع، فبث شكواه وهواجسه لشريكه «النعنوع» وحرمه السيدة صبحية، وكان الجواب: القسم بأغلظ الايمان أن ما يُحصِّلانه يُقسَّم بالعدل والمساواة!!، لكن الفأر الذي لعب بعبّ «القُريَّاني» ظل يمارس لعبته، فلم يقنع بمبررات الشريك، وأخذ يردّد: «إنني لاحظت التمادي المستمر في نقص الغلّة، وأنا ضرير لا أرى ولا أقشع شيئاً، فدعني في سبيلي أتدبر أمري، والله المعين وبه المستعان!!». ولم تُجدِ وساطات صاحب المساعي الخيرة وهو الشيخ أمين. . . ، الذي بذل الجهد واستفرغ الوسع في محاولة لإقناع «القُريَّاني» باستمرار هذه الشراكة، ولما يئس من إقناعه، أجاب عن استفسار «النعنوع» عن سبب ترك هذا الشريك ـ الذي شبّهه بالدجاجة التي تبيض ذهباً ـ بالقول، «إن الشيطان وسوس لشريكك وأغواه بالابتعاد عنك!! إنه يفرّق الشمل ويبعد الأحباء!! ويغري الإنسان بأن يعادي أخاه الإنسان!!، وقد استطاع النفاذ إلى نفس القُريَّاني فأفسد الود بينكما، وأغرى بالوقيعة وقطع الشراكة!!. إن «القُريَّاني» في حاجة إلى كتابة تعويذة على يديَّ، وإلى حرق البخور لطرد الشيطان منه!!». فامتثل «النعنوع»؛ وكُتِبت التعاويذ والحِجابات وحُرِقَ البخور دون جدوى!!، فالفعل الشيطاني أقوى من أن يقاوم بهذه الوسائل. . . !!

ولاحظ «أبو العزّ» ـ وهو من القائلين بالتفسير الطبقي للأحداث ـ أن الوعي الطبقي فعل فعله عفوياً في ذات «القُريَّاني»، فأدرك ـ بالملموس وبالممارسة اليومية ـ

أنه تعرض لاستغلال واستثمار من «النعنوع»!!، وإن هذا الحس العفوي بالمصلحة الطبقية جاء بعيداً عن النظرية الثورية!! لذا فإن «القُريَّاني» في حاجة إلى هذا الوعي النظري ليصبح قادراً على تثوير الواقع!!.

أما أحد القائلين بالتفسير التآمري البوليسي للتاريخ، وهو الأستاذ س. . . ، فاعتبر أن «القُريَّاني» ضحية مؤامرة حاك خيوطها بعض الدسّاسين العاملين وراء الكواليس لإيقاع الشقاق بين زميلي مهنة الشحاذة المتآلفين، وقد يكون للدسائس الأمبريالية دور ما في هذا الشِقاق!!. وقد تحدّث بعض سيئي النية عن سبب آخر للخلاف. ذلك أن الشيطان قد وسوس لـ«النعنوع»، وزرع الشك في نفسه، حيال شريكه «القُريَّاني»، وذهبت به الظنون إلى أن أمراً ما قد حصل بين شريكه وزوجته من وراء ظهره!!، فهذا الشريك يقيم مع هذين الزوجين في منزل واحد!! وأخذت الشكوك تكبر يوماً بعد يوم!!، فعمد إلى سياسة «تهشيل» لشريكه «القُريَّاني» من خلال إنقاص حصته من الغلة، يوماً بعد يوم!!، فاكتشف الأخير هذا الأمر، وقرر الطلاق الديمقراطي ـ على حد تعبير «أبو النوف» ـ مع شريكه «النعنوع»!!.

ويقول بعض المطلعين إن شكوك «النعنوع» بإخلاص زوجته في غير محلها، وإنها كانت تحبه حُباً جمّاً!! وإن زوجها الغيور أساء الظن بها، وسوء الظن إثمٌ، وفقاً للشرع الحنيف!!. فالسيدة صبحية كانت تعتز بزوجها وتفاخر به أمام الملأ من أبناء النبطية، وقد سمعها الجيران في مناسبات عديدة تُغنّي لابنتها ربيعة مرددة:

بيِّكْ شيخ الشحّاذي، يا يابيعه

نظراً لكونها لثغاء، فكانت تلفظ «الراء» «ياء»، فأصبح اسم «ربيعه» «يابيعه»!!.

٣١ ـ هربدات «أبو عكرمه»


«أبو عكرمه»

أيها الأبطال الرعاديد!!

في شهر حزيران ١٩٤١ دخلت القوات البريطانية مصحوبة بجيش فرنسا الحرة إلى لبنان حيث طردت جيوش فيشي منه؛ وكان جيش فرنسا يضم عدداً لا يستهان به من «المغاربة» الذين حطوا الرحال في ساحة النبطية، فقصدهم عدد من أبناء هذه البلدة، وبينهم «أبو عكرمه» الذي خاطبهم بالقول: «أهلاً بكم، أيها الأبطال الرعاديد، المتقاعسين المتشاوسين...!!»، فجنّ جنونهم، وهجموا على هذا الرجل الذي امتلك قوة سواعد لا يستهان بها،وعندما احتدم الصراع، تدخل المصلحون لفض هذا «المشكل»، وحين استفسروا هؤلاء الجنود عن سبب «خناقتهم» مع «أبو عكرمه» أجابوا، أن هذا الرجل قد وجه لهم الشتائم المقذعة، وأوردوا بالتفصيل قائمة بالألفاظ المهينة التي تلفَّظ بها!!. عندها أوضح لهم هؤلاء المصلحون أن هذا الرجل أراد الثناء عليهم لكنه أساء التعبير!!.

العبّاس ما بيموت!!

أواخر أربعينيات القرن المنصرم اضطلع «أبو عكرمه» بدور العباس بن علي، أثناء تمثيل واقعة الطفّ في كربلاء. فما كان منه إلا أن انهال بالضرب المبرّح على

الرجال الذين يلعبون دور جنود في جيش يزيد بن معاوية، فأصاب بعضهم بجراح وهرب آخرون خوفاً من الايقاع بهم، وسط صيحاته المدوّية: «العباس ما بيموت!! العباس ما بيموت!!».

من أجل إيصال التمثيلية إلى الخاتمة المتوخاة قام المشرفون على العمل المسرحي بضربه على رأسه مما أدى إلى سقوطه أرضاً!!.

وحاربوا متعلميها ومثقفيها بهربدا

في شهر آب ١٩٥٢ جال «أبو عكرمه» على الناس، داعياً إيّاهم إلى حضور مهرجان دير القمر الذي أقامته الجبهة الوطنية الاشتراكية، المعارِضة لعهد الرئيس الشيخ بشاره الخوري، فاصطدم ببعض محازبي الكتلة الأسعدية، وحصلت مواجهة بينه وبينهم، وقد تمت إحالته إلى القاضي المنفرد في النبطية عادل حمرا الذي حكم عليه بعقوبة السجن مع الغرامة!! فنظم هذه الأبيات:

وبِشارا أرسى للبِنانِ دِمارها
وحكّمَ فيها عصابةَ أحمدَ
باعا الحدودَ إلى اليهودَ
وحلّلا دمَّ العِبادِ، وجدّدَ
وحاربا متعلميها ومثقفيها بهربدا
يا عادلَ الحمراءِ حُكمُكَ جائرٌ
حكمتَ على الداعي بِحُكْمٍ مؤبدا
ودعاكَ أحمدا إلى دارِ الطيبهْ
وأجلسكَ للتو باوَلَ مقعدا
وطعماكَ ديكاً وفرّوجاً ولحمَ مُقَدّدا

بعدما سمع الرضي موسى الرضي «أبو موسى» هذه الأبيات سأل «أبو عكرمه»: «هل يعقل يا بو علي أن «البيك» يُطعِم ضيفه لحماً مُقدّداً؟، إنه يقدم للضيف لحماً طازجاً، إضافة إلى الفراريج والمحاشي التي تطبخ يومياً!!». فتدخل الأستاذ عبد الحسين حامد؛ و«عوَض» ـ كعادته ـ عينه اليمنى، قائلاً: «يا بو موسى! كلام بو علي عن اللحم المُقدّد للضروره الشعريه!!، ومن أجلها يمكن أن يقال إن البيك بيطعمي ضيوفه خ...»!!.

جدير ذكره أن النجل الأكبر لـ «أبو عكرمه» قد سُجِنَ في الكويت، فاستنجد بوالده كي يسعى إلى إطلاقه.

علم «أبو عكرمه» أن الشخص الوحيد الذي يمكنه التوسّط من أجل إطلاق سراحه هو الرئيس أحمد بك الأسعد الذي تجمعه صداقة حميمة بمسؤولي هذا البلد. فتردد في الذهاب إلى دار الطيبة، لأنه يعتبر نفسه من خصوم هذا الزعيم! وقد هجاه شِعراً ونثراً!! لكن بعض الأصدقاء أسدى إليه النصيحة بالذهاب إلى دار الطيبة للقاء الزعيم الوائلي الذي سوف يستقبله بالترحاب. فقرر ـ بعد تردد ـ الذهاب للقاء هذا الزعيم و«إجر لوَرا وإجر لَقدّام»، كما يقول المثل الشعبي.

عندما دخل دار الطيبة وعرّفَ عن نفسه، لاقاه أحمد بك بالترحاب وعانقه معانقة حارّة، ودعاه إلى الجلوس في صدر مجلسه. وبعد قيام خدم الدار بواجب ضيافته، سأله أحمد بك عما إذا كان يرغب في أي خدمة أو حاجة يود أن يقضيها له؟. فأجابه، وقد اعتراه الخجل الشديد: «يا سِيدنا البيك إبني علي مسجون في الكويت، وبإيدك فك أسرو!!»، فخاطبه أحمد بك بالقول: «يا بو علي! إنتِ غالي وطلبك رخيص!! لكن إلي طلب عندك!!»، فأجابه «أبو عكرمه»: «طلبك يا سِيدنا البيك على العين والراس، فأمر وأنا حاضر!!»، فقال له أحمد بك: «طلب بسيط يا بو علي! بدي منك تقول قصيدة الهربدا!!». وهنا احمرّ وجهه خجلاً، وخاطب أحمد بك قائلاً: «يا سِيدنا! الماضي مضى، وأنِا نسيت ها لقصيدي!!»، فرد عليه

أحمد بك: «يا بو علي! إذا ما بتقول القصيدي، ما في مكتوب توصيه، وإنتِ حر!!».

فاضطر «أبو عكرمه»، لقول هذه القصيدة بحضرة أحمد بك، الذي كلما استمع إلى بيتٍ من أبياتها أغرق في الضحك، وطلب من «أبو عكرمه» الإعادة!! وبعدما انتهى وجّه إليه السؤال التالي: «يا بو علي! كل كلمات هذه القصيدة حلوة!! بس أحلى وأغرب كلمة هي كلمة «هربدا»!!».

عندها خاطب «أبو عكرمه» الرئيس أحمد الأسعد قائلاً: «يا عطوفة الرئيس! بعدما غمرتني بلطفك، وطوقتني بجميلك لازم أقول ها لقصيدي المتواضعه بمدحك، بتقبلها منّي؟». فقال له الرئيس الأسعد: «بكل سرور يا بو علي! وأنا كلّي سمع وإصغاء لقصيدتك»، فمدّ «ابو عكرمه» يده إلى جيبه وتناول منها ورقة، وقرأ هذه القصيدة التي جاء فيها:

أيا قدوةَ الأمجادِ في كلِّ معشرٍ
ويا من لكُمُ الأعداءُ بالفضلِ تشهدا
ويا سادةً في فضلهم وعلائهم
لهُمُ كلُّ أبناءِ البريةِ حُسّدا
كفاكُم بني وائلاً فخراً وعِزةً
إذا ما بدا للناس جاهاً وسؤددا
لكم نسبٌ من وائلٍ وهو في الندى
أجلُّ بني حواءَ حُرّاً وأجودا
نجومُ سماءِ المجدِ والفخرِ والعُلى
إذا غاب منهم سيدٌ لاح سيدا
وأنتم فروعُ الدوحِ عِترةُ نورِهِ
عُلاكُم على هام العلاءِ مُشيّدا

وأنتم كِرامُ الناسِ من عهدِ آدمٍ
نؤيدُ دعواكم طليعاً ومُرشدا

فبدت علامات الانشراح على محيّا الزعيم الوائلي، وغمر «أبو عكرمه» بالقبلات الحارة.

يا صباح الشوم علّي مخلّيك بوظيفتك!!

بعدما جرت الانتخابات النيابية في تموز ١٩٥٣ انتخب المجلس النيابي المنبثق منها عادل بك عسيران رئيساً له، فاعتبر «أبو عكرمه» أنه حقق فوزاً كبيراً، نظراً لكونه من محازبي الرئيس عسيران، فزار الأخير في دارته في صيدا مهنئاً، حيث شكا له ظلامته جراء عزله من شرطة بلدية النبطية إبان العهد الماضي.

فكتب الرئيس عسيران كتاب توصية بـ «أبو عكرمه» إلى محافظ الجنوب ميشال الجاهل الذي فور فراغه من قراءة النصّ خاطب حامله بالقول: «يا محمد! أنت رجل كبير في السن!!، وصعب إرجاعك إلى شرطة البلديه في النبطيه، وبدنا ندبر لك قرشين لنْعَوِّض عليك!!». وكان أثناء اجتماعه بـ «أبو عكرمه» يذهب بين الفينة والأخرى إلى المرحاض للتبوّل، نظراً لإصابته بداء البروستات.

عندما سمع «أبو عكرمه» كلام المحافظ، وشاهده بأم العين يزور المرحاض بين الفينه والأخرى، انفعل وخاطبه بالقول: «يا افندم سلم!! كل ٥ دقايق جنابك بتقوم على بيت المي لتزَرِّقْ، ورايح جايي عمّا تششّر، وعمّا بتعطل أعمال الدوله!!، وجايي بتقللي إنتِ رجل كبير بالسن معاد تحرز تعود لوظيفتك؟!، يا صباح الشوم!! عَلّي مخلّيك بها الوظيفي لها الوقت!!».

عندها أمر المحافظ بتوقيفه، ولم يُطلق إلا بعد تدخل شخصي من الرئيس عادل عسيران.

العدل أساس الملك

وجه «أبو عكرمه» أبياتاً عنْوَنَها باسم «فخامة رئيس الجمهورية المحترم»، ودون تحديد لاسم الرئيس المعني، وروى البعض أنه توجه بها إلى الرئيس كميل شمعون، بينما قال آخرون إن المخاطب هو الرئيس شارل حلو، إذ قال:

يا رئيس الجمهورية أين وعدك؟
الذي وعدت راح بلاشِ
وتطهيرُ الدوائر لم يكونا
وبعد الكذب والتزوير ماشي
وزاد الأمر تشجيع الوشايهْ
وبعد العهر والتقْحِيط فاشي
«وأرباب الحكومه لها بطونٌ
مُعَوَدَةٌ على أكلِ المحاشي»
«جميعاً لو رأيت الكلّ منهم
تراهم بين مرشيٍ وراشي»(*)

بتاخذ من الكلام لزوموا!!

عندما وقع العدوان الثلاثي على مصر الشقيقة في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦ انطلقت تظاهرة حاشدة في النبطية استنكاراً لهذا العدوان، فانتاب «أبو عكرمه» حماس شديد، وألقى قصيدة، استهلها بهذا البيت:

خسئت فرنسا وانكلي ويهودا
في أرضِ يعرُبَ موتها ودمارها

(*) ناظم هذين البيتين هو الشاعر الفكاهي الشيخ محمد نجيب مروة، وقد وردا في ديوانه «الروض الزاهي في الأدب الفكاهي» (المؤلف).

فخاطبه الأستاذ عبد الحسين حامد مُعقِّباً: «تقبرني يا بن خالتي أنتِ بتاخذ من الكلام لزوموا!!».

أيا منفوخَ يا...

في صيف العام ١٩٦١ أحيل عبد... على التقاعد، وصودف مرور «أبو عكرمه» أمام مكتب «أبو شكيب»، فدعاه إلى تناول القهوة في مكتبه، وفي الوقت عينه طلب من هذا الرجل ـ الموجود في المكتب ـ أن يختبئ خلف «الستار» كي لا يشاهده «أبو عكرمه»!!، وهذا ما حصل.

عندما دخل «أبو عكرمه» إلى المكتب، سأله «أبو شكيب» عن رأيه بالرجل وسلوكه أثناء عمله الوظيفي؟، فاندفع «أبو عكرمه» وهو يكيل الشتائم لهذا الرجل، ووضع نظارات «أبو شكيب» على عينيه، مُقلِّداً هذا الرجل وقال: «هذا حرامي سرسري!!، كان بيسرق الكحلي من العين!!، وكان أثناء وجوده في المحكمة بيتسلط على عباد الله الفقراء من القرويين، وبيطلّع بالإنسان من تحت عويناته!!، وبيقللو: شفتك بمنامي جايبلي سطل لبن!!، شفتك بمنامي جايبلي عَدِّة بيض!!وشفتك بمنامي جايبلي عَدِّة خبز!! وشفتك بمنامي جايبلي دجاجه!! وشفتك بمنامي جايبلي سلة تين!! وشفتك بمنامي جايبلي سلة صبّير!!».

هنا توجه «أبو شكيب» بالسؤال إلى «أبو عكرمه» عما إذا كان قد نظم شعراً بمناسبة إحالة المذكور على التقاعد، فأجابه بالإيجاب، وردد هذين البيتين:

أيـــا مـــتــفــوخَ يـــا عـــبـــدَ...
كـفـاكَ بـالـمـكـرْ رشـوي بـحـيـلـي

وأيـــامـكْ مـضـت لا عَـوْدَ فـيـهـا
فـهـرول واسـتـعـد إلـى الـرحـيـلِ

وهنا خرج الرجل... من خلف الستار، وراح يعاتب «أبو عكرمه» بالقول: «ولوّ يا بو علي!! أنا بحبك لشو قاعد عما تسبني وتهاجمني؟، ولوّ يا بو علي!...».وهنا قاطعه «أبو عكرمه» صارخاً به: «لشو مخبا ورا الستار؟، شو أنا خايف منك، ومن الأكبر منك؟».

شو داعس عا إجرك عاطف ...؟!

في مطلع ستينيات القرن المنصرم نشب خلاف على ملكية أرض بين السيد صبحي... والشقيقين محمد علي ...، «أبو عكرمه» وحسن علي ... الذي أوكل شقيقه «أبو عكرمه» لرفع دعوى على السيد صبحي لدى القاضي المنفرد في النبطية، ولدى انعقاد الجلسة نادى «المباشر»: محمد علي ...، فأجاب: «نعم!أنا موجود»، ثم نادى شقيقه حسن ...، فأجاب «أبو عكرمه»: «نعم! أنا موجود» فنهره القاضي وسأله: «أنا عم نادي على حسن! إنتِ حسن ولاّ محمد؟» فأجابه: «أنا محمد يا سِيدنا!!»، فقال له القاضي: «عندما أُنادي على حسن فأنت تسكت!!». عندها انفعل «أبو عكرمه» ووجه كلامه للقاضي: «شو يا أفندم سلم؟ شو هيئتو عاطف ... داعسلك على إجرك؟!».وهنا غضب القاضي وتوجه إليه بالقول: «شو بتقصد بهذا الكلام؟ أنا ما حدا بيدعس على إجري!! فاهم ولاّ لأ؟». لكن «أبو عكرمة أصر على قوله وعلا صوته، فازداد غضب القاضي وأمر بتوقيفه، عندها صاح «أبو عكرمه» بأعلى صوته: «اسمعوا يا ناس! القاضي حبسني لأني قلت: عاطف... داعسلك عاإجرك!!، شو فيها يا ناس؟! شو فيها!!».

بعد انتهاء الجلسة لفت كاتب المحكمة نظر القاضي إلى أن «أبو عكرمه» هو رجل مزاجي وظريف في آن، وتمنى عليه أن يأمر بإطلاقه، وأن يفسح له في المجال للتحدث إليه؟»، فوافق على هذا الطلب، وأمر بإحضاره إلى مكتبه، حيث جرت جلسة مطوّلة، أسمعه خلالها «أبو عكرمه» العديد من قصائده «الغرائبية»، وروى له وقائع بمنتهى الطرافة!!.

عطوني مهدّي لكسرٍ بليس تكسير!!

عندما أدى «أبو عكرمه» فريضة الحج إلى بيت اللّه الحرام، توجب عليه أداء الشعائر، ومن جملتها رجم إبليس بالحصى، ومنها «الخرشة» و«البرشة».

حين شاهد «أبو عكرمه» الحجيج وهم يقومون برمي «الجمار» تعجّب من هذا الأمر، وصاح بأعلى صوته: «يا قوم! إنتو قاعدين عما تشالقو ابليس اللعين ببحص، وهوّي يا جبل ما يهزك ريح!! عطوني مُهَدِّي حتى كسروا تكسير وخليه أثر بعد عين!! وريّحكم منو حتى قيام الساعه!!».

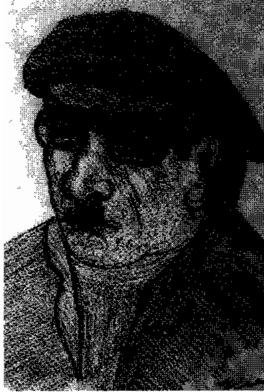
كلامك ياهذا...!!

استمع «أبو عكرمه» إلى الحاج حسن ك. وهو يطلق الكلام على عواهنه، لكنّه خالٍ من أي معنى، فهجاه بهذا البيت:

كـلامـك يـاهـذا كـبـنـدقِ فـاوشٍ   خـال مـن الـلـبّ لـكـن لـه طـقْـشُ.

٣٢ ـ كردشات سركيس

... وسركيس بياكل تنك!!



المُصوِّر سركيس

قدم إلى النبطية رجل أرمني اسمه سركيس، فكان يُذكّر المؤنث، ويؤنث المذكر!!، وفقاً لعادة الأعاجم الذين يتكلمون العربية في مرحلة متوسطة أو متأخرة من عمرهم!!، وقد اصطحب معه كاميرا للتصوير الشمسي، وكان هذا المصَوِّر يجلس إلى جانب مكتبة «أبو حلمي».

عندما كان سركيس يأتي بطعامٍ لتناول وجبة الغداء دأب «أبو حلمي» على مشاركته بهاً. وذات مرة اشترى سركيس علبة سردين تحتوي على سمكات ثلاث، فطلب هذا الجار البخيل «فرخ» سمك ليأكله!!، وآخر لزوجته!!وثالثاً لوالدته!!، فنفد صبر المصور سركيس وصرخ بلهجته المميزة: «أبو هلمي يهِّبْ سمك!! وأم هلمي يهِّبْ سمك!!وأم أبو هلمي يهِّبْ سمك!!، وسركيس بياكل تنك!!.

شو أنا مجبور بأمك؟!

في إحدى المرّات اشترى سركيس أوقية من اللحم المشوي، وأراد تناولها، وإذ بـ«أبو حلمي» يطلب إليه أن يحسب حسابه بقسم من هذه اللحمة، فتجاوب سركيس معه، ولم يكتفِ «أبو حلمي» بالحصة التي حصل عليها من اللحمة المشوية، بل طلب من سركيس أن يخص والدته بحصة أخرى!! وهنا طفح الكيل

مع سركيس، وراح يصرخ بوجهه بصوتٍ عالٍ: «إذا كان أنا مجبور فيك!!، شو أنا مجبور بأمك؟!!»، وكان يلفظ الجيم: زين.

إنتِ أبشع من هيدا صوره بكتير...!!

حسب الشاب ب... نفسه أجمل من يوسف الحِسْن، وبأنه شيخ «الأشبهيه»!!. ذات يوم، طلب من المُصَوِّر «سركيس» التقاط صورة شمسية له، وبعدما «طلِعِتْ» الصورة نظر إليها بدهشة متسائلاً: «ليش طلّعتني بشع بهالصوره يا سركيس؟» فأجابه متهكماً: «خبيبي إنتِ أبشع من هيدا صوره بكتير!!».

٣٣ ـ تخيّلات «أبو قاسم»

شولحت الليرا بالنبطيه وقعت عا راس حصاني بالقليعه!!

تحدث «أبو قاسم» إلى صديق حميم من أصدقائه قائلاً: «حين ما كنا متينين بتلّ دبين كنت راكب بالنبطية عا حصاني اللي كنّو الأبجر حصان عنتر، فشولحت بالطلوع ليرا ذهب، وعلّت وعلّت وعلّت يا افندينا! وانطلق فيي الحصان بسرعة الصاروخ،وبعد خمس دقايق كنت واصل على تلة القليعه، وفجأة وقعت الليرا اللي رميتها بساحة النبطية على راس حصاني، لكن الله ستروا لأني كنت حاططلو خرزه زرقا!!».

بسيخ الباروده تصيدت ٧ فِرّات!!

تحدث «أبو قاسم» إلى أصدقائه بالقول: «رحت على الصيد، وكان معي بارودي دكّ، ساعة اللي كنت عم دكها فلت السيخ وطلع متل السهم عالفضا، وهونيك تصيد شي عشر فِرّات، وطَبّ السيخ على جبّ بلان عم يحترق، فانشوو، وأكلت لَشبعت، وأخذت معي شي أربعه عالبيت!!».

صاروا القتلى شي بروس وشي بلا روس!!

حين حلّ العمل الفدائي في الجنوب اللبناني أواخر العام ١٩٦٨، انتسب «أبو قاسم» إلى إحدى المنظمات الفدائية التي خاضت معركة مواجهة محدودة مع الجيش «الاسرائيلي». أرادت هذه المنظمة تضخيم هذه المعركة إعلامياً، فعقد أحد

مسؤوليها مؤتمراً صحافياً في النبطية، تحدث فيه عن مواجهة عنيفة مع العدو الاسرائيلي، وأعرب عن اعتقاده بإمكانية وقوع بعض الاصابات في صفوف العدو.

هنا تدخل «أبو قاسم» وأخذ يتحدث أمام رجال الصحافة بصوت عالٍ، إذ قال: «سْمَعوني أنا يا صحافيي! شو بدكم بللي عما يقولو ها لمسؤول، هوي ما كنش بالمعركة أنا كنت يا جماعة الخير! كانت عيوننا مفتّحه على اليهود، عليم الله كنا شايفنهن بنواظيرنا من وقت اللي طلعوا من قواعدهم، فنصبنا لهم فخّ مرتب، تركناهم يفوتوا شوي شوي!! بعدين وقت اللي فاتوا كلهن، طوقناهم وهات يا رصاص، والله وصل صريخهن للنبطيه!!، وبلشوا يسقطوا عالأرض شلاعي شلاعي، نزلنا ليهن ورحنا نقطِّع روس عازوقنا، وصار القتلى شي بروس وشي بلا روس، متل البطيخ بصحرا!!، وغنمنا منهن جبخانة سلاح وذخيرة، وتموين بيكفّي عشر بلاد!! زمط واحد منهن وهرب، وراح يحاكي القيادي تبعتو دخيلكن لحقونا! وابعتوا كم طياره، أخذت أوّص على أول وحدي منهن، طبّت الضروبي فيها، شفت بأم عيني جوانحها مفخوته، فهرب فيها الطيرجي عا فلسطين وهيي طالعا الدخني منها، فزع ها لطيرجي بس شافني عم قوص، هيك بيحكوا المقاتلين يا صحافيي!!».

طلاع! يا عبد طلاع!!

في مطلع سبعينيات القرن العشرين احتدمت المعارك بين العدو الإسرائيلي والمنظمات الفدائية التي انتمى «أبو قاسم» لإحداها.

أثناء إحدى الجولات صعد «أبو قاسم» إلى جبل الرويس، وهو مرتدٍ بدلته العسكرية وواضعاً على كتفه بندقية الكلاشنكوف. وقد أسرّ لأحد أصدقائه بما جرى له أثناء وجوده في جبل الرويس بالقول: «وقت حزَت الحزّه طلعت عا جبل الرويس وهونيك مترست، وأخذت كامل الاستعدادات للمواجهه، فجأه ظهرت طياره يهوديه وشك الطيرجي عليي، ساعتها تأهبت واستعدّيت للمواجهه، ساعتها شافني وصرخ فيي: طلاع! يا عبد طلاع!! عليك الأمان!! نحن مش مستهدفينك

بدنا ناس غيرك، لا راح قوص عليك ولا إنتِ بتقوص عليي خلينا صحاب. وقت اللي سمعت هالحكي أرتحت واسترخيت شويّ، وولعت سيكاره، ورحت فكر هالطيرجي اليهودي ليش تصرف هيك، فحطّيْط احتمالين، الأول إنوّ يكون هاليهودي خايف من عمل مشكل معي، أو إنّو أنا مش عامل شي غلط مع حدا، والعدو بيحبني قبل الصديق!!».

أنا قلت عزرايين مات!!

إثر استشهاد الزعيم معروف سعد في النصف الأول من شهر آذار ١٩٧٦، وقعت معارك دامية بين المنظمات الفلسطينية والأحزاب اللبنانية الحليفة لها في صيدا، وصادف وجود «أبو قاسم» في هذه المدينة، حين عودته إلى النبطية التقى السيد أحمد حسن شريف بدر الدين، الذي استفسر منه عما جرى في صيدا من أحداث، فراح يروي له ما حصل، إذا قال:

«أنا عصريات كنت مارء هونيك، السما زرقة، فشّ ولا غيمة، فزخّ الرصاص متل الشتا، زتيت حالي حد حيط، الحيط غربال، قال: بيقولو بالأخبار مية قتيل!!، ولا مية ألف ضرُبُن بخمسه، أنا قلت: عزرايين مات!!».

٣٤ ـ فطنة الحاج عبد اللطيف شعيب

إذا ضربتك إلي الشرف...!!


الحاج عبد اللطيف شعيب

استُدعي الحاج عبد اللطيف شعيب للشهادة في دعوى نزاع على أرض بين رشيد بك جنبلاط وآل الصلح، فشهد الحاج عبد اللطيف بأنها لآل الصلح، فما كان من رشيد بك جنبلاط إلا أن هجم عليه يريد ضربه، فصرخ الحاج عبد اللطيف شعيب بوجهه قائلاً: «إذا ضربتك إلي الشرف. وإذا ضربتني فعليك العار!!».

اللي طلّع الحمار عالميذنه بينزّلو!!

خلال المعركة الانتخابية في العام ١٩٤٧، وقع خلاف بين زعيمين كبيرين. التقى أحدهما بالحاج عبد اللطيف شعيب وسأله عمّا يقوله الناس حول هذا الخلاف، فأجابه الحاج عبد اللطيف: «العَالَمْ عما تقول: اللي طلَّع الحمار على الميذنه بينزّلو!!»

أقسمت أن لا أتعامل مع الإستعمار الفرنسي!!

إثر انتخابات ٢٥ أيار ١٩٤٧ تم إجراء مباراة لتعيين «مناظرين» في وزارة

الأشغال العامة، تقدم الحاج عبد اللطيف شعيب لهذه المباراة، التي اشتملت على مسابقتين: واحدة بالعربية، وأخرى بالفرنسية، فأجاد الحاج عبد اللطيف شعيب الكتابة في مسابقة اللغة العربية، أما في مسابقة اللغة الفرنسية ـ التي لا يتقنها ـ فكتب الكلمات التالية:

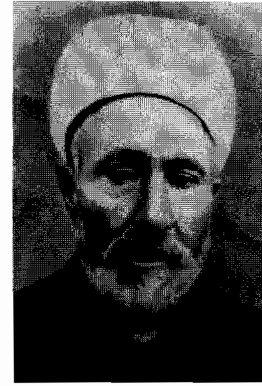
«أنا الموقع أدناه عبد اللطيف شعيب، إنني أقسمت بالله وبشرفي أن لا أتعامل مع الاستعمار الفرنسي، مادياً ومعنوياً ولغوياً، لأن هذا الاستعمار قام باعتقال الزعيم الوطني الكبير دولة الرئيس رياض بك الصلح ورفاقه من رجالات الاستقلال!!».

وعلم الرئيس رياض بك الصلح بما حصل، فضحك ضحكة عميقة!!، وأثنى على الأسلوب الظريف الذي اتبعه الحاج عبد اللطيف، واتصل بوزير الأشغال العامة من أجل تعيينه مناظراً في وزارة الأشغال!!، وهذا ما حصل.

٣٥ ـ بنعرف نكتب وما بنعرف نقرا!!

بعدما جرت انتخابات المجلس البلدي في النبطية في إحدى الدورات، تقدم أحد الخاسرين بالطعن بعضوية اثنين من أعضاء المجلس البلدي الرابحين إلى محافظ الجنوب، مُدعياً بأنهما أميّان، وعندما شُكلت لجنة للتثبت من هذا الأمر!!، طُلِبَ منهما أن يكتبا، فراحا يخرطشان، وحين أُمِرا بقراءة ما كتباه، قالا بصوت واحد: «نحنا، بنعرف نكتب، بسّ ما بنعرف نقرا!!».

٣٦ ـ ليسَ!!



الشيخ محمد قديح

بعد انتهائه من قراءة مجلس العزاء الحسيني في أيام عاشوراء، توجه الشيخ محمد قديح(*) من النادي الحسيني بالنبطية إلى منزله الكائن في حي «بير القنديل» سيراً على الأقدام، في ليلة من ليالي الشتاء، وفي طريقه إلى البيت، أمطرت السماء بغزارة، وانهمر المطر مدراراً، وفاض بئر القنديل، وتدفقت مياه «نهر براغيت»، وأمست كالسيل العارم، وهبّت عاصفة هوجاء جعلت «شمسية» الشيخ محمد في مهب الريح.

يومها تداول الناس رواية مفادها أنه توجه بالدعاء إلى الله تعالى، واستجار بالإمام الحسين كي يقف هذا السيل العارم ليتمكن من الوصول إلى منزله بسلام، وأن دعاءه قد استجيب، فانقشعت الغيوم، وتوقف تساقط الأمطار، وانحسر سيل

(*) ولد الشيخ محمد قاسم قديح في النبطية عام ١٨٧٠، بعد تلقيه العلوم الأولية انتقل إلى المدرسة الحميدية (لمؤسسها العلامة حسن يوسف مكي) حيث كان من طلابها اللامعين.

ظهرت موهبته الشعرية منذ اليفاعة، فنظم الشعر الرائق، وبانت مهارته في عالم الأدب، ناهيك عن رخامة صوته، فرتّل القرآن ترتيلاً، وقرأ مجالس العزاء الحسينية في المدرسة الحميدية وفي البيوتات التي كانت تحيي مجالس العزاء في أيام عاشوراء.

كان القارئ الأول لمجالس العزاء الحسينية في النادي الحسيني في النبطية الذي انتهى من تشييده العلامة الشيخ عبد الحسين صادق عام ١٩١٠م، واستمر في هذه القراءة حتى العام ١٩٦٤.

لم تجمع قصائده المنشورة في المجلات والصحف، وكذلك المخطوط منها.

أصيب بالعمى في ريعان شبابه، لكنه بقي صافي الذهن ثاقب البصيرة.

حضره الأجل يوم الإثنين الواقع فيه ٢٩ كانون الثاني عام ١٩٧٣.

المياه في الطريق، وتمكن الشيخ محمد من الوصول إلى منزله دون أن تبلله مياهٌ أو تجرفه سيول!!.

عندما سئل الشيخ عن صحة حصول هذه الواقعة العجائبية، أجاب بكلمة واحدة: «ليسَ»!!، فذهبت مثلاً.

٣٧ ـ شرّفونا المرّه الجايي بكون هون!!

توجه الشيخان أحمد رضا وسليمان ظاهر إلى منزل الرئيس سامي . . . في أواسط أربعينيات القرن المنقضي.

عندما دخلا إلى دارته استقبلتهما مدبّرة المنزل بالترحاب، وقامت بواجب الضيافة، وحين سألاها عن «دولته»، أجابتهما بأنه غادر الدار للتو، فانصرفا لا يلويان على شيء.

عند نزولهما على الدرج هتف لهما قائلاً: «بابا! مع السلامه، شرفونا المرّه الجايي بكون هون!!».

٣٨ ـ يا أمي! أنِا طالع ولّا نازل؟!

روى الأستاذ ماهر الحاج علي عن الشاعر ياسر بدر الدين ما يلي:

حين صعد «أبو سليم» السُلّم، خاطب والدته قائلاً: يا أمي! أنِا طالع ولاّ نازل؟!، فتعجبت والدته لهذا السؤال الساذج، وأجابته بسخرية: «إكلي تاكل هبل إمك!! إذا كنت حامل الغريبيليه بتكون نازل، وإن كنت مش حاملها بتكون طالع!!».

٣٩ ـ ما حدا لحدا يا فجل!!

«أبو الشيخ» من أبناء الجليل الفلسطيني، وقد أخرجه الصهاينة من أرضه، كما فعلوا بعشرات الآلاف من أبناء هذه الديار.

كان «أبو الشيخ» في قريته من الوجهاء والملاكين الميسوري الحال، وعزيزاً في قومه. وحين رحل خلّف وراءه المسكن والأرزاق، وحمل معه مبلغاً من المال، سرعان ما أنفقه حين أقام في النبطية بعد النزوح. بعدها لم يجد ما يقيه شر العوز سوى بيع الخضروات في ساحة النبطية، ومن بينها «الفجل» الذي كان يردد عند عرضه للبيع:

«ما حدا لحدا يا فجل!! فخر الديني يا فجل!!».

والمقصود بالعبارة الثانية، أن هذا الفجل هو من إنتاج أراضي آل فخر الدين، الواقعة شمال غرب النبطية.

٤٠ ـ «بو معن» يا غاية أملنا!!

في زمن ليس ببعيد كان «أبو معن» يختال في الأرض مرحاً، كأنه طاووس الملائكة، أو ديك الجنّ، أو عنترة بن شداد، فحسب نفسه فارس الهيجاء وأمير الصحراء والوديان الخضراء!!. وذهبت به الظنون إلى اعتبار نفسه من الشعراء المُفلِّقين والفرسان المغاوير، بل سرح به الخيال إلى أنه الأهم والأعظم بين هؤلاء!!، فأين منه عنترة وأبو فراس الحمداني والمتنبي؟ كيف لا؟ وهو يضاهي في الجمال وضّاح اليمن، وحسب أن روح الملك الضليل تقمصته، فهو فارس الفرسان وشيخ الشباب، و«الهدبا» فرسه الجموح، فأُنشدت له الأناشيد، ألم يقل أحدهم:

بو معن يا غاية أملنا

بدربك ميّل عا جبلنا

تسرح وتمرح بوادينا

ومهرتك ترعى بنفلنا

فطار فرحاً، وطُرِب وانتشى، وفاض كرمه على القائل، فأجزل العطاء وأكثر، وذكّرنا بعطاء الملوك والوزراء وأهل الفضل للندماء والشعراء والأدباء!!.

كيف لا يحب أو يعشق صاحبنا الفارس المغوار الذي لا تنطفئ له نار؟!! وكيف لا يعاني الغرام والوجد والهيام كعنترة بن شداد وعمر بن أبي ربيعة؟ لكن العذارى لم يهمن به ولا علقن في شباكه!!، ولا تاقت نفوسهن إلى هواه!!، ولا كدن يقطعن أيديهن من تأثير سحره فيهن، كما فعلت نساء أكابر مصر اللواتي اجتمعن إلى مائدة زُلَيخة، زوجة «عزيز مصر»!!.

أدرك بعض الخبثاء توق هذا الشاعر إلى حب امرأة!!، وتطلعه إلى تجربة في الهيام كي يبدع وتفيض قريحته في «القول»، فعمدوا إلى كتابة رسائل معطرة موشاة بأوراق الورد، وجادت قرائحهم في تدبيجها، منتقين أجمل عبارات الحب والوجد والغرام، وضمنوها الدعوات إلى لقاء تحت الأشجار الوارفة الظلال في حديقة غنّاء، تتثاقل عرائشها بالعناقيد، ومهروها بتوقيع غادة حسناء لا علم لها بغرامه بها!!.

حين استلم «أبو معن» تلك الرسالة هاجه الفرح، ومشى «الخيزلى». كيف لا؟ لقد حصل على حب الملاك الأنثوي الذي طالما حلم به، ومنّى النفس بوصاله، وها هي شبيهة عشتار تتوسل إليه أن يلقاها، ووصلته كتبها تحمل الرجاء والتضرع للقاء!!، كيف لا يرقص طرباً للغادة الحسناء التي حلم كل شاب بإيماءة منها؟

ولسان حاله ، ما قاله الشاعر الدكتور عبد الرضا صادق في قصيدة جاء في مطلعها:

يُحمحِمُها صبيّةَ في الحمى

فيا صبيّةَ في الحِمى حمحمي

فتوهم أنها نادته من أعماق قلب ملوّع. وألقت مرساتها في ميناء عشقه، وأبدت الرغبة في نيل الحظوة في دنيا هيامه، وراح عقله «النيّر» يغالب عاطفته الجموح مخاطباً إياها بالقول: الهدوء الهدوء! والتأني التأني! ألا تعلمين أيتها النفس من هو الرجل الذي حللت به؟ إنه فارس الهيجاء وأمير الشعراء!! الذي قل نظيره. ألم يُبدع في تصوير حقيقة مشاعره حين قال:

يا هدبا بحسن سيري وجدّي

لَبيِّنْ للورى فعلي وجدّي

يميناً بشرف بوي وجِدّي

طلقت عنان مني الدهر شاب

فلا تعجبي يا نفس إذا ما تهالكت العذارى وربّات الحجال على نشدان غرامه!!، إنه لشرف لكل أنثى أن يعشقها ويشبّب بها ويغرم!!.

بعدما انتهى العقل الراجح من مخاطبة النفس الجموحة، أخذ صاحبنا يستعد للقاء الحبيبة فاستحمّ وتعطر، ووضع فوق فرسه «الهدباء» سرجاً موشى بالفضة، وشد الرحال في الغسق إلى الحديقة الغنّاء، وتوغل بين الأشجار وهو يشدو ويغني ويحدو، وفي هذا الوقت كان أحد مدبري المكيدة قد حضر مستتراً بظلام الليل البهيم، وتجلبب بجلباب امرأة، وحجب وجهه بالنقاب، فأنشد الحبيب الولهان بعض غزلياته القديمة والجديدة في آن.

في الوقت عينه كان «طابخو الطبخة» يسترقون السمع إلى هذا الحوارالغزلي الرفيع، وهم يحبسون الأنفاس خشية انفلات الضحكات، وتكرر هذا المشهد، وصار صاحبنا يزداد عشقاً وهياماً بامرأة لا علم لها ولا خبر!!.

مرت الأيام سراعاً، وتزوجت المرأة ورحلت إلى ديار الغربة، فدهش صاحبنا

لهذا الحدث، واعتبر رحيلها خيانة من «العشيقة» وإخلالاً بالوعود والعهود بأن تصون وداده!!، ونظم «الفراقيات»، وشكا إلى الخلان غدر الزمان!!، وكيف أن هذه الحسناء طعنت في الظهر الأمير الثاني للشعراء!!. فانهال أصدقاؤه بكلمات التعزية والمؤاساة للأمير الولهان الذي باعته الغادة الحسناء، وتركته في نكد وبلاء، حتى كره العسل والترياق، وهو يروي للندمان في الليالي حكايات عن غدر النساء، ويختمها بالقول، إن كيدهن عظيم، وغدرهن أعظم، وإغواءهن أشد وقعاً على النفس!!، أليست حواء هي التي تسببت بطرد آدم من الجنة؟. وامتنع عن الزواج، ووضع شروطاً يستحيل توافرها في أنثى من البشر. وذهب إلى الرفيق الأعلى وفي نفسه حسرة على خسارته حب امرأة لا علم لها بالقصة من ألفها إلى يائها!!.

من وحي هذا الحب الرومانسي الذي شب أُوارهُ من طرفٍ واحد، نظم هذه القصيدة:

جادتْ علينا بنتَ الجودي
بلحظات كالنَبل رشّاقا

وجبينا عم يرشح بْرودي
ومن روس خدودا منقطف باقا

سَألتْ: وين هالكْ موجودي؟
قالت: شيّلو عالسمّاقا

لا تجاوز يا «بومعن» حدودي
تَراهُنْ عربنا رمّاقا

وسلاحُنْ خناجر وفرودي
وعرقاتن نيرانا حرّاقا

ولا يْهمُنْ لا سيف، لا بارودي
ولا يْهمُنْ مدافع طلاّقا

ورصاصُنْ قتّال الأسودي
وخيولن بالوغى سبّاقا

هنّي نسلْ عْمامي وجدودي
وكلّتهنْ للمتلي عشّاقا

وهنّي بعد الله معبودي
ويطربني جِداهنْ عالناقا

وعا غيابنْ أفراحي مفقودي
عسى الله يا ولفي نتلاقا

قلتلاً محبوبك نمرودي
وغزوتكنْ عندي ما هي عاقا

عا ظهر دهما أصلا سعودي
وبِسَيرا للخصم لحّاقا

يروى أن بعضاً من شباب النبطية حدّثوا «بو معن» عن ضرورة مبايعته بإمارة الشِعر خلفاً للشاعر أحمد شوقي، لأنه الجدير بتبوّؤ هذا المنصب نظراً لعطائه المميز في عالم الشعر ودنيا القريض، فتلقف هذه الفكرة، وطلب إمارة لِشعْرٍ، فبايعه العديد من الشعراء، ومنهم الشاعر جعفر الأمين الذي أرسل له هذه القصيدة من بلدة شمسطار حيث كان يُدرِّس في مدرستها الرسمية(*).

أبا معنٍ لقد أصبحتَ فخراً
لأهلِ الفنِّ في المعمورِ أجمعْ

فما من بلدةٍ في الأرض إلاّ
ونَجْمُكَ في سماها بات يسطعْ

(*) يعود تاريخ هذه القصيدة إلى حزيران عام ١٩٤٨.

من البحرِ المحيطِ بأرض صورٍ … إلى الجبلِ المقيمِ عليهِ يوشعْ
لأنّكَ أشعرُ الشُّعرا جميعاً … وأكرمُ من فتى عبسٍ وأشجعْ
وخصَّكَ فوقَ ذلكَ ربُّ موسى … بحُسنٍ نلتَهُ مذ كنتَ ترضعْ
فصرتَ حديثَ ألسنةِ العذارى … إذا ما راح يجمعهنَّ مخدعْ
فإنْ يوماً رأيْنَكَ في طريقٍ … تكادُ ظهورهنَّ لذاك تُخلعْ
وتجمدُ أعينٌ ويسيلُ ريقٌ … ويخفقُ نابضٌ ضمَّتهُ أضلُعْ
وأنتَ بِهِنَّ لا تُبدي اعتناءً … كأنَّ أختَ الغزالِ لديكَ ضِفدعْ
ولكنْ قد شُغِلتَ عنِ الغواني … بنظمِ قصيدةٍ وبقذفِ مدفعْ
إلى أن صرتَ أشعرَ من جريرٍ … ومن سبعِ الفلاةِ غدوتَ أشجعْ
فكنتَ كحصرمٍ في عينِ خصمٍ … وفي ظهرِ الحسودِ شكلتَ إصبعْ
ونلتَ إمارةَ الشُّعراءِ طُرّاً … وصرتَ لهم مدى الأيامِ مرجعْ

وشارك الأستاذ علي الصبّاح في المبايعة بهذه القصيدة:

أبا معنٍ أضاءَ الكونُ لمّا … طَلَعْتَ بشعركَ الفذِّ الرقيقِ
وأنعشتَ القلوبَ غداةَ لاحت … قصائدُ من فتىً لبقٍ رشيقِ
ولاحَ في بني... نجمٌ … تخُرُّ له النجومُ بلا فُروقِ
فلو سمِعتْ عذارى الكونِ جمعاً … بشعركَ آثرتكَ بلا حقوقِ
سمعتَ الأولينَ وجزتَ عنهم … أخا العلياءِ والمجدِ العريقِ
بربِكَ لَقِّنِ الشُّعراءَ درساً … بقولِ الشِّعرِ والنظمِ الدقيقِ
أبا معنٍ مبايعتي إليكم … أُقدِّمُها بشُكرٍ للخليقِ
فإنّي قد سمِعتُ لديكَ شعراً … يَهِيْجُ لواعِجَ القلبِ الخفوقِ
إليكَ تحيتي والشوقُ منها … لِشعرٍ أشتهيهِ بِلا عقوقِ
بني بغدادَ طاعتُها إليكم … أميرَ الشِّعرِ والزجَلِ النميقِ
فمجدُ العُرْبِ فيكم قد تسامى … أبا الأُمراءِ والشِّعرِ السَّليقِ
فأنتَ أميرُنا بالحقِّ عدلاً … وحُبُّكَ جارياً وسطَ العُروقِ

وخصّهُ الشاعر عبد الكريم الصبَّاح بهذين البيتين من الشعر بالمحكية، حيث عبر عن واقع «أبو معن» إذ قال:

ابـو مـعـن هـالـعـصـر عـصـر الـنـور ... فـيـه الـتـقـيـنـا والـتـقـى الـمـعـمـور

دايـــر لا شـــغـــلـــي ولا عـــمـــلـــي ... مـــن الـــبـــيـــت لـــلـــدكـــان لـــلـــتـــنـــور

٤١ ـ القاموس «البو فيصلي»

أطلق أهالي النبطية على «أبو فيصل» لقب «الأستاذ» نظراً لقيامه بتفسير أسماء البشر والأماكن والأشياء، والرجوع إلى مصدر تسمية كل منها، والكشف عن سبب تكوّنه، والولوج إلى جذور اشتقاقها، وهي تحليلات امتازت بالظرف، وإن دلّت على شيء فإنما تدل على ذكاء هذا الرجل. وأورد عيّنة من المسميات التي قام «أبو فيصل» بتحليلها:

مسبحةْ: كان رجل يتلاعب بحبات مشكوكة بخيط، فمسّها طفل صغير فنهره قائلاً: «بخه»، فصار اسمها «مسبحهْ»!!.

طربوش: «مرد التسمية إلى أن في أعلاه «طارهْ» وفي أسفله فراغ(أي «بوش») فأصبح «طربوش»!!.

حاصبيا: يحكى أن رجلاً افتقد ابنته في سهل وادي التيم، فبحث عنها مطولاً حتى «حاص»، فبات اسم المكان: «حاصبيا»!!، وكلمة، «بيّا» يستعملها العامة بدلاً من «أبوها»!!

صندل: ذهب رجلٌ إلى بائع الأحذية من أجل شراء حذاء لابنه الصغير ف «صَنَّ»، أي فكر ملياً، ثم «دلَّ»، فصار اسم الحذاء الذي ينتعله الأولاد الصغار «صندل»!!.

نبطيةْ: يحكى، أن فتاة جميلة اسمها «طِيِّهْ» قام والدها بمطاردتها لأنها هربت من المنزل، فراحت تجري هرباً من والدها الذي حاول الإمساك بها، فأخذ نبضها بالخفقان حين وصلت إلى مكان غربي قلعة الشقيف، وعند وصولها: «دق نبط طيِّهْ»، فاختُصرت الكلمة، وبات المكان يُعرف باسم «نبطيهْ»!!.

سيارةْ: سين: أداة سير، وياره: تحريف لـ«يرى»، فباتت «سيارهْ»!!.

مسمار: أسمي بـ «المسمار» لأنه يمس الأشياء الصلبة ويخترقها(أي أنه يمرُ بها) فهو«مار» فأصبح يسمى: «مسمار».

صيدا: هربت غزالة من سهل البقاع، وكان يطاردها صياد، فوصلت إلى الشاطئ، وهناك تم صيدها، فحُرِّفت الكلمة إلى اللهجة العامية، فأمست «صيدا».

زبدين: عندما طُلب إلى الأستاذ «أبو فيصل» تفسير معنى اسم قرية زبدين، أجاب الكلمة تفسر نفسها بنفسها!!.

كفر تبنيت: أقام رجل صالح يدعى تبنيت في البقعة التي شيدت عليها لاحقاً كفر تبنيت، وقد عانى من الأمراض المزمنة، ومن شظف العيش، إزاء هذه المعاناة أصبح «تبنيت» كافراً بعد إيمان، فأُطلق على مكان سكناه اسم «كفرتبنيت»!!.

حبوش: خاطب شخص آخر في هذه البلدة بالقول: «في بلدتنا (الحب)(بوش)» أي لا وجود للحب!!.

حومين: طرق رجلٌ الباب على إمرأة كانت تستحم في منزلها، حين لم تجب، كرر القرع بصورة عنيفة، فأسرعت ربة البيت إلى ارتداء ملابسها بسرعة دون أن تقوم بـ «تنْشيف» جسدها، فأخذ البرد منها مأخذاً، فرددت وهي خلف الباب «حوّ... مين؟». فأُطلق على البقعة الموجود فيها منزلها: «حومين»!!.

مختار: مركبة من كلمتين: أصلها «مخّ» و«تار» والأخيرة «طار». «مخّ طار» وجاءت هذه التسمية لصاحب هذه الوظيفة العامة من مكابدته لعناء التعاطي مع الحكومة من جهة والناس من جهة أخرى، فقيل، أن مخّو طار، فأصبحت بعد التحريف «تار».

خنفُشار: قام العلاّمة الشيخ أحمد رضا بتأليف «معجم متن اللغة»، بناء على تكليف من المجمع العلمي العربي في دمشق، وقد استغرق منه هذا العمل جهداً كبيراً وطول معاناة، فكان يصل لياليه بنهاراته، فاعتراه التعب وانتابه الإرهاق!!، فأراد أخذ فسحة من الوقت كي يُروِّح عن نفسه من عناء الجهد المبذول. فطلب ـ في إحدى الليالي ـ من نجله الدكتور نزار أن يحضر «أبو فيصل» إليه،«كي ننهل من معين علمه»!! كما خاطب نجله وهومبتسم، فقام الدكتور نزار بهذه المهمة على أكمل وجه، وعاد وبصحبته «الأستاذ».فأحسن الشيخ أحمد وفادته، وراح يبثه شكواه جراء قيامه بتأليف «المعجم» وتصنيفه، وأن هناك إشكالات واجهته وصعوبات اصطدم بها في تفسير بعض الكلمات وإدراك معانيها، كمثل «خُنْفُشار»!!، والتمس من «أبو فيصل» تفسيرها، لأنه من علماء اللغة القروم!! فانفرجت أسارير الأخير، وخاطب الشيخ أحمد بالقول: «إكتب! كلمة خُنْفُشار أصلها: خَنَّ وفشَّ وطار، فأمست: خُنْفُشار!!»، فضحك الشيخ أحمد بملء فيه، وتحدث إلى «أبو فيصل» مقرِّضاً عِلْمَه الغزير بالقول: «جزاك الله خيراً عن العلم وأهله!!، فقد أسهمت إسهاماً كبيراً في إغناء هذا المعجم!!، فبارك الله فيك وبأمثالك!!، وأرجوك أن لا تبخل علينا بمد يد المساعدة إذا ما وجدتُ استعصاءً لأي مسألة بعملي المعجمي!!».

٤٢ ـ من حين ما جاب الإرحفي عبود!!

جلب عبود طقش إرحفي ـ وهي هيكل عظمي لثور ذبيح ـ من سوق اللحم، وسلّمها إلى والدته كي تغليها على النار، تمهيداً لاستخدام «زومها» في صنع مآكل شتى. فعلم توفيق ظاهربهذه الواقعة، فنظم «جعيديهْ» حولها. ومن المؤسف أن هذه «الجعيديهْ» التي تضم عشرات الأبيات لم يبق منها إلا عدد قليل ما زالت تختزنه ذاكرة السيد عدنان زيبارة والحاج كامل حمّود بدير.

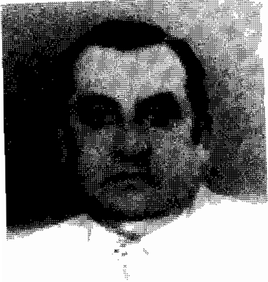
ونورد ما يلي هذه الأبيات كما روياها.

نص «الجعيديهْ»:

مـن حـيـن مـا جـاب الإرحـفـي عـبـود
نـادت «عُـذِّيـبـا» سـلـفـهـا حـمّـودْ
هـاتـهـا هـالإرحـفـي لـلـنـار نـغْـلـيـهـا
وسمعهم من أوضة الفوقا الشبل عبُّود
كـشّـف عـن إيـديـه وبـلّـش حـركْ فـيـهـا
وجـحـمـدي بـيـنّـده عـلـى الـجـيـران
تـا يـلـمـو الـحـطـب لـلـنـار نـضْـلـيـهـا
وأرسـلـوا خـبـر عـاجـل لَـبِـن صـبّـوري
لَـيسـهـر الـلـيـل تـا يـنفُـخ عـلـى الـكـوري
ودبّ الـخـبـر عـا مـعـظـم الـجـيـران

لَمنتصف الليل وارتفعت الأصوات تعْليها
وردت الحجّي قالت: بعدا الإرحفي فجّي
وسمعهم عن قرب جارُن حبيب
أنا حبيب عيوني بيرجف منهم الذيب
إذا ما شلتولي من الإرحفي نصيب
حا أخذ المْسّاس وبلّش ضرب فيها
سمعهم هونيك جارن السِيد حسين
أنا اللي إسمي حسين ولفّتي طولها مترين
وقامت قيامة حسن جعفر
قام يركد حافي على المخفر
ودارت الدورا عا نمر مالح
والديك عا عينو اليمين سالح
ووصل الخبر لَمحمود حامد
وصرخ لفندي: هون خلّيك جامد
سمع الخبر الحجّ حبيب كركي
واليوم إختي مريم حاتسقينا مية الفتّي
أما الأكارم متل صيداوي
قال: ماء الإرحفي للعظم بيداوي
لا بد ما يوم الجوع بصحن
من برغل أو فتّي نداويها

٤٣ ـ البادىء أظلم!!



عبد الكريم قانصو
«أبو محمد»

أقدم الشيخ محمد علي شمس الدين «أبو عبد اللطيف» خلسة على انتزاع مسبحة ثمينة من صديقه عبد الكريم قانصو«أبو محمد»، فنوى الأخير اغتنام أية فرصة مناسبة للقيام بـ «ردّة رجل» لمن قام بانتزاع مسبحته القيّمة من بين يديه، وصمم على كيل الصاع صاعين للشيخ محمد علي، جراء هذه الفعلة، فوجد «أبو محمد» سانحة مؤاتية للانتقام من «أبو عبد اللطيف» عندما قام الأخير بتوجيه الدعوة للرئيس عادل بك عسيران إلى وليمة تقام على شرفه في شلال عربصاليم، فحدّث عادل بك عن خروف مُسمّن أُعد من أجل ذبحه في هذه «العزيمة» التي تم تحديد موعدها في يوم الاثنين المقبل، فشكره عادل بك على هذه الدعوة ووعده بتلبيتها في الوقت المحدد.

حين غادر عبد الكريم قانصو دارة الرئيس عادل بك عسيران برفقة الشيخ محمد علي شمس الدين اختمرت في رأسه فكرة الثأر من «الشيخ» وقوامها: إخبار عادل بك بأنه يتعذر على «أبو عبد اللطيف» أن يولم على شرفه يوم الاثنين الآتي، نظراً لحضور مفتش تربوي إلى مدرسة حومين في ذلك اليوم، ومن ثمّ يؤكد للشيخ محمد علي التزام عادل بك بحضور حفل الغداء في الموعد المحدد. وبالتالي، فإن الخطوة الثانية تتمثل بإقامته وليمة عرمرمية على شرف أصدقائه الحميمين من أبناء

النبطية في شلال عربصاليم، وقبلها يقوم بإحضار الخروف من منزل الشيخ محمد علي شمس الدين، ويصار بعدها إلى ذبحه والتمتع بأكل لحمه مشوياً.

بدأ «أبو محمد» المرحلة الأولى من الخطة، فخاطب «أبو عبد اللطيف» قائلاً: «يا شيخنا! لهيتنا بخفة دمك وحديثك الحلو عن الحديث مع عادل بك بقضيه خاصه، فانطرني بها لقهوي لربع ساعه، مسافة الطريق إلى دار عادل بك، وبعدها أنا راجع على طول، وبعدين بناخذ سياره عالنبطيه».

فاقتنع الشيخ محمد علي بقول رفيق الدرب الذي عاد مسرعاً إلى دارة الرئيس عادل بك عسيران، وعندما اجتمع به مجدداً أعلمه بأن «أبو عبد اللطيف» قد كلفه تقديم الاعتذار عن الدعوة إلى وليمة الغداء يوم الإثنين المقبل، نظراً لأن التفتيش التربوي سيقوم بزيارة تفقدية لمدرسة حومين الفوقا في هذا اليوم، وأعلم «البيك» بأن الشيخ محمد علي قد تنبّه إلى هذا الأمر حين خروجه من دارته، وأنه قد عهد إليه بهذه المهمة، فقبل عادل بك هذا الاعتذار، وطلب إلى «أبو محمد» نقل تحياته إلى الشيخ محمد علي، وحرصه على مصلحة هذا الصديق، ووعد بتلبية الدعوة في وقت آخر. ثم عاد «أبو محمد» مسرعاً لموافاة «أبو عبد اللطيف».

أثناء توجههما في السيارة إلى النبطية، أكد «أبو محمد» أن عادل بك ما زال على وعده بتلبية دعوته إلى حفل الغداء، وتمنى عليه أن يعد ما طاب ولذ من المآكل. فوعده خيراً، وأكّد له قائلاً: «عند وصولي إلى عربصاليم سأطلب من الحجّة أم العبد أن تؤمن كل مستلزمات العزيمه، إضافة للخاروف السمين، وراح تشوف يا بو محمد شي بيعجبك، وإن شاء الله بيكون عادل بيك مسبوط».

وفي اليوم التالي التقى عبد الكريم قانصو ثلة من أصدقائه الخُلّص ـ وأطلعهم على «المقلب» الذي يود إيقاع الشيخ محمد علي شمس الدين به، وتم التباحث بطريقة «قردفته» يوم الوليمة، فاستقر الرأي على توجههم قبيل ظهيرة الإثنين المقبل إلى عربصاليم، وأن يُبَلِّغ «أبو عبد اللطيف» أنّ مفتشاً تربوياً سيقدم إلى مدرسة حومين الفوقا في هذا اليوم، وفي أي ساعة من ساعات الدوام الرسمي، لذا

يتوجب عليه البقاء في المدرسة حتى انتهاء الدوام في ذلك النهار، أما الرئيس عادل بك عسيران فسيلحق بهم عند الظهيرة، في حين أنهم سيقومون بالنيابة عنه بالإعداد لمأدبة تليق بمقام عادل بك، خلال وجوده في المدرسة بانتظار وصول المفتش التربوي!!.

صبيحة الاثنين انطلق هؤلاء الخلاّن إلى عربصاليم في سيارة «الغُرّ» بعدما أعدوا «الزِهبة» للمأدبة العامرة.

عند وصولهم إلى منزل الشيخ محمد علي شمس الدين تولى أحدهم إبلاغه أن مفتشاً تربوياً سيأتي إلى مدرسة حومين الفوقا، ولذلك عليه التوجه حالاً إلى المدرسة، والمكوث فيها حتى انتهاء الدوام، وعندما استفسرهم عن موعد قدوم عادل بك إلى عربصاليم، أجابه عبد الكريم قانصو بأن «البيك» سيأتي حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر، أي في موعد عودته هو من المدرسة، وأنهم يتكفلون بالإعداد للمأدبة، ونقل الخروف والمآكل من منزله إلى شلال عربصاليم، فما كان منه إلا التوجه إلى حومين الفوقا بعدما طلب إلى زوجته تسليم مستلزمات حفل الغداء كلها إلى هؤلاء الأصدقاء، نظراً لاضطراره للمغادرة إلى المدرسة. فأوصله «الغُرّ» إلى حومين، وقفل عائداً. فطلب عبد الكريم قانصو من «أم العبد» تسليم الخروف المُسمّن، وكذلك الخبز المرقوق الطازج والدجاج المقلي والبيض المسلوق و«أسياخ الشك».

فساقوا الخروف وحملوا بقية المآكل إلى شلال عربصاليم، وكانت وليمة عامرة تخللها شواء اللحم وتناول بقية المآكل اللذيذة والمشروبات. . . !!.

بعدما فرغوا من الأكل والشراب، طلبوا من السائق إحضار الشيخ محمد علي من حومين، فقام بهذه المهمة، ولدى عودة الشيخ إلى قريته سأل السائق عن الترتيبات المتعلقة بالإعداد لمائدة الطعام، والاستفسار عن قدوم عادل بك، فخاطبه «الغرّ» ساخراً: «يا شيخنا! الشباب ذبحوا الخاروف وشووا لحمو وأكلوه وأكلوا البيضات والدجاجات والبندورات والخْيارات وشربوا المشروبات!!، وما بقي إلاّ

سياخ الشك والصحون والعظام والبطحات الفارغه، وعادل بك ما إجا ولا بيّن»، فضرب «أبو عبد اللطيف» رأسه بكلتا يديه وصرخ: «عملها عبد الدويري!! عملها وفوّت السبت. . .عمل فخّ مرتب»، فانتابت السائق نوبة من الضحك!!.

حين وصل الشيخ محمد علي شمس الدين إلى الشلاّل استقبلته «الثُلّة» بالهزج و«الصفق والطَرْق» و«الرقص والدبك»، وهم يرددون هذه الأهزوجة:

يـــا مـــولانـــا عـــنـــدك شـــكّ

إنّـــو بـــقـــي ســـيـــخ الـــشـــكّ

فشتم بأعلى صوته. أما أفراد «الثلّة» فقد شقّت أصواتهم عنان السماء، وهم يهزجون ويغنون مرحين، وتعبت أكفهم من التصفيق.

عندها خاطبه عبد الكريم قانصو: «وِحده بوِحده يا شيخنا! والبادئ أظلم».

٤٤ ـ هيذا تْريني ولاّ مش تْريني؟!

كان رجل مغفّل يعمل ـ في أواخر أربعينات القرن الماضي ـ جابياً «برتسبتير» في شركة الترام ببيروت.

ذات يوم كان يداوم في إحدى حافلات الترام، فنقده أحد الركاب مبلغ خمس ليرات ليصرفها له، لكنه لم يجد في محفظته مبلغاً كافياً من «الفراطة»، فنزل من حافلة الترام، وتوجه نحو أحد الدكاكين من أجل «صرف» هذا المبلغ، وبعدما تسنى له ذلك، وجد أن الترام الذي يعمل عليه قد انطلق، فراح كلما شاهد تراماً يقول: «يا ربي! هيذا تريني والله مش تريني!!».

٤٥ ـ سذاجة ن...!!

بأيَّ فرنك بدي إشتري...؟؟

كان ن. . . يحضر أحياناً إلى عيادة الدكتور علي. . . ليؤدي له بعض الخدمات، وامتاز هذا الرجل ببساطة تصل إلى حد السذاجة.

ذات مرة طلب منه الدكتور علي أن يشتري له سجاير «لاكي سترايك» وعلبة كبريت، ونقده «فرنكين» لهذه الغاية.

بعدما ذهب إلى المحل المجاور عاد مسرعاً، وسأل الدكتور علي: «بأي فرنك بدي إشتري السياكير؟ وبأي فرنك بدي إشتري الكبريته».

روح دَورٍ علي!؟

في أحد الأيام قال له الدكتور علي: «روح دَوِّر عليي بمحل خيي السيد صبحي، وشوف إذا كنت هونيك!! ورجاع خبرني!!»؛ فتوجه إلى محل السيد صبحي. . .، وأخذ يبحث عن الدكتور علي، فلم يجده!!؛ وعاد مسرعاً ليخبره بأنه لم يعثر عليه في محل شقيقه!!.

٤٦ ـ بتجي بـ ٣١ شباط!!

في العام ١٩٥٠ قامت شركة التابلاين الأميركية بمد شبكة أنابيب النفط من ميناء الدمام في المملكة العربية السعودية إلى مرفأ الزهراني.

في هذه الأثناء صادف قيام م... بفلاحة أرضه من أجل زراعتها، فقام شابان من شباب النبطية بشراء بضعة ليترات من البنزين، ووضعاها في «رشاشة»، ثم أقدما على رش حقل هذا الرجل بهذه المادة، وفي الصباح الباكر طرق أحدهما باب منزله ليخبره، بأن رائحة النفط تنبعث من حقله، فارتدى لباسه وأسرع بالتوجه نحوه، فشمّ رائحة النفط تنبعث بقوة منه حديثاً، فسأل الشخص ـ الذي اصطحبه ـ عن الخطوات الواجب سلوكها بعد هذا الاكتشاف؟ فرد على استفساره بالقول: «يللا نروح عند الأميركان بالزهراني لنخبرّهم بللي حاصل».

انطلت الحيلة على مالك الحقل، وذهبا معاً إلى مقر شركة التابلاين في الزهراني.

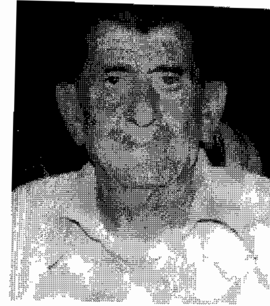
فور وصوله حدّث العاملين في الشركة عن النفط المخزون في حقله، وخاطبهم بالقول: «يا جماعة الخير! في بحقلتي بترول قد ما في في البلاد العربية كلها، شو بدكم بمد الخطوط، وهالتكاليف، تعوا لعندي عالنبطيه ومدوا الأساطل عالزهراني، النبطيه فشخة من هون!!». فدهش العاملون في الشركة لهذا الكلام، واعتبروا قائله مغفلاً أو مجنوناً، فأجابه المسؤول: «يا مستر! تعا في ٣١ شباط المقبل وسوف نقوم بتلبية طلبك، ونعمل على استخراج البترول من حقلك!!». فانصرف وهو في غاية السرور!!، وعندما وصل إلى مقهىً في النبطية، أخذ يروي ما حصل معه في شركة التابلاين، وإنها ستباشر الحفريات في حقله لاستخراج النفط منها في ٣١ شباط المقبل!!. فما كان من رواد المقهى إلاّ واغرقوا بالضحك

جراء غفلة هذا الشخص، وخاطبوه وهم يهزأون قائلين: «نعيماً يا أخ! قصة ٣١ شباط متل قصة اللي بيقول للآخر: إن شاء الله بالمشمش بيصير ها لأمر، يا أهبل! ما بتعرف إنّو شهر شباط ما في لا ٣٠ ولا ٣١ في سنوات بيكون ٢٨ يوم وفي سنوات ٢٩!!». فذهل لما سمعه وراح يشتم يَمنةً ويَسرة!!.

٤٧ ـ إذا أنتِ الكيلو فأنِا الرطل!!

في ليلة مقمرة من ليالي مطلع خمسينات القرن العشرين كان السيد محمود شريف بدر الدين يغني ويهزج بأعلى صوته، مما سبَّب الإزعاج لمدير بريد النبطية أحمد كالو «أبو رضا» (وكان يلفظ أهالي النبطية اسم عائلته «كيلو») الذي ناداه بنبرة مرتفعة كي يلتزم الهدوء ويخلد إلى السكينة، لأنه سبَّب له ولعائلته الإزعاج وإقلاق الراحة؛ فما كان من السيد محمود إلا الصراخ بكل ما أوتي من قوة حنجرة: «إذا أنتِ أحمد كيلو فأنا محمود الرطل!!».

٤٨ ـ نتعات «أبو صالح»



«أبو صالح»

بسينه بتحوّش مشمش!!

«أبو صالح» من الأشخاص الظرفاء وصاحب نكتة، ومن محبي أجواء الانشراح وتدخين سيجارة الكيف.

في أحد الأيام قام شاب شبه مختل عقلياً يدعى محمد . . . بزيارة جاره «أبو صالح»، الذي كان يجلس في الحديقة متفيئاً شجرة مشمش، وأمامه «منقل» الجمر، فأخبر زائره أن لديه قطاً يقوم بقطف المشمش!!، ومن ثم أمسك بالهر، وأخذ «يحرُّ» إحدى قائمتيه بجمر «المنقل»،فصعد الهر المسكين إلى أعلى شجرة المشمش، وراح يقفز من غصن إلى آخر، فتساقط ثمرها مدراراً!!.

عندها خاطب «أبو صالح» زائره: «شفت يا محمد! في عندي بسين بيحوِّش مشمش!!، وهذا من أصناف القطط النادره بهالأيام!! ».

فسارع محمد بالعودة إلى المنزل، وألحَّ على والدته أن تشتري له قطاً يقوم بقطف المشمش كمثل الذي يقتنيه «أبو صالح»!!. وعندما حضرت والدته إلى منزل «أبو صالح» طالبة إليه بيعها هذا القط العجيب!! أجابها بالقول: «أنا متأسف يا حجّي! القط راح عالشام ليحوّش مشمش ويعمل قمر الدين!!».

العجب متل الزّيز بدحنوني!!

قدم إلى النبطية من بلدة العقبة الأردنية رجل تميل سمرته إلى السواد الداكن، وعُرِف باسم «العجب العقباوي». وكان يعمل مُجَلِّخاً للأدوات القاطعة.

يروى،أنه قدِم في أحد الأيام إلى المقهى، وهو يرتدي قميصاً أحمرَ اللون، فشاهده «أبو صالح»، الذي خاطب الحضور بالقول: «شوفوا العجب مبيِّن متل الزِّيز بِدحنوني!!».

«الدحنون» هو الاسم الذي يطلقه العامة على زهرة شقائق النعمان.

ولوّ نسيت نهر براغيت؟!

بعدما أسفرت الانتخابات النيابية السورية التي جرت في ربيع العام ١٩٥٤ عن فوز الأمين العام للحزب الشيوعي السوري خالد بكداش، توجه وفد من منظمة الحزب الشيوعي في النبطية إلى دمشق لتهنئته بالفوز، فرحب أشد الترحيب بالوفد النباطي، وأشاد بالتاريخ المُشرِّف للنبطية في النضال ضد الاستعمار والأحلاف وشركة الريجي الاحتكارية، وتطرق إلى إسهام هذه المدينة في الحركة التنويرية العربية، وشدَّد على كونها «متوسطة» بين الداخل السوري والشمال الفلسطيني وجبل لبنان وساحل البحر المتوسط. فـ«صفَنَ» «أبو صالح» وقتاً غير يسير، ثم أخذ زمام الحديث، وتوجَّه إلى خالد بكداش بالقول: «النبطية متوسطة تمام يا بو عمار! كلامك كِلّو صحيح، بسّ في شغلي كتير مهمه نسيت ذكرها عن النبطيه، والظاهر إنّو الرفاق ما خبّروك عنها، وأنا واجبي خبرك عنها، هي وجود نهر كبير في النبطيه بيوازي بالحجم نهر الليطاني ونهر العاصي، وهوي نهر بْراغيت!! ولو مش سامع فيه ولا قاري عنو؟!». عندها لم يتمالك أعضاء الوفد أنفسهم من الضحك المتواصل، وسط إستغراب خالد بكداش لهذا الكلام عن نهر لا وجود له في

خريطة لبنان!!. وسأل بعض أعضاء الوفد عن هذا النهر «العظيم»؟!!. فأغرقوا ـ مجدداً ـ في الضحك، وشرحوا له أن «بْراغيتْ» هو عبارة عن جدول ماء صغير يتدفق ماؤه في النبطية أثناء المطر الغزير!! فضحك القائد الشيوعي ضحكاً عميقاً، وخاطب «أبو صالح» بالقول: «لا تؤاخذنا يا رفيق! لتجاهل هذا النهر الذي يضاهي نهري الأمازون والمسيسيبي، طولاً وعرضاً!!».

٤٩ ـ طحّان ما بيغبّر عاكلّاس!!

كان «الوالد» أحمد إبراهيم الصبَّاح موظفاً في شركة «الريجي»، رغم كونه لا يجيد القراءة والكتابة، وأدرك الرئيس أحمد بك الأسعد هذه الحقيقة، فأراد في إحدى المرات مداعبته، وهو من أصدقائه المقربين، فاغتنم فرصة وجود عددٍ من الأصدقاء الخلّص، وخاطب «الوالد» قائلاً: «خوذ هالجريدة يابو سعيد وقرالنا شويّ فيها، لأني مش قادر أقرا لأنو عويناتي مش معي»، فأدرك «الوالد» للتو أبعاد هذا الطلب «الملغوم»، فتناول الصحيفة اليومية، وتظاهر بقراءة أخبارها، وراح يردد بصوت مرتفع: «في الأسبوع المنقضي توجه عطوفة رئيس مجلس النواب أحمد بك الأسعد إلى مصر في زيارة خاصة، وكان في استقباله كبار المسؤولين وحشد من الفنانات...»، وهنا اقترب الرئيس أحمد بك الأسعد من الوالد، بأسرع من البرق، وطلب إليه عدم المتابعة، خشية سماع أقواله من قبل من هنّ في قاعة «الحريم»، لأنه كان في الأسبوع المنصرم قد زار دمشق، وليس القاهرة، كما ردد «الوالد». حينها خاطب «الزعيم الوائلي» «الوالد» قائلاً: يا عمي! طحّان ما بيغبّر عاكلّاس!!».

٥٠ ـ لْحقوني قام الميت من قبرو!!

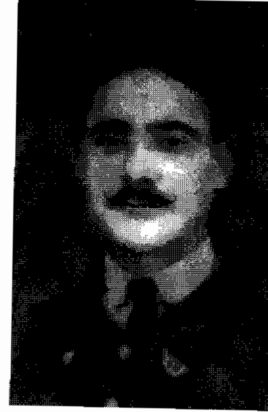
في إحدى الليالي دخّن «المتْقّوَبْ» سيجارة حشيش الكيف،ونام في تابوت «مركون» إلى جانب قبر المرحوم محمود بك الفضل (المحاذي للنادي الحسيني في النبطية).

وصودف أن المؤذن محمد ... كان يجول في الجهة الجنوبية للنادي الحسيني، فسمع «نحنحة»، فصرخ بأعلى صوته: «مين عم يتنحنح؟!».فسمع الجواب: «أنا محمود!! أنا محمود هون!!». فحسب أن محمود بك الفضل قد قام من بين الأموات، فأصابه مسٌّ وراح يهرول صارخاً، وهو متجه إلى ساحة النبطية: «يا ناس! يا عَالَم! «محمود بك قام من قبرو وحاكاني!!». وعندما وصل إلى الساحة ازداد صراخه، فاجتمع حوله الناس الذين استغربوا ما هو عليه من حال!! سائلين إياه عمّا حصل معه بالضبط، فروى لهم هذه الواقعة، فقرر البعض منهم التوجه نحو المقبرة ليروا حقيقة الأمر؛ وحين وصولهم إلى ضريح محمود بك الفضل وجدوا «المْتقّوَبْ» نائماً في التابوت المجاور للقبر وهو يغني:

عطيني شحطه الله يديمك
يستر عا عرضك وينصر حريمك

فأدركوا حقيقة ما جرى، وعادوا إلى الساحة، وهم يضحكون، وفي الوقت عينه يهزجون مرددين ما كان «المْتقّوَبْ» يقوله!!.

٥١ ـ أنِا متل النبي نوح!!



الحاج محمد علي زيبارة
«أبو العبد»

في النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي صدم السِيد عبدالرضا زيبارة الفتى رهيف محمد علي رضا بواسطة درّاجة نارية «موتو سيكل» فتسبب له برضات وكسور، وقد توارى الفاعل عن الأنظار، فراح ضابط الدرك فياض الأسعد يبحث عنه، وسأل والده السِيد محمد علي زيبارة عن مكان وجوده، فأنكر معرفته بالجهة التي توارى فيها، وهنا وجه له هذا الضابط كلاماً مهيناً، إذ خاطبه بالقول: «إنتِ واحد مش آدمي»، فأجابه «أبو العبد» مستنكراً: «يا سِيدنا كيف بتقللي متل هالكلام، وأنا متل النبي نوح؟». ولما استفسره هذا الضابط عن أوجه الشبه بينه وبين هذا النبي؟ أجابه قائلاً: «يا سِيدي! كما ورد في القرآن الكريم، فإن النبي نوح عندما جهز سفينه، وطلب إلى كل زوج من البشر والحيوان والطيور الصعود إليها تلافياً للطوفان، عصاه ابنه، ورفض الامتثال لأمره، وصعد إلى قمة الجبل التي زعم أنها تحميه من الطوفان!!، وأصرّ على عصيان إرادة والده النبي نوح، وأنا حالي كحال هذا النبي، فكلانا عصاه ولده وخرج على طاعته، ألستُ كمثل هذا النبي، وبالتالي لا يجوز أن توجه لي الإهانة؟!!».

٥٢ ـ بهنّيك ضيّقه!!

تزوج ر. . . امرأة فاتنة عيطبولاً مكتنزة، وقد تكررت «الخناقات» بينهما، فطلّقها ثلاث مرات!!، وبعدها أراد إعادتها إلى عصمته. لكن القاضي الشرعي أبلغه أن العودة تحتاج إلى «المُحَلّلْ»، وفقاً للنص القرآني، أو ما تُسميه العامة «التجحيش». لذا من الضروري أن يُعقد زواج هذه المرأة على رجل آخر، ثم يقوم لاحقاً بتطليقها، كي يتسنى للمُطلِّق العودة إلى المرأة التي طلّقها. فوقع الاختيار على رجل غير زمني ليكون «المُحَلّل».

الخلاصة، أن عقد الزواج قد تمَّ بين رجل غير زمني وهذه المرأة، وعندما حصل هذا الأمر أصرّ «المُحَلّل» على حصول الخلوة الشرعية معها، باعتبارها حقاً من حقوقه على المرأة المُقترِن بها. وبعدما اختلى بها عدة أيام، استحسن عِشرتها، ووجد منها كل ما يفرح قلب الرجل، ويشرح صدره، وأظهرت له من الغنج والدلال ما أسر لُبّهُ، وسيطرت على مشاعره، وزادت شبقه توقداً. فقرر عدم تطليقها، والاحتفاظ بها زوجة إلى أن يأتي هادم اللذّات ومفرّق الجماعات!!. لكن ضغوطاً متنوعة مورست عليه، فوافق مرغماً على تطليقها، وعندما حضر إلى المحكمة الشرعية كي يُطلِّقها شاهد زوجها السابق فتوجه نحوه وصافحه قائلاً: «بهنّيك بها المرا، إنها مِحَركٌ مِغناج، ناهيك بكونها ضيّقه!!، فحافظ عليها ولا تفرط بها!!».

٥٣ ـ شو دخّل الطزّ بعصاية المنكوش؟!

كان الدكتورعاطف فياض يدْرُس الحقوق في إحدى الجامعات المصرية، وقد أراد الاستزادة في معرفة علم الفرائض، وفقاً للمذهب الجعفري؛ فقصد العلامة الشيخ محمد تقي صادق، وحين التقاه في النادي الحسيني في النبطية، كان في حضرته الشيخ...، وبعدما حدَّث الدكتور عاطف فياض العلامة الشيخ محمد تقي عن غايته من الزيارة، قال له الأخير مداعباً: «أنا ذاهب لبعض الوقت!!، وفي غيابي اسأل الشيخ ...!!، فإذا أشكل من أمر عليكما، فأنا حاضر عندها للتوضيح!!».

بعدما غادرهما العلامة الشيخ محمد تقي صادق، بادر الشيخ المذكور الدكتورعاطف فياض بالقول: «دعك يا أستاذ من سؤالي عن علم الفرائض!!، وسْألني عن أحسن محل حلو بالنبطية!!»، فطرح الدكتور عاطف السؤال عليه، فأجابه: «بلا شك ولا ريب إنه محل حلويات أبو شقرا!!». فخاطبه الدكتور عاطف فياض بالقول: «يا شيخنا! شو دخَلْ الطزّ بعصاية المنكوش؟!».

٥٤ ـ تعليقات الحاج حيدر حامد

تعا ركاب عاظهري!!

كان مخايل الصائغ يمازح الحاج حيدر حامد، خاصة أثناء أوقات انشغاله بعمله التجاري، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى صدور تعليقات طريفة عن الحاج.

في ظهيرة يوم حار وأثناء انشغال الحاج حيدر بمساومة زبائنه، مرَّ مخايل وألقى التحية على الحاج قائلاً: «سعيدي ياحجّ!»، فأجابه الحاج بانفعال: «سعيدي مبارك». وما لبث أن عاد مخايل وكرَّر إلقاء التحية عليه، فرد بالقول: «من فضلك فيك تأجلها خمس دقايق، ياعيني هتلر بطولو وعرضو عطا بولونيا إنذار لمدة ٢٤ ساعة!!». فانصرف مخايل، لكن البعض أوعز له بمعاودة السلام على الحاج الذي يمتاز بحدة طبعه، ففعلها، وعاد للسلام عليه فانفعل أيما انفعال، وما لبث أن احنى ظهره حتى لامست يداه الأرض، وصرخ بمخايل قائلاً: «تعا ركاب عاظهري!! تعا! أنا حاضر!! بس حلّ عني!!».

مهندس ديكور يعني عتّال فرنجي!!

تخرّج عفيف ص... من إحدى جامعات إيطاليا حيث حاز شهادة مهندس ديكور.

بعد عودته إلى النبطية ألقى التحية على الحاج حيدر الذي سأله عن المهنة التي تعلمها في جامعات إيطاليا؟ فأجابه، بأنه حاز شهادة مهندس ديكور، وهنا خاطبه الحاج بالقول: «مهندس فهمنا!!، بس ديكور شو يعني؟». فراح يشرح له ماهية هذه المهنة بالتفصيل، وعندها ضرب الحاج حيدر كفاً بكف، وقال ساخراً: «يا مشَحّر يا عبد الهادي!!، رحت بعتت إبنك عا أطاليا وتكلفت عليه كل ها لمصاري ليعمل عتَّال فرنجي!!؟».

٥٥ ـ تفكهة الحاج درويش كلوت



الحاج درويش كلوت

راح قسّط حق مرقد عنزه بالجنّه!!

عندما اعتزم الحاج درويش كلوت تأدية فريضة الحج صيف العام ١٩٥٧، قال له صديقه «أبو بهيج»: «يا درويش! بدك تلحق حالك عند الشيخ. . . !!»، فأجابه بدهشة: «شو بدي إلحق حالي؟»، فقال له: «بدك تخمِّس وتزكّي».

إثرها توجها معاً إلى منزل الشيخ الذي استقبلهما بالترحاب، وسألهما عن الغاية من قدومهما لزيارته، فأوضحا له هدفهما. عندها سأل الحاج درويش: «يا بو محمد! شو عندك مال نقدي؟»، فأجابه: «يا مولانا! ما عندي شي بيحرز»، فقال له: «يا بو محمد! شو عندك عقارات؟ البيت قديش بيسوى؟ شو عندك بقر ومعزا وغنم؟ قديش بيسووا؟». وعندما حدد له الحاج درويش قيمة أمواله المنقولة وغير المنقولة، أوضح له، أنّه يتوجّب عليه دفع الخمس والزكاة بمقدار معين؛ فأجابه الحاج درويش، أنه لا يستطيع تسديد هذا المبلغ دفعة واحدة، فقال له الشيخ أنّه من الممكن تقسيط هذا المبلغ على دفعات، وهذا ما حصل بالفعل، وأخذ الحاج درويش يقصد الشيخ في نهاية كل شهر لسداد الأقساط المتوجبة عليه، وعندما كان أصدقاؤه يتوجهون إليه بالسؤال عن الغاية من ذهابه في آخر كل شهر إلى منزل الشيخ؟ كان جوابه: «رايح لعند الشيخ لسدد قسوطة شِرا مرقد عنزه بالجنّه!!».

متل قطر الندى!!؟

جمعت الحاج درويش صداقة حميمة بالعلامة الشيخ محمد تقي صادق، وكانت تتخلل اللقاءات بينهما طرائف لا تعد ولا تحصى!!، ونذكر منها، أنه في ذكرى مرور أسبوع على وفاة صديق للحاج درويش، جلس إلى جانب العلامة الشيخ محمد تقي صادق، وراح الحضور يتلون سورة الفاتحة بكثرة، فسأل الحاج درويش الشيخ محمد تقي: «يا مولانا! شو بتعمل الفاتحه للميت؟»، فأجابه الشيخ: «يا حجّ درويش، إن الفاتحة تنزل على الميت كمثل قطر الندى!!»، فقال الحاج درويش بدهشة: «يا معتّر يا حمّود!!هلق بيكون صار مبلبل بلبولي!!».

٥٦ ـ مداعبات السيّد «بو بهيج»

الحاج محمد حيدر أبو خدود «أبو بهيج»

شو بتبيعوا الكروش بفصوص؟

امتاز السيد محمد حيدر أبو خدود «أبو بهيج» بكونه من الظرفاء ومحبي النكتة!! وقد حباه الله ببنية متينة وميلاً للجنس اللطيف!!.

ذات يوم قدمت إلى ملحمته الواقعة في سوق النبطية امرأة في العقد الخامس من عمرها، وعلى قدر لا بأس به من الجمال، وقد أبدت رغبة في شراء «كرش»، وعندما سألته عن ثمنه، أجابها: «فوتي لجوّا!!»، وعندما استفسرته عن الغاية من دخولها إلى الملحمة؟! ردّ بالقول: «فوتي ضربيلك مدفعين وخذي الكرش!!». فاستغربت هذا الكلام وخاطبته قائلة: «سَخني لأهل النبطيه! شو إنتو بتبيعوا الكروش بفصوص؟!».

بارك الله فيكم وسيروا إلى الأمام!!

حين التقى السيد «أبو بهيج» بأحد الحزبيين القدامى، سأله عن الإنجازات التي حققها حزبه منذ مطلع أربعينيات حتى أواخر ستينيات القرن الماضي، فأجابه: «ولوّ يا بو بهيج! لقد حققنا أكبر إنجاز بتاريخ النبطية وهوّي منع (النّدِّيبه) بعاشورا من الدخول إلى بيت البيك!!».

فظهرت على «أبو بهيج» علامات الاستغراب لهذا الجواب الذي يدعو إلى العجب والصيام في رجب!!، فأجابه بسخرية: «يا عمي! العمل اللي قمتوا فيه بمنع النديِّبه من دخول بيت البيك هو أهم إنجاز في تاريخ لبنان!! فبارك الله فيكم وسيروا إلى الأمام!!».

٥٧ ـ نار الحلوين ولا جنّة البشعين!!

التقى «الوالد» أحمد إبراهيم الصبَّاح «أبو سعيد» الحاج كامل وهبي، وهو من المؤمنين المتمسكين بأهداب الدين الحنيف، وقد سأل الحاج كامل «الوالد»: عما إذا كان يعتزم أداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام؟



أحمد إبراهيم الصبَّاح
«أبو سعيد»

فما كان من الأخير إلا الاستفسار من الحاج كامل عن المردود الذي يجنيه المرء إذا ما حج وصلى وصام، وأدى كل الفرائض، واتَّبع أوامرالله، وأخذ بنواهيه؟ فأجابه الحاج كامل: «بعلم الله، ستكون الجنة هي المأوى!!»، فسأله: «هل الفنانات الجميلات والمطربات الحلوات أمثال: صباح ونجاح سلام وتحية كاريوكا وفاتن حمامه وليلى مراد وهدى سلطان وشاديه وبرجيت باردو ومارلين مونرو، وسواهن من أهل الفن والطرب من أهل الجنة أو النار؟»، فأجابه الحاج كامل بحِدّة: «لعنة الله على هؤلاء الغواني و(العوالم) فإنهن من أتباع الشيطان!!، لأنهنّ يقمن بممارسة أعمال الغواية والفسق ويرتكبن الكبائر!!، فهن من أهل النار إلى أبد الآبدين!!».

عندها وجه «الوالد» السؤال إلى الحاج كامل عن مصيرالنسوة «الحيزبونات» أمثال: محبوبه والعبقه وزردخان وشملكان وسهجنان والعبدي وزادو؟!، فأوضح الحاج كامل أن أولئك النسوة ـ على حد علمه ـ هن من الورعات اللواتي يقمن بأداء الفرائض، ويتبعن الأوامر الإلهية؛ فهن ـ بعلم الله ـ في الجنة!!.

عندها حبكت النكتة مع «الوالد»، وعقَّب بالقول: «إسمع مني يا حجّ: نار الحلوين!! ولا جنة البشعين!!».

٥٨ ـ أرطوا الدعوي وأرطوكِ!!

«أبو م...» تاجر معروف، إضافة إلى هذه التجارة كان يمارس مهنة «الرِبا» بفائدة مرتفعة!! وقد استدان منه مزارع تبغ هو الحاج حسين... مبلغاً من المال قدره ١٠ آلاف ليرة لبنانية، وحرر له كمبيالة بالمبلغ المُستدان مع الفائدة المرتفعة.

بعدما قام ببيع «موسم» التبغ قدم الحاج حسين إلى محل «أبو م...» وراح يتظاهر بأنه يود تسديد المبلغ المحرَّرة قيمته في الكمبيالة، طالباً إليه إطلاعه عليها تمهيداً لسداد الدين. فجلب أبو م... هذه الكمبيالة من خزانته الحديدية، وسلمها للمدين الذي بادر توا إلى ابتلاعها!! وأطلق ساقيه للريح!!. فما كان من «أبو ما...» إلا التوجه إلى المحامي حسيب...، وأخبره بما حصل، فطلب إليه تأمين ثلاثة شهود يزعمون أنهم شهدوا هذه الواقعة كي يدلوا بأقوالهم أمام المحكمة التي ستنظر في الدعوى التي ينوي رفعها على الحاج حسين بتهمة ابتلاع الكمبيالة!!، فاتصل «أبو م...» بثلاثة من الرجال «من أصحاب الذمة الواسعة» وهم «أبو محمود» و«أبو هاشم» وأحمد ع.ع.، بعدما قام بتلقينهم ما يود أن يشهدوا به أمام المحكمة، ونَقَدَ كل واحد منهم مبلغ ٥٠ ليرة.

صباح يوم الجلسة عاود المدعي الاتصال بهؤلاء الأشخاص، طالباً إليهم الحضور إلى المحكمة للإدلاء بشهادتهم أمامها، فأخبروه أنهم قد نسوا ما لقنهم إياه!!، فكرر هذا التلقين مجدداً بعدما دفع لكل منهم مجدداً مبلغ ٥٠ ليرة!!.

حين انعقدت المحكمة نودي على الشهود الذين، أنكروا الواقعة التي ادلى بها المدّعي جملة وتفصيلاً، وبناء على شهادتهم، صدر الحكم بتبرئة الحاج حسين من تهمة ابتلاع الكمبيالة!!.

بعدما صدر الحكم ببراءة الحاج حسين، شاهده الشهود برفقة محاميه

طلال. . . ، فبادروه بالقول: «بدنا نسألك سؤال: مين ربَّحك الدعوي؟ بفضل شطارة محاميك ولا بفضل شهادتنا؟»، فأجابهم المحامي: لا والله بفضل شهادتكم!!»، فقالوا للمحامي بصوت واحد: «متل ما أخذت بدل أتعابك، نحن بدنا بدل أتعابنا، وإلا راح نعود عن شهادتنا، ونقول بأنك أغريتنا بالمال كي لا نقول الحق!!». فوافق المحامي على دفع «بدل أتعاب» لكل واحد منهم، بمقدار ١٠٠ ليرة.

بعدما انتهى أمر الدعوى إلى نتيجه كارثية بالنسبة لـ «أبو م. . .»، لامه محاميه على طريقة تعاطيه مع الشهود!! وأخبره بأن ما جرى معه شبيه بما حصل مع إمرأة قامت بتوكيل المحامي أميل لحود في دعوى مهمة، فطلب منها ـ وكان يعرف أنها حشرية أكثر من اللزوم ـ عدم التدخل وترك تدبر الأمر له، وهو الكفيل بربح دعواها. لكنها لم تصغِ إلى نصيحته، واتصلت برجلين من الزلقا ـ الواقعة في ساحل المتن الشمالي ـ وهما الياس بو مدلج والياس التنوكي، وهما من المعروفين بأنهما من شهود الزّور ـ ورغبت إليهما بأن يشهدا في الدعوى لصالحها، ونقدتهما مبلغاً من المال، وأولمت لهما وليمة عشاء فاخرة إنتهت بليلة حمراء!!. وأثناء انعقاد الجلسة، شهدا أمام القاضي بأن هذه المرأة سعت إلى استدراجهما للإدلاء بشهادة زور!! وإنهما يرفضان القيام بما طلبته منهما!!، لأن هذا العمل يتنافى مع الوصايا العشر والقانون اللبناني!!، فصدر حكم بسجنها وتغريمها، وعندما استفسر محاميها عما حصل، أخبرته بكيفية تعاطيها مع هذين الشاهدين!!، فوجَّه لها اللوم الشديد على قيامها بالتعاطي معهما، وتقديم ما قدمته لهما قبل إدلائهما بالشهادة أمام المحكمة!! وأتبع هذا بـ «رَدّة»:

مـن الـزلـقـا جـبـتـي الـيـاسـيـن
بـــو مـــدلـــج والـــتـــنـــوّكـــي
تـــاشـــهـــدوا أرطـــوا ريـــالـــيـــن
وأرطـــوا الـــدعـــوي وأرطـــوكـــي

٥٩ ـ شو حق ألْكَشْكْ ذهب يوسفي؟!!


«أبو فهد»

كان نزيه. . . يرتدي قبعة، يُطلَق عليها اسم «كَشْكْ»؛ وهي تشبه تلك التي كان يرتديها الأمبراطور الأثيوبي الراحل هيلا سيلاسي.

وذات يوم كان نزيه ماراً أمام محل الحاج حيدر حامد، فأوعز أحد الجالسين أمام هذا المحل إلى «أبو فهد» بانتزاع هذا «الكشْكْ» عن رأس نزيه، فقام بتنفيذ ما طُلب منه، وتوارى عن الأنظار، وحاول الأخير اللحاق به، لكن دون جدوى!!.

عندما طرح نزيه الصوت على الجالسين أمام محل الحاج حيدر، لكن أحداً منهم لم يساعده على استعادة «كشْكِهِ»، فأسرع بالعودة إلى منزله، حيث أعلم والده بهذه الكارثة التي حصلت!! فتوجه «أبو نزيه» إلى مكان الحادث، وقد ظهرت عليه علامات الغضب، ووجّه كلاماً قاسياً إلى مُنتزع «كَشْكْ» ابنه نزيه، إذ قال: «مش عيب عليك يا بو فهد! إنَّك تشلِّح إبني كسكو عن راسو؟!».

حين سمع «أبو فهد» هذا الكلام، أجابه بانفعال: «ليش عم تكبِّر القصة بها الشكل يا بو نزيه! وتحكي كلام شروي غروي؟، شو كشْكْ إبنك هوي كشْكْ هيلا سيلاسي؟! هلق راح رجّعو أو بدفع حقّو، شو حقّو ذهب يوسفي؟!!».

٦٠ ـ نوادر «أبو هاشم»

بالأمس كانوا هنا...!!



«أبو هاشم»

كان «أبو هاشم» يعمل في مقهى علي أكر، المتحدّر من أصل إيراني.

صبيحة يوم جاء أحد أقارب صاحب المقهى لزيارته، فلم يجده، وحين شاهد «أبو هاشم» سأله بلكنة أعجمية: «علي بن الأكري بيشتغل عندكم؟!» فأجابه: «بالأمس كانوا هنا واليوم قد رحلوا!!».

سحري يحوّل الماء إلى حليب!!

افتتح «أبو هاشم» مقهى ـ عند مفرق كفرمان ـ يقدم فيه القهوة والشاي والمشروبات الروحية و«حشيشة الكيف» وسائر «المُفرِحات»!!.

حضر إلى مقهاه ذات يوم السائق تيسير . . . الذي كان يعمل على خط إقليم التفاح، وحين قدم إلى المقهى هذا السائق اصطحب معه ركاباً من قرية في إقليم التفاح.

بعد أن جلس تيسير، طلب من «أبو هاشم» أن يسكب له كأساً من العرق، فأحضر الأخير قنينة، وسكب بعضاً من محتواها في كوب فارغ، ثم عمد إلى سكب الماء فوق هذا الخمر، الذي تغيرت حاله من اللا لون إلى اللون الأبيض!!.

فدُهش هؤلاء الركاب لهذا التحول العجائبي!!، ورداً على تساؤلهم الممزوج بالدهشة قال «أبو هاشم»: «إنا ساحر بيحوِّل الماء إلى حليب!!. أليس من الأفضل لكم الاستغناء عن تربية الأبقار والأغنام والماعز وأن تتقنوا سحري، فتحصلوا على الحليب من دون عناء، لقاء مبلغ ٥٠٠ ليرة لبنانية تدفعونها لي؟!!». فانطلت الحيلة عليهم، وتنادوا إلى جمع هذا المبلغ الذي يعتزمون دفعه الى الساحر «أبو هاشم» كي يعلمهم سحره الذي يُحوِّل الماء إلى حليب!!.

وصُودف وجود أحد أبناء القرية الذي كان يعمل في مرفأ بيروت، فطلب منه أهل قريته التبرع بمبلغ من المال ليضاف إلى مجموع التبرعات التي جمعوها لأجل دفعها للساحر «أبو هاشم»!!.

عندما استفسر منهم عن المسألة؟ شرحوا له ما يرغبون في حصوله، فضحك من طلبهم!!، وخاطبهم بالقول: «أتعلمون ما هو هذا السحر الذي حدّثكم به هذا الرجل الذي زعم أنه يحوِّل الماء إلى حليب؟ إنه سكب الماء فوق العرق الذي يصبح لونه أبيض بعد السكب!!». فلما تعذر عليه إقناعهم بالكلام أراد أن يُظهر لهم صحته بالفعل، فتوجه إلى قرية جرجوع المجاورة، حيث اشترى قنينة عرقٍ، وعاد بها، ومن ثم صبَّ العرق في كوب، وأتبعه بسكب الماء، فأصبح ما في الكأس أبيضَ اللون!!. عندها أدرك أهالي القرية أنهم تعرضوا إلى مقلبٍ من «أبو هاشم!!».

حشحشنا بو هاشم!!

في ليلة من ليالي صيف منتصف خمسينيات القرن المنصرم قفل «أبو هاشم» عائداً إلى منزله بعدما أقفل مقهاه.

أثناء مروره قرب بيادر كفررمان شاهده جمع من النَوَر الذين حطّوا رحالهم في هذا المكان، فدعاه شيخهم ليحلَّ ضيفاً عليهم، فلبّى هذه الدعوة، واتخذ له مكاناً في مجلسهم، وشاركهم الغناء والدبكة، ناهيك بالرقص والهزج، وصبوا له القهوة من الدلاء، فما كان منه إلا ووضع فيه قطعة من حشيشة الكيف، وأقدم على نثر

أخرى في منقل الجمر، ففاحت رائحة الحشيش، وتنشقها هؤلاء النَوَر الذين ارتشفوا القهوة «المُلَغّمة» بهذه المادة المخدرة، فارتفعت وتيرة غنائهم، ووصلت أصواتهم إلى عنان السماء، واستمروا بالرقص والهزج حتى الصباح، مما سبّب إقلاقاً لراحة يوسف بك، فأرسل بطلبهم كي يستفسر عما بدر منهم في تلك الليلة من إزعاج، فتحدث «شيخهم» الذي خاطب يوسف بك بالقول: «طال عمرك يا سِيدنا البيك! والله العظيم اللي حصل منا مش من إيدنا!! أبو هاشم حشحشنا!! والله حشحشنا يا بيك!!».

وعندما استوضحه حقيقة الأمر، شرح له ما حصل، فضحك يوسف بك، وطلب من خدمه أن يحضر «أبو هاشم» ـ المقيم في كفررمان ـ إلى دارته.

بعدما ألقى «أبو هاشم» التحية بادره يوسف بك بالسؤال شو عامل بالنور حتى فوّعتهم كل الليل وما خلونا نام؟! عما يقولوا: حشحشتهم، شو القصة؟!». فشرح ليوسف بك ما حصل بالتفصيل، خاتماً كلامه بالقول: «يا سِيدنا البيك! الجماعة أكرموني وضيّفوني فحبيت ابسطهم وفرّحهم، وكما تراني يا جميل أراكَ، حشحشتهم وخليتهم يكيّفوا يا سِيدنا! ما هنّي محشحشين خلقه!!، وبلا دف عم يرقصوا!! وزيادة الخير خير يا سِيدنا!!». فضحك يوسف بك من أعماقه!!.

وأنتِ البغل اللي بركبو!!

من طرائف «أبو هاشم» أنه ذات مرة كان برفقة ج... الذي كان ضخم الجثة، فسأله بسخرية: «أليس من الجدير بك أن تتحول الى ستيرن ماء أو محروقات؟»، فأجابه: «وأنت جدير بك أن تكون جوكياً!!»، فقال له «أبو هاشم»: «وأنت البغل اللي بركبو!!».

أول مرّة بحياتي باكل خـ...!!

في صباح يوم من أيام الشتاء. بكّر «أبو هاشم» بالمجيء إلى «سوق النبطية»،

ولدى اقترابه من محل «أبو فوزي» سكب له «كاسة» من «السحلب»، وخاط بالقول: «تعا ذوق هالسحلبات!!» فتناول «الكاسة» وشرب ما فيها حتى الثمالة وبعدما أفرغ ما فيها في جوفه، سأله المضيف: «برأيك! شو هالسحلبات مش طيبين؟ أنا قديش بحبك لضيفتك ياهن ببلاش!!». عندما أحس بأن «أبو فوزي راح «يمننه» بكاسة السحلب، أجابه: «صدّقني هيذي أول مرّة بحياتي باكل فيه خـ...!!».

بدي روح اشتغل بتبليط البحر!!

عمل «أبو هاشم» ساقياً للقهوة في مكتب محام نافذ، وكّله رجل يدعى «إبراهيم» بدعوى في نزاع حول قطعة أرض، وكان كلّما راجع وكيله المحامي يبادره بالقول: «يرحوا يبلّطوا البحر»، وتكرر هذا المشهد.

بعدها علم «أبو هاشم» أن الموكِّل قد خسر دعواه، لكن المحامي ـ رغم هذه الخسارة ـ كرر اسطوانته المعهودة: «يروحوا يبلّطوا البحر». فانتابته موجة من الغضب، وتوجه إلى محل بائع للخمر وهناك شرب كأسين من الكونياك، وعاد إلى المكتب، وبادر المحامي النافذ بالقول: «بدك تقللي جنابك اي متى راح يبلّشوا بتبليط البحر؟!»، فغضب المُخاطَب وسأله بانفعال: ليش عمّا تقللي هيك يا بو هاشم؟». فأجابه: «لأني أنا معلم بلاط بدي روح اشتغل معهم؟!».

ديربال!!

حين بدأت إدارة شركة الريجي بتشييد مبناها في النبطية، كلفت أحد المهندسين الإشراف على ورشة البناء، وتأمين اليد العاملة لهذا الغرض؛ وعندما كان المشرف على ورشة البناء يلتقي طالبي العمل، إذ بـ «أبو هاشم» يتقدم إلى هذا المسؤول الذي سأله عن العمل الذي يستطيع القيام به في هذه الورشة؟؛ فأجابه: «ديربال!!».

أخذ المشرف يبحث في الأوراق عن مهنة «ديربال»، فلم يجدها بين المهن المحددة في الورشة!! فاستفسره عن ماهية هذه المهنة الغريبة؟! أجاب: «ديربال يا سِيدنا! يعني لما بدك تشرب فنجان قهوي، بتقللي: دير بالك!! وإذا بدك نظّف أو أحرس سيارتك بتقللي: دير بالك!! وإذا بدك تترك المكتب بتقللي: دير بالك!! وإذا قلتلي وصّل الأولاد عالمدرسة بتقللي: دير بالك!!»، فأغرق هذا المسؤول بالضحك، وقال لـ «أبو هاشم»: «يَلّله تعا استلم شغلك حالاً، ووظيفتك هي (ديربال)!!».

بها ليوم بالذات ما كنت سكران...!!

صبيحة يومٍ من أيام شتاء العام ١٩٧١ توجه «ابو هاشم» سيراً على الأقدام إلى المقهى الكائن في ساحة كفررمان.

لم يكن «أبو هاشم» مخموراً ـ كعادته ـ حين هطل المطر الغزير، وارتفع منسوب المياه حتى علا الأرصفة، ولامس في ارتفاعه حدود المترين، فجرفه السيل الذي أدى إلى غرقه في «المعديّة» المجاورة لـ «عين المعاقيل»، فتمسّك بجدارها، وصرخ طالباً النجدة من المارة، فلبّاه أحدهم، وانتشله، وهو في الرمق الأخير، وأجلسه في المقهى المجاور، وحين استرد أنفاسه خاطب رواد المقهى بالقول: «يا جماعة الخير! بهاليوم بالذات ـ لأول مره بحياتي ـ ما كنت سكران ولا محشّش!!».

واحد عندكن إسمو شرف أجرني بيتو!!

حين تعاظم القصف على النبطية وجوارها، أواخر العام ١٩٧٧ نزح «أبو هاشم» إلى إحدى البلدات.

فحاول عبثاً استئجار بيت فيها، وحين التقاه أحد أبنائها الذي استفسره عما إذا كان قد وجد من يؤجره بيتاً؟! أجابه مبتسماً: «في واحد عندكم إسمو شرف أجّرني

بيتو!!»، فاستغرب السائل هذا الأمر وعقب بالقول: «نحن ما عنّاش شرف بها لبلد!!»، فأجابه «ابو هاشم»: «لو كان عندكم شرف كان واحد منكم أجّرني بيتو!!».

حين سمع هذا الرجل كلام «أبو هاشم» اللاذع «دب الصوت» على أبناء بلدته من أجل تأمين مسكن يستأجره «هالرجّال لأنو ما بينْعَلَقْ بلسانو». وهذا ما حصل، وعندما عاد إليه بالخبر السار، عقّب بالقول: «شفت يا صاحبي إنّو في عندكم شرف أجرني بيتو!!».

الزبدي لأم زبيد!!

استأجر «أبو هاشم» شقة في بلدة جباع، في بناية عائدة للحاج حسين غ...، وهو ضرير ذو مسغبة، وكان يأتي إليه المحسنون بصدقات، وعندما يتقاضاها يعمد إلى تلاوة سورة الفاتحة على أرواح أموات المتصدّقين، وكان يشاطره في قراءتها المستأجر «أبو هاشم».

في إحدى المرات مازحه «أبو هاشم» قائلاً: «يا حجّ! متل ما أنا شريكك بقراية الفواتح عن أرواح موتى المتصدقين لازم كون شريكك بالغلّة، وما بقبل يكون حالي معك متل ما قال المتل: الزبدي لأم زبيد والخ... عا أم عبيد».

فأجفل الحاج حسين من هذا الكلام، وحسب «أبو هاشم» جاداً فيما يقول. وبالتالي، أخذ ينفرد بالمتصدقين في داخل منزله كي يعطوه الصدقات بعيداً عن أنظار «أبو هاشم» الذي كان لَه تعليق، إذ قال: «لَهْ! لَهْ! لَهْ! يا حجّ شو عملت؟ إنتِ عارف إنك عملت غلطتين كبار الله يسامحك عليهن!! الأولانية إنك حرمتني من قسم من الصدقه، ولو ما انا يتيم الأم والبيّ، وحرمتني من الصدقة وقهرتني، والله قال في كتابو الكريم: ﴿وأما اليتيم فلا تقهر﴾، وتاني شي حرمت أرواح الميتين اللي هنّي أهل المتصدقين من قراية الفاتحه من رَجّال طاهر مؤمن إمّو هاشمية النسب، الله يسامحك يا حجّ!!».

بدي ربع وقية بعر فار!!

مر «أبو هاشم» أمام محل سمانة «أبو عارف» في بلدة جباع، فقرأ على لوحة موضوعة على بابه: «أطلب تجد»، فدخل إلى المحل، وطلب من صاحبه أن يبيعه «ربع أوقية بعر فار»، فاستغرب صاحب المحل هذا الطلب!!، ونفى وجود هذه المادة عنده، فأجابه «أبو هاشم»: «لو كنت عارف إنّو ما عندك طلبي كنت اشتريت مطلوبي من محلات الشيخ أمين قميحه في النبطيه!!». وعندما استفسره صاحب المحل عن وجهة استعمال هذه المادة؟ أجابه،إنها مفيدة لتقوية الطاقة الجنسية لدى الرجال، فعليك بأخذها إذا كنت مقصراً في هذا المجال!!، فانطلت هذه الحيلة على صاحب المحل، وراح يجمع «بعر الفار»، وأذابه في كأس من الشاي!!، وشرب ما فيه حتى الثمالة!! فأصيب بتسمم معوي، وكاد يغادر هذه الدنيا إلى العالم الآخر لو لم يتداركه أحد الأطباء بالعلاج!!.

كانوا قالوا: سكران ومحشّش...!!

في يوم من أيام إقامته في بلدة جباع توجّه «أبو هاشم» إلى صيدا، فكان أن تدهورت السيارة التي أقلته عند مفرق قرية كفر فيلا، ونجا ركابها بأعجوبة، وعندما خرج «أبو هاشم» من السيارة سالماً معافى، سجد وقبّل الأرض قائلاً: «الحمد لله يا ربي إللي نجيتني من الموت، لأني لو مت لكان أهل النبطيه قالوا: كان أبو هاشم سكران ومحشّش، والله جازاه على عمايلو!!».

هذا الكلب السخيّ الكفّ

كان جمع من الناس يخوض غمار الحديث حول تأثير المال في تغيير قناعات قسم غير يسير من الناس، وتحديداً الممسكين بزمام الأمور في شتىّ الميادين.

فما كان من «أبو هاشم» إلاّ الإدلاء بدلوه، مؤكداً على صحة هذه المقولة، إذ روى القصة التالية:

في الزمن الغابر اقتنى شابٌ غنيّ كلباً، أحبه حُبّاً جمّاً، وخصّهُ بالمأكل الطيب وبالمشرب الهنيء، فكان يذبح له الذبائح التي يقوم الخدم بطهيها أحسن طهيٍ، فضلاً عن جلب الماء العذب النمير من رؤوس الينابيع، وقد ابتنى له غرفة خاصة جُهزت بالفراش الوثير، وبمختلف أساليب الرفاهية، وكل عوامل الراحة. ناهيك بتكليف احد الأطباء العناية به والسهرعلى صحته العزيزة على صاحبه الذي عامله معاملة الأب لأبنائه الذين انحدروا من صلبه!!.

لكن هذا الكلب الغالي على قلب صاحبه لم يلبث أن أصيب بداء عضال لم يجد له الأطباء علاجاً، فنفق. فما كان من مالكه إلاّ إقامة مراسم الحزن عليه، ورفع الأعلام السوداء على سواري قصره المنيف، ونَظّمَ له جنازة مهيبة، سارت أمامها فرقة من العازفين لألحان الحُزن، كما فعل بعض شباب النبطية في العام ١٩٥٧ حين تُوفّيت الكلبة لايكا عندما أُرسلت في رحلة فضائية عبرصاروخ سوفياتي، حيث ردّد المشيعون:

على لايكا هالحزيني
تْسَكَّرتْ بواب المديني

من فرط محبّة صاحب الكلب «النافق» له دفنه في جبّانة البشر، فرصدت أعين «العسس» هذه الواقعة التي رُفعت إلى والي المدينة الذي أمر جلاوزته باعتقال صاحب الكلب، ومن ثم إحالته إلى المحكمة التي صدر عنها حكم بإعدامه رجماً بالحجارة، ولم تجدِ تضرعاته فتيلاً.

حين همّ رجال الشرطة باقتياده إلى مصيره المحتوم، طلب من القاضي سماعه، فوافق على هذه الرغبة الأخيرة للمحكوم بالإعدام.

عندها خاطب القاضي بالقول: «يا سيّدنا! إن كلبي العزيز قبل وفاته أوصاني بهذه الوصية!!». فنهره القاضي قائلاً: «هل جُننت أيها المجرم؟ وهل يعقل أن يوصي هذا الحيوان الأعجم؟». فردّ المحكوم عليه متابعاً: «نعم يا سيدي! لقد أوصاني أن أنقدكم مبلغ ٥٠ ليرة ذهبية، وأوصى لكاتب المحكمة بمبلغ ٥ ليرات

ومثلها للحاجب ». عندها انفرجت أسارير القاضي، وظهرت علامات الفرح على وجهه، وخاطب المحكوم بالقول: «دعني أستمطر شآبيب الرحمة على روح هذا الكلب الطاهر، السخي الكف، الكريم الخصال، إنه بلا شك كلب محترم!! وأنا ألومك لأنك لم تعلمني بأمر وفاته، لأنني لو علمت لكنت قمت بواجب التعزية به، ولسوف أسعى إلى إقامة حفل تأبيني لهذا الكلب الشهم، فيا أسف الزمان عليه، وأنا أثني على ما قمت به تجاهه، عندما دفنته في مقبرة البشر، فأنت قد قمت بعمل تحمد عليه وتُشكر، ونظراً لما ظهر لي من خِلالٍ حميدةٍ للكلب الذي فُجِعْتَ به، فقد أصدرت حكماً ببراءتك، مذيلاً بالاعتذار الشديد على صدور هذا الحكم الظالم بحقك، فسامحني، وإنّي أُسجِّل عتبي الأخوي عليك لأنك لم تخبرني عند بدء المحاكمة عن مآثر هذا الكلب المأسوف عليه!! ».

سُئل «أبو هاشم» من أين جاء بهذه الأقصوصة الطريفة؟ فأجاب: «سمعتها عن لسان أُناسٍ متقدمين في السن، قالوا إنها قد حصلت فعلاً». لكن السامعين شككوا بذلك وألحوا عليه بأن يقول الحقيقة، فاخبرهم انها من صنع بنات خياله!!.

٦١ ـ مزحات الأستاذ عبد الحسين حامد


الأستاذ عبد الحسين حامد

كم وردة نبتت عليها قِردةٌ!!

كان الأستاذ فؤاد عبدالله كحيل يعمل مُدرِّساً في النبطية، وقد أدى به نضاله في الحزب الشيوعي إلى نقله إلى بلدة زغرتا، فأرسل منها قصيدة إلى «الرفيق» والصديق الأستاذ عبد الحسين حامد(*)، الذي أُبعد إلى بلدة شمسطار البقاعية، هذه الأبيات:

مـا لـي أراكَ مُـغـتَّـجـاً ومُـدَلَّـلاً
أَلِـقُـربـكُـمْ مـن نـايـفِ الـهـمـدانـي

أم أنّ والـدَكَ الـجـلـيـلَ، صـفـاتُـهُ
أهـداكـهـا مـع عـلـبـةِ الـدخـانِ

(*) أبصر عبد الحسين حامد النور في النبطية عام ١٩٢٨. كانت دراسته الابتدائية في مسقط رأسه، وبعدها تخرج من دار المعلمين في العام ١٩٤٧. ومن ثم أمسى معلماً في مدرسة شمسطار الرسمية، ومديرها الشاعر جعفر الأمين، ثم نقل إلى جويا وبعدها إلى كفر كلا. لكن نشاطه في الحزب الشيوعي أدى إلى نقله تأديبياً إلى مدرسة رأس المتن الرسمية في العام الدراسي ١٩٥٥/ ١٩٥٦.

بعدها انتدب للتدريس في المغرب ضمن البعثة التعليمية اللبنانية ومكث هناك مدة عامين دراسيين، عاد بعدها إلى التدريس في المدرسة التكميلية في النبطية، حيث بقي يُدرِّس فيها حتى أُحيل على التقاعد في ١/ ٧/ ١٩٩٢. =

لا لا، فــإن أبــاكَ نــبــراسُ الــحِــجــى
وهــو الأمـــيــنُ لــغــرســةِ الأعــيــانِ

كــم وردةٍ نــبــتــت عــلــيــهــا قِــردَةٌ
ومــزيــةُ الــمــيــراثِ بــالــغُــربــانِ

وكانت إجابة للأستاذ عبد الحسين حامد، أبياتاً رد له فيها التحية بمثلها، إذ قال:

مــالــي أراكَ مُــحــنــفِــشــاً ومُــطــنّــفــشــاً
ألإنَّ جــارَكَ كــامــلُ الــهــمــدانــي

أمْ أنَّ والـــدكَ الـــتـــقـــي، صـــلاتُـــهُ
قـــد مـــازجـــتـــهـــا نـــشـــوةُ الـــنُـــدمـــانِ

= زاده التقدم في السن ألقاً، وتعميقاً لثقافته، وكلما مرّ الزمن ازداد ذهنه صفاءً، فملأ المرح حياته، وغمر الفرح أيامه. فكانت له لطائف بقيت في ذاكرة أصدقائه حية لا تموت.

ربطته ببهيج أبو خدود والرضي موسى الرضي فؤاد وحسان كحيل وسمير صبّاح وفوزي الحاج علي صداقة عمر ورفقة مجالس أنس، فأطلق على هذه «الثلة الحمراء» اسم «الشعب» على حد تعبير الرضي موسى الرضي.

عندما توفي في ٦ كانون الأول سنة ٢٠٠٢، رثاه تلميذ من تلامذته في شمسطار، ألا وهو صاحب «السفير» الأستاذ طلال سلمان بكلمة مؤثرة، منها: «لكن الأمر الواقع أن عبد الحسين حامد قد رحل عن دنيانا، حاملاً معه سخريته ومرارته ورفضه للأوضاع المغلوطة التي طالما جهر باعتراضه عليها واستنكافه الخضوع لمنطقها، ولكنها كانت أقوى منه ومن أمثاله، بل أن وجوه السوء فيها تفاقمت إلى حد الفضيحة في ظل التراجعات المستمرة لقوى التغيير، التي انتهى بها المطاف في خانة الذكريات بدل أن تكون في دائرة الفعل. ومَنْ عبد الحسين حامد؟ قد يسأل البعض مستغرباً أن يستحق «معلم مدرسة» في التعليم الرسمي، المراثي وأن تستخرج سيرته الذاتية من الظل الذي حرص أن يعيش فيه دائماً.

مثلي، وأبناء جيلي في شمسطار ومنطقة غربي بعلبك، وفي منطقة النبطية، بل ومعظم الجنوب، لا يمكن أن ينسوا هذا «المعلم» الذي لولاه (تحت ادارة السيد جعفر الأمين) لما كان واحد منهم قد استطاع أن يفك عقدة الجهل والتخلف، وأن يعرف الطريق إلى الجامعة، بل إلى العلم، ومن ثم إلى شيء من النجاح في الحياة العامة، وتعويض دهور الحرمان والقصور بسبب الأمية السائدة وانعدام فرصة اختراق جدار التحصيل العالي. عاش عبد الحسين حامد «معلماً» ومات وهو يطلب المزيد من العلم، ويحرص على أن يغيروا ـ بالمعرفة ـ واقعهم، وأن يتخلّصوا من «المفروض» بالعرف أو بالتقليد أو بالاقطاع، دينياً كان أم سياسياً».

لا لا، فــإن أبــاك مــصــبــاحُ الــهُــدى
ونــظــيــرُ أهــلِ الــجــودِ والــخُــلاّنِ

كــم عــالِــمٍ وافــى بــإبــن ضــلالــةٍ
وجــنــابــكــم بــادٍ كــرأسِ سِــنــانِ

والقايل والقايل والقايل!!

عندما قام عهد الرئيس كميل شمعون بملاحقة المُدرِّسين الشيوعيين في العام ١٩٥٥، كان نصيب الأستاذ عبد الحسين النقل التأديبي إلى قرية رأس المتن (الواقعة في قضاء المتن الجنوبي)، حيث تم إلحاقه بمدرستها الرسمية. فاستقبله مديرها الأستاذ علي نويهض بالترحاب، ورغب إليه أن يقوم بزيارة تعارف لرجال الدين في البلدة، فذهبا إلى «الوسْعَهْ» التي كانوا يلتقون فيها، وعندما دخلا إلى مجلسهم قام الأستاذ عبد الحسين بإلقاء التحية عليهم، فلم يجيبوا، واكتفوا بـ«النحنحة»، فأدرك الأستاذ عبد الحسين ـ بثاقب بصيرته ـ ماذا تعني هذه «الحركة»!!.

في تلك اللحظات تذكر قصة قزحيا، وهو صاحب المُوَلِّد الذي كان يغذي مدينة زحلة بالتيار الكهربائي، وكان أهالي زحلة عندما ينقطع التيار الكهربائي عنهم يوجهون شتائم من العيار الثقيل لصاحبه قزحيا، فعلِمَ بما كان يصبّهُ أهالي المدينة عليه من شتائم مقذعة عندما ينقطع التيار الكهربائي، فابتكر عقله طريقة لحماية نفسه من تهجمات أهالي المدينة!!، فكان ـ كلما انقطع التيار الكهربائي عنها ـ يقف على رأس تلة السيدة في زحلة، ويقوم بالدوران حول نفسه وهو يردد: «والآيل!! والآيل!! والآيل!!».

بعدما روى الأستاذ عبد الحسين لـ«مشايخ» قصة «قزحيا»؛ خاطبهم بالقول: «وأنا أقول لكم يا سادتي المشايخ الأجلاء: والقايل!! والقايل!! والقايل!!». فضحكوا وأجابوه: «قلنا خير يا أستاذ».

شو كاتبلك هالموضوع بو فخ...؟

ذهب السيد مصطفى أحمد عباس بدر الدين - وهو نجل صاحب مقهى في النبطية - إلى المدرسة، وقد نسي كتابة فرض الإنشاء العربي في البيت، فراح يخطه في الطريق أثناء توجهه إلى المدرسة، وحين تقديم «الفرض» إلى المُدَرِّس الأستاذ عبد الحسين حامد، وجد الموضوع المطروق بمنتهى السوء، عندها حبكت النكتة مع الأستاذ، وخاطب التلميذ ساخراً: «شو كاتبلك هالموضوع بو فخ... بالقهوي؟!».

يلعن بيّ البيصدّق!!

أثناء احتدام المعركة الانتخابية في قضاء النبطية في العام ١٩٦٤، بالغ أحد «المفاتيح» الانتخابية في شرح ميزان القوى في بلدات وقرى هذه المنطقة، واستفاض في المبالغة، فما كان من الأستاذ عبد الحسين إلا وعمد إلى الرقص، وهو يهزج مردداً: «يلعن بيّ البيصدّق!! يلعن بيّ البيصدّق!!...».

أنتِ الدّابة اللي حكت عنها هالآيه!!

في أحد مجالس العزاء الذي افتتحه القارئ بتلاوة القرآن الكريم، تلا الآية: ﴿ما من دابةٍ في الأرض إلاّ وعلى الله رزقها﴾.

عندما استمع الأستاذ عبد الحسين إلى هذه الآية أمسك بتلابيب صديقٍ يمتاز بضخامة الجثة وكبر الكرش، وخاطبه بصوتٍ عالٍ، «إنتِ الدّابة اللي حكت عنها هالآيه!!».

بينه وبين الشيطان حجاب!!

التقى عدد من مثقفي النبطية العلامة السيد محمد ترحيني في سهرة رمضانية، وكان بين الحضور الأستاذ عبد الحسين حامد، وقد روى العلامة الترحيني حديثاً جاء فيه: «من سمع الموسيقى أربعين يوماً نبت النفاق في قلبه».

عندها عقّب الأستاذ عبد الحسين بالقول: «يا مولانا! يجلس على يمينك عازف للموسيقى منذ نعومة أظفاره، فضلاً عن كونه مستمعاً إليها طوال وقته، فإذا ما سلمنا بصحة هذا الحديث، نجد النفاق منتشراً في أعماقه انتشار النار في الهشيم، ونابتاً في قلبه وعقله وكل جوارحه، ومتملكاً لكيانه، ولن تخرجه منه النذور أو البخور ولا التعاويذ!!». أما الجالس على يسارك، فهو لا يستمع إلى الموسيقى، وعندما تبدأ بالصدح لا يُصغي ﴿كأن في أُذنيه وقراً﴾، فالنفاق لا ينبت في قلبه أو مهجته، وكافة حواسه بعيدة عن سماع الموسيقى بُعْدَ السماء عن الأرض، فطوبى له، لأن الشيطان بعيد عنه وبينهما حجاب!!».

مش عيب عليك تنطح صاحبك؟!

اعتاد الأستاذ عبد الحسين قضاء فصل الصيف في بلدة شمسطار.

في صيف العام ٢٠٠٠ نشرت إحدى الصحف خبراً مفاده، أن ثوراً جاء به أحد قصابي هذه البلدة إلى ملحمته، وربطه في وتد، وعندما شاهد الثور ذبح مواشٍ أخرى على يد الجزار دفعته غريزة حب البقاء إلى الإفلات من «الرباط»، والانطلاق في شوارع وأزقّة هذه البلدة، مما أدى إلى جرح عدد من المواطنين.

عندما قرأ أحد أصدقاء الأستاذ عبد الحسين في النبطية هذا الخبر أشاع بين الناس، أن «أبو أحمد» هو من جملة الجرحى الذين نطحهم هذا الثور الشارد، فصدق البعض هذه «الخبرية»، وراح يتصل بالأستاذ عبد الحسين للاطمئنان عليه، بينما اعتبرها آخرون نكتة ليس إلاّ!!.

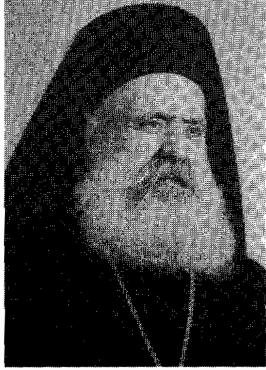
عندما عاد الأستاذ عبد الحسين إلى النبطية، في مطلع أيلول ٢٠٠٠، بادر الصديق الذي أطلق هذه الاشاعة بالقول: «أنتِ كاين متقمّص بها لثور اللي فلت بشمسطار وأنا المجروح من نطحك!! مش عيب عليك تنطح صاحبك؟!».

٦٢ ـ هوّى وطيب ما كنش فهمان!!

أثناء تشييع جثمان يوسف... (الملقّب بـ«الديّوس») ـ وهو رجل سكير عربيد على مدار اليوم ـ سار في جنازته عدد قليلٌ من الأشخاص!!».

بعدما أدّى الشيخ أمين... الصلاة على جثمان هذا الميت، وسُجّي في القبر، عمد إلى تلقينه «الشهادة». التي استهلها بالقول: «يا يوسف يا بن... إفهم!!... إفهم!!...إسمع!!...أوعى!!». عندها عقّب الحاج أنيس المقدم بالقول: «هوّي وطيب ما كنش لا فهمان ولا واعي ولا صاحي، فكيف هوّي وميت؟؟!!».

٦٣ ـ الأرشمندريت صائغ: الفاتحة عن روح المرحوم!!



الأرشمندريت
أثناسيوس صائغ

في الخامس من كانون الأول عام ١٩٦٠ توفي العلامة الشيخ سليمان ظاهر، فحضرالرئيس أحمد بك الأسعد لتقديم واجب العزاء بالفقيد، وصودف في هذا الوقت وجود كاهن رعية النبطية الأرشمندريت أثناسيوس الصائغ.

أخذ الرئيس الأسعد زمام الحديث، وعدّد الصفات الحسنة للمتوفى، وأثنى على عطائه في مجالات الدين والعلم والعمل الوطني، وشمل هذا الإطراء رفيق دربه الشيخ أحمد رضا، وتابع كلامه بالقول: «صحيح إننا كنا على خلاف معهما، ولكن اختلاف الرأي لا يُفسد لود قضية!!».

تضايق الأرشمندريت صائغ من أقوال الرئيس الأسعد، وقد استعاد في ذاكرته ما حصل في تموز ١٩٥٣، حين رُوِّعَ الشيخان أحمد رضا وسليمان ظاهر، مما أدى إلى وفاة الأول. فصاح الأرشمندريت بصوت عالٍ: «الله يرحم المرحوم الشيخ سليمان ظاهر وإلى روحه سورة المباركة الفاتحة!!».

بعد قراءة «سورة الفاتحة» عجّل أحمد بك بالانصراف، وقد أدرك ببصيرته الثاقبة معنى أن يطلب الأرشمندريت صائغ من الحضور قراءة «سورة الفاتحة!!».

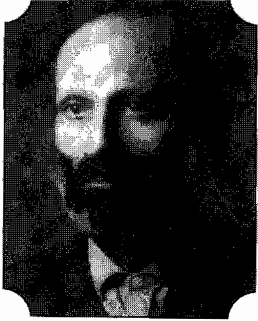
٦٤ ـ عملنا دكيشه بين فقعاتك والحمار!!

توجه الحاج رشيد ط. «أبو محمد» إلى سوق الخان من أجل شراء حمار، وعندما سأل صاحبه عن الثمن أجابه بتحدٍ: «إذا بتفقع ٤٠ فقعه ورا بعضهن مبروك عليك الحمار!!». فاستأذنه لبعض الوقت، وقام بشراء أوقيّة من الأرز النيئ وعمد إلى قضمها.

بعد انتظار ساعة من الزمن عاد إلى صاحب الحمار، وأعلمه بأنه مستعد لتلبية شرطه من أجل الحصول على الحمار، وقام بفقع أربعين فقعه، بالتمام والكمال!!.

عندها أبدى مالك الحمار إعجابه بأداء «أبو محمد» المميّز في «الفقع». وخاطبه بالقول: «عليم الله ياعمي! إنت قدها وقدود يابن العم! وهذا الحمار وصلني حقو، وعملنا دكيشه بين فقعاتك والحمار!! مبروك عليك». وقام بتسليمه إياه!!.

٦٥ ـ المهم إنني إختصرت الطريق!!


الأستاذ اسكندر أرقش

في أواخر أربعينيات القرن المنقضي قدم إلى النبطية رجل متضلّع من علم الرياضيات يدعى اسكندر أرقش، فدرَّس هذه المادة في المدرسة الرسمية التكميلية، ولاحقاً في ثانوية الصبّاح الرسمية.

ونظراً لكونه غزير العلم، ودائب البحث في علم الرياضيات، كانت له تصرفات غريبة وحركات طريفة في آن معاً.

في صبيحة يوم ممطر توجه إلى المدرسة مشياً، فوصل إلى «حاكورة» تشبه المثلث، وكانت الطريق المستقيمة مليئة بالأمطار والوحول، أما الطريق الأخرى في الخطين فسالكة وآمنة، وفقاً لتعبير الاذاعي الراحل شريف الأخوي في حرب السنتين.

لكن الأستاذ أرقش آثر العبور في الطريق المستقيم انطلاقاً من إدراكه لمُسلّمة هندسية مفادها، أن خطاً واحداً في المثلث، ومهما طال، هوأقصر من الخطين الآخرين.

فسلك الأستاذ أرقش الطريق المستقيم، وغرق في المستنقع الطافح بالمياه العكرة والمليء بالوحول. وحين استغرب البعض هذه الفعلة، رد عليهم بالقول: «لقد اختصرت الطريق أيها السادة!! ولا يهم إن غرِقتُ بالوحل!!».

٦٦ ـ Conjuguer verbe maisonner!!

كان الأستاذ سعيد شامية يدرّس اللغة الفرنسية في المدرسة الرسمية الابتدائية ومديرها الأستاذ سامي الصبّاح.

في إحدى المرات اضطر الأستاذ سعيد إلى مغادرة المدرسة لسبب طارئ، عندها طلب الأستاذ سامي من المدرّس محسن. . . أن يحل محل زميله الذي اضطر للغياب، ففوجئ بهذا التكليف نظراً لعدم تضلّعه من اللغة الفرنسية، لكن زميلاً امتاز بدهائه همس في أذنه: «ولا يهمك يا محسن! علّم التلاميذ طول الحصة Verbe maisonner!!».

وجواباً على استغرابه وجود هذا الفعل في اللغة الفرنسية؟ أجابه هذا الزميل: «إنتِ ضعيف بالفرنساوي يا محسن! وأنا أدرى، بهاللغه في Verbe maisonner!!». وردد مضمون هذا الفعل المزعوم!!، فحفظه عن ظهر قلب، وعندما دخل إلى الصف قال للتلامذة رددوا ورائي:

Conjuguer verbe maisonner

وابتدأ على الشكل التالي:

Nous maisonnons.....

وصادف مجيء الأستاذ سعيد شامية قبل انتهاء الحصة، فأخبره أحد الزملاء بان الأستاذ محسن. . .يقوم بتعليم التلامذة تصريف Verbe maisonner، ودخلا معاً إلى الصف.

عندما سمع هذا المُدرّس يردد «الفعل» ـ الذي لا وجود له باللغة الفرنسية ـ لم يصدق ما سمعته أذناه!!، وخاطب محسناً بالقول: «يا معتّر! شو عما تعلم التلاميذ؟ وين في بالفرنساوي Verbe maisonner؟». لكن المُدرِّس أصرّ على وجود هذا الفعل!! فما كان من الأستاذ سعيد إلا وأعلم المدير الأستاذ سامي صبّاح بما حصل، فتوجه مسرعاً إلى الصف، وأصغى ـ وهو منذهل ـ لما سمع، وقام بمنع هذا المُدرِّس من متابعة إعطاء الدرس، وطلب إليه التوجه ـ في الحال ـ إلى مكتبه، وسأله عن المصدر الذي استقى منه معلومة بوجود Verbe maisonner؟ فأعلمه بأن الزميل الجالس بقربه هو الذي أرشده إلى هذا الفعل، عندها خاطبه الأستاذ سامي بكلام امتزج فيه الغضب بالسخرية: «يا روحي! إنتِ معلم وخريج دار معلمين، كيف بتصدق هالحكي؟ وين روَحتْ علمك؟ طيب! إذا قلّك واحد في فيل بيطير بتصدق؟!».

بعدما وجه تأنيباً قاسياً لِكِلا المدرِّسين، أنذرهما ـ في حال تكرار مثل هذه المهزلة ـ أنه سيقترح إنزال عقوبة مسلكية بحقهما.

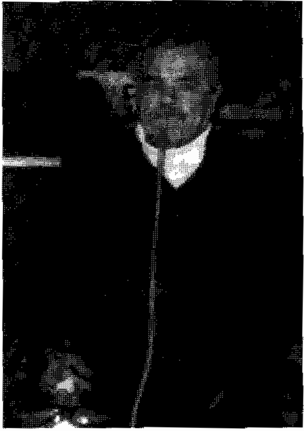
٦٧ ـ حتى أنتَ يا طحطح؟!!


الحاج يوسف الطحطح

بعدما بلغ يوسف الطحطح «أبو معروف» من العمر عتياً، حثه العلامة الشيخ محمد تقي صادق على أداء الفرائض التي أمر سبحانه وتعالى باتباعها، والأخذ بالنواهي التي نهى عنها، والله غفور رحيم يقبل التوبة النصوح، ويمحو الذنوب مهما عظمت؛ فتاب «أبو معروف» وحسنت توبته، فواظب على الصلاة وعلى صوم شهر رمضان.

عندما حثه الشيخ العلامة محمد تقي على أداء فريضة الحج، أخذ بنصيحته؛ وذهب برفقته لأداء مناسكه، وعندما حان وقت «رمي الجمار» وانتقاء الأحجار من «خرشة» و«برشة» تردد برجم إبليس، ولما استفسره العلامة الشيخ عن سبب هذا التردد أجابه: «يا مولانا! أنًا صرلي حوالي ستين سنة صحبه أنِا وبليس!! بدك إجي هلّق خون الصداقه والعيش والملح؟ شو أنًا بلا أصل؟ وبلا وفا؟». فضحك سماحة الشيخ من أعماقه، وتوجه بالكلام إلى «أبو معروف» بالقول: «يا أبو معروف! رمي الجمار منسك من مناسك الحجّ، ويجب إتمامه وإلاّ...» فامتثل لما أمره به الشيخ العلامة، وانتقى الأحجارمن «خرشة» و«برشة»، وعندما رفع يده لرمي الجمار ظهرت عليه علامات التردد، وبدت عليه الحسرة جراء قيامه برجم صديق قديم هو إبليس!! ويقال إن أحدهم زعم سماعه إبليس يصرخ بوجه «أبو معروف» قائلاً: «حتى أنتَ يا طحطح؟!!».

٦٨ ـ الويلُ لك يا مُلازم طقش!!


الحاج أحمد طقش

ربيع العام ١٩٦١، أُوقفَ أحدهم بقضية تمسُّ أمن سوريا (التي كانت تعرف ـ يومذاك ـ باسم الإقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة).

إثر هذا التوقيف قامت مجلة «الحوادث» بإيفاد مراسلٍ إلى النبطية لكتابة «ريبورتاج» حول هذا الموضوع. حين دخل المراسل إلى صالون المختار حبيب جابر للحلاقة، شاهد داخله شخصاً يرتدي قميصاً كاكياً له «كتّافيات»، فسأل عن اسمه؟، فقال له رجلٌ كان في المدخل، إنه الملازم طقش، لكنه لا يحب ذكر رتبته عندما يتحدث إليك، وحين سأله عن اسمه؟ اكتفى بالقول انه يدعى أحمد طقش.

جواباً عن سؤال مراسل المجلة المذكورة عن الشخص الموقوف، استفاض بمديحه، والثناء عليه، وعزا توقيفه إلى مؤامرة دبرتها أجهزة مخابرات الجمهورية العربية المتحدة!!.

صدر عدد مجلة «الحوادث» يوم الخميس، متضمناً ريبورتاجاً مطولاً عن هذه القضية، وبعنوان هو: «الملازم طقش يشن هجوماً عنيفاً على أجهزة ج.ع.م».

في الساعة التاسعة والربع من مساء كل يوم جمعة كانت محطة «صوت العرب»

تبث برنامجاً يقدمه مديرها المذيع الشهير أحمد سعيد وهو: «أكاذيب تكشفها حقائق»، خُصِصَ للتعليق على ما تقوله الجهات المعادية لسياسات الجمهورية العربية المتحدة، والرد عليها.

في يوم الجمعة التالي لصدور مجلة «الحوادث» المنشور فيها هذا «الريبورتاج» الذي تضمن كلاماً لمن أُسميَ بـ «الملازم طقش» تلا أحمد سعيد على أسماع المستمعين الكلام الوارد عن لسان «الملازم طقش»، وبدأ تعليقه بالقول: «الويل لك يا ملازم طقش! من غضبة الشعب العربي في لبنان، وفي سائر أقطار الوطن العربي الكبير من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر!!»، وختم تعليقه بالقول: «يا ملازم طقش! لن تنجو من عقاب شعبنا العربي، ولسوف تلحق بعبد الإله ونوري السعيد!!».

في تلك الليلة سمع معظم أهالي النبطية حديث أحمد سعيد عن الملازم طقش الذي هُدِّدَ بالويل والثبور وعظائم الأمور، وأخبر منهم السامع من لم يسمع، وأغرقوا بالضحك وأكثروا من التعليقات الساخرة!!.

٦٩ ـ نهفات السِيد بهيج


السِيد بهيج أبو خدود

كول هوَا يا سِيد...!!

«الثُلةُ الحمراء» أو «الشعب» كما أسماها البعض ـ المؤلفة من بهيج أبو خدود والرضي موسى الرضي وفؤاد كحيل وحسان كحيل وعبد الحسين حامد وسمير الصبَّاح وفوزي الحاج علي ـ تواطأت على السيد محمود. . . ، وهو مدرِّس من النبطية.

بدأت عملية حبك خيوط المؤامرة على السيد محمود في التقرب منه، ومن ثم إقناعه بفكرة إقامة حفلات غداء متتابعة على نبع الميذنة، وأن يتحمل كل منهم كلفة كل وليمة غداء تباعاً، وأن يكون للسيد محمود شرف السبق في دعوتهم لمأدبة غداء تقام على هذا النبع، وأطرى كل واحد منهم صفاته الحسنة، فهو مُدرِّسٌ لامعٌ، ناهيك بكونه من السادة الأشراف الحسينيين، ومن أهل الكرم ورجال الجود!!، لذلك سيكون البادئ بالقيام بالدعوة إلى حفل الغداء، فقبل بالفكرة، واشترى كميات من اللحم والفراريج والبيض والخضار والمشروبات الروحية!!.

عندما التأم الشمل في نبع الميذنة، طلب المدعوون من السيد محمود أن يشوي اللحم والفراريج ويسلق البيض الخ. . لأن الداعي للوليمة يفترض به خدمة «المعازيم»، فقام بما طُلِب منه أحسن قيام، فاغتنموا فرصة انهماكه بتحضير

المآكل، فالتهموها جميعاً، عدا بيضة مسلوقة واحدة، أراد السيد محمود أكلها، لكن بهيج بادر إلى التهامها!! فغضب محمود، وراح يشتم ويطلق الكلام الجارح، و«هات يا تأتأه!!».

فسعى السيد بهيج إلى تهدئته، وخاطبه بالقول: «روق يا سِيد! روق! أنظر إلى هذه الطبيعة الغنَّاء ومتِّع نظرك بمنظرها الجميل!! وسبِّح الله على جميل صنعه!!، وفي هذا النبع ماءٌ عذبٌ زُلال، فاشرب من هذا الماء!!، أولا تشعر يا سِيد بهذا الهواء النقي أو لا تحس بهذا النسيم العليل!!، فكول هوا!! يا سِيد! كول هوا!!».

أول حقنه ما جاوب...!!

في آب ١٩٦٣، كانت «الثلّةُ الحمراء» ـ أو«الشعب» كما أطلق عليها البعض ـ، تقيم حفل غداء عامراً على نبع الميذنة، فشرب هؤلاء الخلان الخمر حتى سكِروا، وإذا بقادمٍ يخبرهم أنّ الحاج ... قد انتقل إلى رحمة ربه تعالى، فقرروا القيام بواجب التعزية في منزل أحد أنجاله.

بعدما قدموا واجب العزاء بالمرحوم، استفسروا عن ظروف وفاته، فشرح لهم نجله المذكور ما حصل بالقول: «جاب أحد أبناء عبا ٧٠ كوز من الصبير للمرحوم الوالد، فأقدم على أكلها كلّها، فأصابه كتام شديد، فأعطيناه أول حقنه ما جاوب!! وتاني حقنه ما جاوب!! وتالت حقنه...»، وإذ بالسِيد بهيج يقطع عليه حديثه بالقول: «... وجاوب!!...». فأخذ المعزون يندبون ويضحكون، في آن معاً وبصوت عالٍ!!، فأقدم «المُعزَّى» على طردهم، فازدادوا غُلُوّاً في الضحك، وهم يرددون: «أول حقنه ما جاوب!!... وتاني حقنه ما جاوب!!... يا ويلاه!! يا ويلاه!! يا ويلاه!!» وتالت حقنه... جاوب!!... جاوب!!... جاوب!!... يا ويلاه!!».

...واسبح بنهر العسل!!

استضاف السيد بهيج ذات يوم الأستاذ ج... وراحا يحتسيان الخمرة بتؤدة، وإذا بقريب متدينٍ للسيد بهيج يخاطبهما بالقول: «الله يهديكم!!»، فضحك السيد بهيج، وطلب إليه تعداد أنهار الجنة؟، فأجابه: «الأنهار ثلاثة: نهرٌ من خمرٍ ونهرٌ من عسلٍ ونهُر من لبنٍ». فقال له السيد بهيج: «لقد ارتأيت أن يسبح كل واحد منا في نهرٍ من هذه الأنهار!! فأنا أسبح في نهر الخمر وأعبُّ منه عبّاً!!، أما أنت يا أيها المؤمن فعليك بالسباحة بنهر اللبن، من أخمص قدميك الى أعلى رأسك، واشرب من معينه ثم توضأ!!»، وردّد القول الشعبي:

كـــان واوي بـــالـــجـــبـــل
غـــطّ راســـو بـــالـــلـــبـــن
قـــال بـــيّـــو مـــا عـــلـــيـــه
قـــالـــت إمّـــو مـــا عـــلـــيـــه
وقـــالـــت ســـتّـــو: الـــدم
يـــطـــرطـــش مـــن ذيـــنـــيـــه

وخاطب الأستاذ ج...: «أما أنت! فاسبح في نهر العسل والعق منه!!، وبعدها ستجلس على الأرائك!!، فتأتي إليك جيوش النحل والدبابير والزراقط من مختلف أرجاء الجنّة، فتُعمل في جسدك النحيل لسعاً وعقصاً، فيُمسي أحمر قانياً!! وساعتها لن تخفف من آلامك كل بلاسم الكوثر!!».

رومانوس الفحّام مؤسس الرومنسية!!

ذات مرة سأل السيد بهيج عن الشخص الذي أنشأ الرومانسية؟ فأجاب حسن ح... على الفور: «أنشأها وأرسى أسسها صاحب مشحرة فحم من بلدة العيشية يدعى رومانوس!!». فراح عدنان ص... يصرخ وفقاً لطريقته المعهودة: لأ لأ مش هيك!!، مش هيك!!، إن مؤسّس الرومانسية هو رومانوس الذي بنى مدينة

روما!!. وبعد أخذ ورد وطول جدل ومحاورة حسم السيد بهيج النقاش، مُرجِّحاً قول حسن... بأن مؤسس الرومانسية هو رومانوس ابن العيشية، وذلك لسببين: أولهما، كون الرومانسية حديثة العهد، ورومانوس ابن العيشية هو معاصر، بينما رومانوس باني روما قديم العهد!!؛ وثانيهما، إن رومانوس منشئ روما كان رجل حرب ولم يتماهَ بالطبيعة والأشياء والحيوانات!!، بل كانت مهنته القتل والذبح والحروب!!؛ بينما عاش رومانوس مع الأشجار والطيور، وهذا دليل معايشة لأجواء الطبيعة وتماهٍ بها!!. لكن عدنان... ضحك ضحكة جعلته يستلقي على قفاه، وعقّب بالقول: «لكن رومانوس ابن العيشيه صاحب مشحره ومهنته قطع الأشجار، فهو بحالة عداء مع الشجره والطبيعه!!، فكيف أرسى أسس الرومانسيه؟». عندها قهقه السيد بهيج وقال: «أنا شايف إنّو تنيناتكن عمّا تخبصوا برّات الصحن، ومش عارفين كوعكن من بوعكن!!».

٧٠ ـ ابتداعات كليمنص

العصفور جاسوس إنجليزي!!

في صيف العام ١٩٦٢ وأثناء إقامة سوق الاثنين في النبطية، حضر «كليمنص» وهو يحمل بندقية صيد، وأقدم على إطلاق النار على أعمدة الكهرباء في الساحة!!، مما أثار الذعر بين المتسوقين، فألقى رجال الدرك القبض عليه، وأحالوه على القاضي الذي سأله عن سبب إطلاقه النار على أعمدة الكهرباء في وضح النهار؟، فأجابه: «أطلقت النار من بارودة الصيد اللي معي، لأنّو وصلتني خبريه إنّو فيه جاسوس إنكليزي متقمِّص بزي عصفور، فجيت قوّصو منشان وطني لبنان اللي بدي خلّصو من جاسوس!!، يا سِيدنا! بدل ما تكافوني على عملي جايين عما تحاكموني؟!».

«كليمنص»

خلّي قرشك الأبيض ليومك الأسود

أُلقي القبض على «كليمنص» بتهمة الاتجار بالمخدرات بعدما عُثِرَ في منزله على كمية لا بأس بها من حشيشة الكيف. ولدى محاكمته في محكمة الجنايات في

صيدا أنكر الاتجار بهذه المادة!!، وأصرّ على القول بأنه من المدمنين!!. لأن عقوبة المدمن تقتصر على السجن الاحترازي لأشهر معدودات، بينما عقوبة الاتجار تمتد لسنوات.

عندما تمسك بقوله، إنه مدمن، سأله القاضي باستغراب: «كيف بتقول أنك مدمن وقد ضبط في منزلك هالكميّه من الحشيشه؟ فيك تفسرلي وجودها عندك؟»، أجاب: «يا سِيدنا!! المثل بيقول خبّي قرشك الأبيض ليومك الأسود!! أناِ رجّال كندرجي بيعمل صبابيط عالمواسم، وفي هالمواسم بيجيني مصاري، وفي غيرها ما بيجيني ولا فرنك، فمن شان أمِّن وجود الحشيشه اللي ما بقدر استغني عنها، بقوم بشرا كميه كبيره منها!!، مش سامع يا سِيدنا بقصة النمله والصرصور؟، أيام الصيف لمَّن النمله بتقوم بتخزين الحبوب للشتا، بينما الصرصور بيقوم بالدوران والوزوزه، وما بيكترث لمصير مونتو للشتا، ولمن بيحلّ ها لفصل، بيروح يتوسل للنمله حتى تْطَعْميهْ، فبتقللو إنتِ يا صرصور بأيام الحصايد كنت عماً تغني قصايد!!» فما كان من القاضي إلا الاقتناع بالحُجّة التي أوردها «كليمنص» لتبرير اقتنائه كميةً كبيرة من حشيشة الكيف، ومن ثم اعتبره مدمناً!!، وقضى بحجزه في المأوى الاحترازي!!.

٧١ ـ صار بدي طبيب بيطري!!

ذات يوم مرض حسن. . .مرضاً شديداً، فطلب من زوجته إحضار طبيب بيطري لمعالجته!!، فأبدت استغرابها الشديد لهذا الطلب!!، وخاطبته بالقول: «سلامة قيمتك يا رجّال ولو بدّك طبيب بيطري؟!»، أجابها بسخرية: «أناِ إللي بروح كل يوم عالشغل متل الحمار!! وبرجع الظهر عالبيت عم بلهت متل الكلب!! وبنام بالليل حد بقره متلك!! أكيد، صار بدي طبيب بيطري!!».

٧٢ ـ ألا هُبّي بكندرةٍ علينا!!

في العام ١٩٦٣ كان جمع من مدرّسي النبطية متوجهين إلى كفر رمان لحضور زفاف أحد زملائهم، فشاهدوا في حي المسيحيين فتاة جميلة هي هيلانة عبود، فما كان من المُدرِّس الشاعر أحمد فخر الدين إلا وارتجل هذه الأبيات، وفيها معارضة لقصيدة عمرو بن كلثوم الشهيرة:

ألا هُـبّـي بــ «كـنـدرةٍ» عـلـيـنـا
تـدُقُّ الـراسَ مـنّـا والـجـبـيـنـا

ولا تـرثـي لأيٍ كـان مـنّـا
وهُـزّي الـخـصـرَ حتـى تُـسـكِـرِيـنـا

عـلـى رأسِ الـمـديـرِ بـهـا بـدأتِ
وأتـبـعـتِ بـهـا الـمُـتـعـلِـمـيـنـا

٧٣ ـ قوي بالفر خسع بالحجل!!

اشتهر الأستاذ أحمد ف. . . بكونه من الصيادين الماهرين، خاصة إذا تعلق الأمر بطائر الفرّ، وصادف ذات مرة ذهابه إلى الصيد برفقة صياد آخر اسمه الحاج حسن رضا «أبو رضا»، فلم يكتب للأستاذ أحمد التوفيق في هذه الرحلة، وعاد بخفيّ حنين، بينما امتلأت «جربندية» «أبو رضا» بكل صيد ثمين، فاستهجن «الشباب» هذا الأمر لعلمهم بمهارة الأستاذ أحمد في الصيد، مما حمل السيد كمال بدر الدين «أبو صافي» على القول: «بسيطه مش هِجنه!، القصة تفسيرها على الشكل التالي: الأستاذ أحمد قوي بالفرِّ خسع بالحجل!!».

٧٤ ـ يا بيي ها لقواصي شو قويي!!

الحاج خليل ر. . . من الصيادين الماهرين المشهود لهم بالتمرّس في هذا الميدان.

في يوم من الايام إشترى قريبه عباس أ. . . بندقية «دك»؛ فما كان من الحاج خليل إلاّ وقال له: «تعا لشوف! هات! بيكونوا تخمين ضحكوا عليك!!» وراح يقلب هذه البندقية، وقام بفتحها، ثم عقب بالقول: «مش نافعة هالبارودي، روح! روح كِبّا روح!هيذي ليك! شايف جبل الرويس؟ وقاف حد منّو، قوص عليه بتصيبوش!! ليك!! هيّاني أنا هون! رح درلك ظهري، وقوصني لشوف كَنّا بتعلّم فيي»، فأجابه هذا القريب، وهو يقوم بحشو بندقيته: «عم تحكي عن جدّ؟»، فقال له الحاج خليل: «أي أنِا عم قلّك قوصني!!»، وكان في هذا الحين يرتدي معطفاً جلدياً، فطلب القريب إليه أن يبتعد قليلاً، فأصرّ الحاج خليل معانداً على حصول هذه الرماية التجريبية، وخاطب عباس قائلاً «بدّك تقوصني هَهْ»، وابتعد عنه حوالى عشرة أمتار وأدار له ظهره، فقام الأخير بإطلاق النار على الحاج خليل الذي صرخ بصوتٍ عالٍ: يا بيّ هالقواصي شو قويي!!».

٧٥ ـ مسكين يحي أحمد رُفِضَ!!

كل ما كان يملك يحي أحمد من حُطام هذه الدنيا حمارة «كُرّه».

تقدم المذكور إلى المجلس البلدي بطلب للعمل في مجال نقل النفايات على ظهر حمارته!!. وكانت المفاجأة، أن المجلس قرر رفض طلب عمل هذا الرجل، ووافق على تشغيل جحشته!! مما أوحى لأحد الشعراء بنظم قصيدة ساخرة، مطلعها:

مـسـكـيـنٌ يـحـي أحـمـدُ رُفِـضَ
لـكـن جـحـشـتـهُ مـقـبـولـهْ

٧٦ ـ رثاء حمار

نظم هذه القصيدة الأستاذ علي محفوظ رمال في ١٢/ ١٢/ ١٩٦٥.

قِفا نبكِ من ذكرى حمارٍ مُجَنْدلِ
بوادٍ سحيقٍ قُرْبَ خلٍّ مَنْهَلِ

على الأرضِ مطروحاً بجانب صخرةٍ
يُغمِّضُ عينيهِ بجفنٍ مُكحّلِ

وأرخى ذراعاً فوق آخر مُتعبٍ
وناءَ بجلمودٍ تدكْرَبَ من عَلِ

فأطلقْتُ من جِفْتي عِياراً تحيَّةً
لِجُثمانهِ أكرِمْ به من مُرَمَّلِ

وشلَّختُ ثوبي والأسى أمضّني
وخدَّشتُ وجهي دون وعيٍ بأنمُلي

فصاحَ صديقي كيْ يُهدِّئَ رَوْعتي:
تجمَّلْ بصَبْرٍ يا عليُّ تجمَّلِ

فقلتُ له: يا صاحِ لوْ يعْلَمُ الرّدى
أيادِيَهُ البيْضاءَ عندي لَرَقَّ لي

فإنْ أنسَ لا أنْسى عشيرَ طفولتي
وحاملَ أثقالي بدونِ تملْمُلِ

وإذْ أعْتلي من فوقهِ فكأنّني
على سابقٍ قيْدِ الأوابدِ هَيكْلِ

عزائي به والعَيْنُ قد جفَّ دَمْعها
عزاءُ عجوزٍ قانتٍ مُتبَتِّلِ

فأعْززْ به حينَ الوحوشُ تنوشُهُ
بأنيابها طوراً وطوراً بأرْجُلِ

ولوْ كان لي أنْ أفتديه فدَيتُهُ
بكلِّ طريفٍ أو تليدٍ مُصَقّلِ

سلامٌ عليه كلّما دَبَّ حافرٌ
وفَنْعصَ يَعْدو مثلَ مُهْرٍ مُجفّلِ

وحزني عليه ما حييتُ مؤبَّدٌ
وتفّاً على عيشٍ حقيرٍ مُبَهْدَلِ

٧٧ ـ مش المهم تقنعني بِأني أسد روح قناع الكلب!!

حدثني الدكتور جهاد مفيد جابر قال:

في العام ١٩٦٧ كان عمي المرحوم معين جابر «أبو علي» يشارك في اجتماع تأسيسي لنادي الليونز في النبطية، وعندما خرج من هذا الاجتماع هجم عليه كلب مسعور، فأطلق ساقيه للريح، وعندما شاهده أحدهم، وهو في هذه الحال، خاطبه بالقول: «ولو يا بو علي! ما أنتِ Lion ومعناها بالعربي أسد، فكيف بتخاف من شأفة كلب مشتيي عليه الدنيا؟»، فأجابه بسخرية: «مش المهم تقنعني بِأني أسد، المهم روح قناع الكلب!!»

٧٨ ـ كاس الجلاء!!



الشاعران نزار قباني وياسر بدر الدين

أحيا الشاعر نزار قباني أُمسية شعرية في نادي الشقيف في النبطية عام ١٩٦٨، وبعد انتهاء الآمسية دُعي إلى حفل عشاء أقيم على شرفه في أحد مطاعم خيزران، فما كان من إحداهن إلا الجلوس إلى جانبه، وراحت تطبع القبلات الحارّة على وجنتيه!! وأخذت تسمعه قصيدة غزلية!! ثم استفاضت بالحديث الذي طال!! وكثفت من «نكشاتها»!! قاصدة لفت انتباهه إلى كلامها المتواصل!!، فتضايق الشاعر أشد الضيق، وأصيب بالكدر، وانتابه الإحباط!! وكاد يهم بالانصراف لولا استدراك الشاعر ياسر بدر الدين الأمر!!. حيث أخذ على عاتقه صرفها بالحُسنى!! فاستطاع ياسر، وبأسلوبه المميز، تحقيق هذه الأمنية الغالية للشاعر نزار قباني!!، وغادرت مودّعة، فانفرجت أسارير الشاعر!! ورفع كأسه مخاطباً الحضور بالقول: «كاس الجلاء!!».

٧٩ ـ مقالب «أبو الصبّاح»

هات كمبيالتك وخوذ مصرياتك!!

كان يتردد إلى شركة الصبَّاح للسينما (العائدة للشقيقين حسين الصبَّاح «أبو علي» ومحمد علي الصبَّاح «أبو الصبَّاح») مرابٍ يدعى موسى حلمي، الذي كان يقرض ماله لقاء فوائد فاحشة!!.



محمد علي الصبَّاح
«أبو الصبَّاح»

في أحد الأيام قام «أبو الصبَّاح» ببث شكواه من جشع هذا المرابي إلى المخرج السينمائي سمير أبو ناصيف، وأعلمه بأنه يود تركيب «مقلبٍ» بهذا الرجل الذي يشبه «شيلوك» في تعامله مع المستدينين!!، وتداولا مطولاً بصيغته، فأعلمه الأستاذ سمير، بأن لديه حبراً سرياً!!، فصاح «أبو الصبَّاح» بأعلى صوته: «هيذا المطلوب!! سلّمني المحبره وأنا عليّ الباقي!!».

بعد قليل طلب «أبو الصبَّاح» من موسى حلمي إقراضه مبلغ عشرة آلاف ليرة لمدة ٦ أشهر، فطلب الأخير منه فائدة مقدارها ٣٠٠٠ ليرة، يقوم بحسمها سلفاً من

أصل المبلغ فوافق على شرط المرابي، وخاطبه بالقول: «دخيلك يا موسى! لحقني بالمصاري هلق!! عايزهم ضروري، وقدّ ما بدك فايده عليهم تكرم عينيك، بس بدّي عشر آلاف عالقدّ!!». فاستمهله موسى حلمي بضع دقائق، وذهب إلى المصرف، ثم عاد وفي جيبه المبلغ المطلوب، وإذاك قام «أبو الصبَّاح» بتحرير كمبيالة بالحبر السري، فوقّع الأستاذ سمير أبو ناصيف ورجل آخر - بصفتهما شاهدين.

بعدها دفع موسى حلمي المبلغ لـ «أبو الصبَّاح»، وتسلّم منه الكمبيالة التي قرأ الكتابة المُدَوَّنة فيها من الألف إلى الياء!! ثم وضعها في محفظته.

في اليوم التالي أعلم «أبو الصبَّاح» موسى حلمي، بأنه لم يعد بحاجة إلى المبلغ المقتَرَض، وأنه يود إعادته إلى صاحبه، فوضع هذا «المُرابي» شروطاً كي يوافق على اختصار مدة الدَين!! وطالب بفائدة قدرها ٣٠٠ ليرة، فأبدى «أبو الصبَّاح» استعداده لدفعها، بعد إعادة المبلغ الذي استدانه إلى صاحبه، وخاطب موسى حلمي بالقول: «يا موسى! هات الكمبياله وخوذ مصرياتك»، ففتح موسى محفظته وتناول الكمبيالة، وهي مطوية كحالها عندما وضعها بالأمس فيها، وسلّمها إلى «أبو الصبَّاح»، الذي تظاهر بالدهشة عندما نظر إليها ووجدها صفحة بيضاء، اللهم إلا من الكلمات المطبوعة على أوراق الكمبيالات!!. عندها رمى «أبو الصبَّاح» الكمبيالة بوجهه، وقال له: «شو جايي يا موسى تضحك عليي!! جايبلي كمبياله ما فيها ولا كلمه مكتوبي!! روح يا حبيبي جيب الكمبياله اللي أنا كاتبها بخط إيدي وخوذ مصرياتك!!»، فذهل هذا المرابي عندما شاهدها على هذا الحال دون أي كتابة!!، وضرب وجهه بكلتا يديه وصرخ بأعلى صوته: «دخيلك يا أبو صبّاح! مصرياتي راحوا، دخيلك رجع لي مصرياتي، وأنا بعمل لك ورقة عند كاتب العدل وأمام ٤٠ شاهد بإنّو وصْلوا مصرياتي منّك. وكلما ازداد موسى حلمي توسلاً، كان «أبو الصبَّاح» يجيبه ببرودته المعهودة: «جيب كمبيالتك وخوذ مصرياتك!! وإذا ما راح تجيبها ما حتشوف لا قرش ولا نكله».

بعد طول استجداء وتوسّل وافق «أبو الصبَّاح» على إعادة المال إلى المرابي،

مشترطاً عليه أن يدفع «حلوانه» للشباب قدرها ٢٠٠ ليرة، فوافق موسى حلمي على هذا الشرط، فدفع «أبو الصبَّاح» مبلغ ٩٨٠٠ ليرة له، وأعطى الأستاذ سمير أبو ناصيف ١٥٠ ليرة والشاهد الثاني ٥٠ ليرة!!.

بعدما قبض الأستاذ سمير حصته من «الغنيمة» شرح لموسى حلمي ما حصل، فدُهِشَ لهذا «المقلب» الذي تعرض له،وخاطب الأول بالقول: «إذا كنت أنا موسى الكحل، إنتو العمى!!».

شيك بـ ٥٠٠٠ صرامايه عتيقه!!

طلب الفنان محمد . . . إلى المنتج السينمائي محمد علي الصبَّاح «أبو الصبَّاح» إقراضه مبلغ ٥٠٠٠ ليرة لبنانية لحاجته إلى هذا المبلغ، فقام «أبو الصبَّاح» بتحرير شيك، وأطلعه على الرقم ٥٠٠٠، وطلب إليه التوجّه فوراً إلى البنك، فما كان من هذا الفنان إلا الإسراع بالذهاب إلى المصرف لقبض قيمة الشيك.

عندما استلم الموظف المختص الشيك واطّلع على مضمونه أطلق ضحكة مدوية، حين استفسر منه حامله عن السبب الداعي لهذا الضحك، طلب إليه قراءة الكلام الوارد في الشيك، ففوجئ بما هو مدوَّن فيه وهو: «ادفعوا لأمر محمد. . . ، ٥٠٠٠ صرمايه عتيقه»؛ فعقب موظف البنك بالقول: «إن تأمين هذا العدد يحتاج إلى وقت غير يسير!!».

فانهال الفنان المذكور بالكلام القاسي على صديقه «أبو الصبَّاح»، وعاد إلى مكتب الأخير، وهو غاضب أشد الغضب. عندما قال له «أبو الصبّاح» ببرودة أعصابه اللامتناهية: «عملتلك شيك بـ ٥٠٠٠ صرمايه عتيقه، وقلك موظف البنك بدن وقت حتى يأمنوهن إلك، معليش انطر، وبعدين خذهن على سوق الدلاله، وهونيك بتبسط فيهن، وبتنادي بصوت عالي: صرامي عتيقة للبيع، ساعتها بس تشوفك العالم بتلتم عليك وبيركدوا ليشتروا منك لأنك فنان معروف، وراح تبيع الجوز مش أقل من ليرتين أو ثلاث ليرات، عندها بتحصّل مبلغ ٥٠٠٠ ليره على الأقل، والباقي الله يسامحك فيه!!».

٨٠ ـ سْألني بالأول إذا كنت مع العمل الفدائي؟!!

كان الأستاذ سميح دخيل شاهين مديراً للمدرسة التكميلية الأولى في النبطية (التي أُطلق اسمه عليها لاحقاً)، وقد امتاز بروح النكته اللاذعة وبإطلاقه التعليقات الساخرة!!.

يروى أنه في أواخر ستينيات القرن الماضي ـ أثناء وجود العمل الفدائي الفلسطيني في الجنوب اللبناني ـ سأله أحد الطلاب عمّا إذا كان من مؤيدي حركة «فتح» أو منظمة «الصاعقة»؟، فأجابه متهكماً: «يا بني! قبل ما تسألني إذا كنت مع فتح أو مع الصاعقه؟ سْألني بالأول إذا كنت ـ أصلاً ـ مع العمل الفدائي؟!!».



من اليسار إلى اليمين المُدَرّسين السادة: سميح دخيل شاهين، محمود إبراهيم، أحمد أيوب فياض وخليل ترحيني في المدرسة التكميلية الرسمية للصبيان (تكميلية سميح دخيل شاهين) عام ١٩٥٨.

٨١ ـ السبتِ فات...!!

«أبو حيدر» سائق سيارة عمومية، ورجل فكه. وكانت له تصرفات في منتهى الغرابة والطرافة، في آن!!.



«أبو حيدر»

في منتصف خمسينيات القرن العشرين قام بإنشاء حزبٍ، أسماه «حزب التيوس»، وجعل من قرني التيس شعاراً له!!، وكانت التحية التي يتبادلها المحازبون قوامها، أن يرفع عضو الحزب قبضة يده إلى أعلى رأسه، ويرفع خنصره إلى الأعلى كقرن التيس، كما أصدر بطاقة عضوية للحزب تتضمن رسماً لشعاره وصورة شمسية للمنتسب يعلوها رسم لقرني تيس!!.

أحب «أبو حيدر» الولائم العامرة التي يتخللها تناول المآكل الشهية وشرب المشروبات الروحية، ويُفضِّل أن تحصل على مجاري الأنهار وفي التلال الحرجية، ناهيك بميله إلى الأسفار إلى تركيا ودول أوروبا الشرقية، واشتهر بميله إلى مغادرة رفاق سهرات الأنس وتركهم في الأماكن البعيدة.

كانت لعادل ثلة من الأصدقاء مؤلفة من حسن ح... «أبو حسين» ورفيق ط. «أبو شفيق»، وسواهما.

نتيجة لمعاناة هؤلاء الأصدقاء من تصرفات «أبو حيدر» في مجال «قطع» رفاق الطريق في أماكن نائية، قرر «أبو حسين» و«أبو شفيق» الانتقام منه، وكانت الخطة

تقضي بدعوته إلى تناول العشاء في أحد مطاعم خيزران، وأن يتوجهوا بسيارة الثاني إلى هذا المكان، ومن ثم يطلبا إلى «أبو حيدر» البقاء في المطعم من أجل الإشراف على إعداد «المازة»؛ وفي المقابل، فإنهما سيتظاهران بشراء الأسماك الطازجة من «المسمكة»، وبعدها يقفلان راجعين إلى النبطية، ويتوجهان إلى منزل «أبو حيدر» للحصول من زوجته على الطنجرة التي طبخت فيها «الغمة»، إذ كان قد أخبرهما أن زوجته ستعدّ هذه «الأكلة». وبدأت المؤامرة التي دبرها صديقاه حين أعلماه بأنهما قررا تناول طعام العشاء في أحد مطاعم خيزران مستقلين سيارة «أبو شفيق»، فرحب عادل بهذه الدعوة. وكان الانطلاق مساءً، وحينما اقتربوا من خيزران طلبا إلى «أبو حيدر» أن يمكث في المطعم ليتولى إعداد المازة والمقبّلات والمشروبات، أما هما فإنهما سيتوجهان إلى «المسمكة» لشراء السمك الطازج، و«تنظيفه»، ومِنْ ثم يُصار إلى «قليه» في المطعم لاحقاً.

بعدما اتجه «أبو حيدر» إلى المطعم غادرا خيزران باتجاه النبطية، وقصدا منزله، حيث طلبا من زوجته تسليمهما طنجرة «الغمّة»، وأعلماها بأن زوجها قد كلفهما هذه المهمة، نظراً لانشغاله بشراء الفواكه والمشروبات الروحية، فانطلت عليها هذه الأقوال، وقامت بتسليمهما طنجرة «الغمّة».

انطلق الصديقان مسرعين إلى جبل الريحان ولديهما «أكلة» شهية، وخضار متنوعة وفواكه لذيذة ومكسرات طيبة، إضافة إلى «بطحات» العرق. فبسطا المائدة، وتناولا ما لذ وطاب من الطعام والشراب، وهما يتضاحكان ويغنيان شتى الأغاني، لا سيما أغنية المطرب محمد عبد المطلب: «السبت فات... والحدّ فات...». وترداد هذه الأغنية كان المقصود منه التعبير عن «المقلب» الذي أوقعا به صديقهما «أبو حيدر»؛ وتخيلا ما جرى له بعد طول انتظار لهما في المطعم الخيزراني، وأخذا يخمنان ماهية رد فعله عندما يعود إلى منزله فلا يجد «الغمّة» الشهية التي استوليا عليها، فتوقعا أنه سينفعل انفعالاً شديداً، وأن الواقعة ستقع بينهما وبينه، وستنشب خناقة تشيب لها الولدان!! . لذا قررا التواري عن ناظريه تلافياً لحصول إشكال معه .

أما «أبو حيدر» الذي أشرف على إعداد «المازة» ولوازم مأدبة العشاء، فقد طال انتظاره، وأخذ الجوع منه مأخذاً، فالتهم ما هو موجود على الطاولة من «مازة» و«مقبّلات». وبالتالي اضطر للمغادرة، بعدما دفع ثمن هذه «المستلزمات»، وقفل عائداً إلى النبطية.

لدى وصوله إلى منزله قابلته زوجته التي أعلمته بأن صديقيه قد أخذا طنجرة «الغمة» التي طبختها، بعدما أبلغاها أنهما قد حضرا بتكليف منه، فثارت ثائرته، وراح يصرخ حتى بلغ صراخه عنان السماء، وأقسم أغلظ الأيمان بأنه سينتقم من هذين الرجلين شر انتقام!!.

صبيحة اليوم الثاني جلس في المقهى الكائن في ساحة النبطية، وإذ بهذين الصديقين يمران، ثم وقفا قبالته، ورفعا الصوت عالياً وهما يغنيان أغنية: «السبت فات... والحدِّ فات...»، وانطلقا بالسيارة مسرعين، فما كان منه إلا وصوَّب تجاههما بندقية الصيد، وأطلق النار عليهما، ، لكنه أخطأ الهدف لأنّ السيارة أقلعت بسرعة جنونية!!.

بعد فترة وجيزة تدخل وسطاء الخير لترطيب الأجواء، وتمّت المصالحة على قاعدة «عفا الله عما مضى»!!.

٨٢ ـ براعة الأستاذ محمود إبراهيم

شو أنا عنتر بن شداد؟!!

في العام ١٩٧٠ استُدعي الأستاذ محمود إبراهيم المعروف بـ «السيد محمود الكوثراني» من قبل التفتيش التربوي للتحقيق معه بتهمتين:

الأولى: الإقدام على تدريب عناصر فدائية في مخيم النبطية.

الثانية: إقامة تنسيق مع قادة المنظمات الفدائية.

تمّ استدعاء الأستاذ محمود إلى قائمقامية النبطية حيث كان بانتظاره أحد المفتشين التربويين.

عندما وجه له المفتش السؤال الأول؛ قام بخلع جاكيتته وأتبعها بالقميص، وعمل على إنزال بنطاله، لكن المفتش منعه من ذلك.

بعدها صعد الأستاذ محمود فوق الطاولة، وقام بعرض عضلاته الضامرة، وهو يختال بجسمه النحيل، وأخذ بهذه الحركات يقلّد أبطال الكمال الجسماني!!. وخاطب المفتش التربوي هازئاً: «شايف يا حضرة المفتش! صاحب هالجسم الرياضي المهول شو عندو قدره على التدريب العسكري، وعلى خوض المعارك الشرسة، دون كلل أو ملل، شايف يا سِيدنا: شو أنِا عنتر بن شداد حتى قوم بها العمل؟! أنا محمود ابراهيم!!». فضحك المفتش التربوي ضحكاً متواصلاً، عندما رأى هذا المشهد!!.

وأجاب الأستاذ محمود عن السؤال الثاني بالقول: «أما بالنسبة للتنسيق الحميم مع قادة العمل الفدائي، فيبدو أنني قد قمت بمهمة عجز عنها كبار رجالات الدولة من مدنيين وعسكريين، وبالتالي ألا أحتاج إلى وسام رفيع من الدولة اللبنانية تقديراً لجهودي الخارقة في هذا المجال!! بدلاً من التحقيق معي؟!».

فابتسم المفتش التربوي، وأبلغ الأستاذ محمود أن يعتبر المسألة منتهية، وكأن شيئاً لم يكن!!.

حاتضحك عليك كلاب الزمان!!

لعب الأستاذ محمود لعبة «الأربعتعش» مع ع... في مقهى أحمد السِيد عباس في النبطية، مطلع سبعينيات القرن المنصرم. وكان الرهان بينهما على مبلغ ٥٠ ليرة، وحين أوشك الأستاذ محمود على الربح، فاجأه منافسه في اللحظات الأخيرة

بـ«ضومنو» سببت له خسارة «الدق». فراح يمزق ورق «الكوتشينا» إرباً إرباً، وقد أصابه كدرٌ شديد، وانتابه انفعالٌ كاد يودي به، وع... يضحك بملء شدقيه لما حققه من فوز مبين!!. وبعدما توقف ع... عن الضحك، انتابت الأستاذ محمود نوبة حادة من الضحك!!، فسأله «المنافس»: «عا شو عمتضحك يا بن..؟على الغلب اللي أكلتو والخساره اللي تكبدتها؟!!»، فأجابه الأستاذ محمود: «عندما ضحكت ساخراً مني ونُلتَ من والدي، تذكّرت نصيحته وهيّ: إذا رح تضلّكْ يا بني بها لعقليه حا تضحك عليك كلاب الزمان!!».

٨٣ ـ إسمو C'est Trop Tard!!

في العام ١٩٧٠قصد الأستاذ خليل ترحيني مكتب أحد الوزراء لمراجعته بخصوص تعيينه ناظراً في الدورة التدريبية التي تقيمها وزارة التربية صيفاً. بعدما أجرى الوزير اتصالات بالمعنيين بالموضوع خاطب خليل بالفرنسية: «c'est trop tard» (وترجمتها إلى العربية: هذا متأخر جداً).

صودف مجيء أحد المراجعين الذي بادر الأستاذ خليل بالسلام، سائلاً إياه عن إسم مسؤول في إحدى الدوائر الرسمية، فأجابه الأستاذ خليل للتو: «إسمو c'est trop tard»، وانصرف. بعدها اتجه المراجع نحو الوزير، وأبلغه أن لديه حاجة لدى السيد «c'est trop tard» ويود أن يساعده في حلها.

أدرك الوزير أن الذي لقّن الرجل هذه الكلمة هو الأستاذ خليل، فاغرق بالضحك.

٨٤ ـ كِفْتا معايي عملت هالملعوب؟!

يوسف عواضة شاعر خيامي من شعراء المحكية، ويمتاز بالظرف وبروح الدعابة، ناهيك بسلاطة اللسان!!.

في مطلع سبعينيات القرن المنصرم التقى في الشياح بالسيد عدنان زيبارة؛ فخاطبه بالقول: «كان بودّي أن أُناسبكم يا أهل بيت رسول الله، لكن المرحوم والدك أبو العبد رفض تزويج إحدى شقيقاتك لولدي، أما الآن فدوزن شقيقك الأصغر أحمد واصطحبه إلى منزلي الكائن في تل الزعتر، لأنه يوجد عندي بنت حلوي كتير، حابب زوجو ياها!!». فوعده السيد عدنان خيراً، لكنه بعدما قلَّب الأمر على جميع الأوجه، عدل عن هذه الفكرة، وتجاهل تلبية دعوة هذا الرجل له ولشقيقه الأصغر أحمد.

فما كان من يوسف إلاّ وأرسل إلى السيد عدنان رسالة عتبٍ شديد على إخلافه بالوعد الذي قطعه له، بأن يقوم وشقيقه بزيارته في منزلِهِ، وأرفق عتابه بهذه الأبيات:

يا عاصفَ الريح إعصف من شمال لَجنوب
مـن تـل زعـتـر لَـسـوق الـنـبـاطـيـي
بـحياة ربّك بـدربك خـوذ هـا لـمكـتوب
لْـعدنـان نِـسـبـة زيـباره مـن الـقُـريـشـيـي
بـخطّ يـوسـف عـواضـه شـاعـر ومـوهـوب
مـن رهـط لْـجنـوب مـن ربـع الـخـيـامـيـي
عدنان كِفْتا معايي عملت هالملعوب
مـا عـرفـت إنِّـيْ حـنـش تْـرّبـات بـريّـه
والـصدق أنجا إلك بـالصدق يا محبوب
وحـبـل الـكـذب كِـتَّـانْـتـو مـهـريـي

٨٥ ـ الرفيق شخيروف!!

عندما جرت معركة الانتخابات الفرعية في دائرة النبطية في كانون الأول عام ١٩٧٤، خاض تحالف الحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي هذه المعركة بالأستاذ عادل الصبَّاح؛ فحضر إلى النبطية جميع قادة الحزب والمنظمة، وقام الشيوعيون في النبطية باستضافة هؤلاء القادة الشيوعيين في منازلهم، فحلَّ بضيافة قاسم الصباغ «أبو محمد»، محسن إبراهيم «أبو خالد» والقيادي الشيوعي علي ع. اللذان ناما في غرفة واحدة، ولما أخلدا إلى النوم راح علي ع. يشخر طوال الليل، مما أقضّ مضجع «أبو خالد» الذي أصيب بالأرق الشديد.

في الصباح، سُئل «أبو خالد» عما إذا كان قد قضى ليلة مريحة؟ فأجاب ساخراً: «منين بدي إرتاح، وبجواري نام الرفيق شخيروف!!».

٨٦ ـ أمطروها بوابل من الدعوات!!


الشيخ علي صادق

في العام ١٩٨١ قامت الطائرات «الإسرائيلية» بالإغارة على المفاعل النووي العراقي، ومرت فوق العديد من الدول العربية وعبرت مسافة لا يستهان بها في الأراضي العراقية، ولم يطلق عليها أي طلقة من مدفع مضاد أو صاروخ!!، وقد تساءل بعض شباب النبطية عن سر عدم التصدي؟ فأجابهم الشيخ علي صادق: «مْبَلى شافوها وقشعوها مارقه، فأمطروها بوابل دعوات من العيار الثقيل!!!».

٨٧ ـ التوقيت المُهَنَّدي


الدكتور جهاد مفيد جابر والمهندس مُهَنّد الصبَّاح

نظراً لانشغالاته الكثيرة، لطالما أخلف قريبنا المهندس مُهَنَّد صبَّاح بمواعيده، كأن يحدد موعداً بعد ساعة، لكنه يحضر بعد ساعات أو يعتذر عن الحضور!!

فما كان من الدكتور جهاد مفيد جابر إلاّ وأطلق اسم «التوقيت المُهَنَّدي» على هذه الحالة التي وصفها على الشكل التالي: حين يلتقي المهندس مُهَنَّد صبَّاح بأحد ما يقول له: «انتظرني خمس دقايق، أنِا رايح عالرياض وراجع!!».

٨٨ ـ الكلاب غُرّبِيهٌ متلك!!

في العام ١٩٨٣ كان السيد زين رياض بدر الدين يجلس مساءً في ساحة النبطية، وإذ بأحد ثقلاء الظلّ يمر بقربه، حيث خاطبه بالقول: «شو مبيِّن الكلاب كترانين هاليلي بالنبطيه؟!» فأجابه زين للتو: «هالكلاب غُرّبِيِّهْ متلك!!».

٨٩ ـ دبابيس الشاعر زاهد بدر الدين



الشاعر زاهد بدر الدين

عندما كان الشاعر زاهد بدر الدين[*] مُدرِّساً في مهنية النبطية الرسمية، نظم اعتباراً من النصف الثاني من ثمانينيات القرن المنصرم العديد من القصائد التي تضمنت نقداً لاذعاً للواقع، ومداعبات «إخوانية» لبعض زملائه المُدرِّسين في المهنية.

وهذا بعضٌ من قصائده غير المنشورة:

بها لمدرسي اللي حدّ جبّاني

نُظِمت هذه القصيدة في شهر أيار ١٩٨٥.

بها لمدرسي اللي حدّ جبّاني
صارت الحالي كتير تعباني
قالو الأوادم والرذالا كتار
وتتروق بدّا حلم ربّاني
من بعد ما العام الدراسي طار
وصارت ليالي الفحص قرباني

(*) ولد الشاعر زاهد ابن السيد جعفر بدر الدين في النبطية في ٥ آذار ١٩٣٤، وهو هاشمي النسب، نظم الشعر منذ يفاعته، وبعدما أنهى دراسته الابتدائية العالية، عُين معلماً في المدرسة العلمية في النبطية، ثم مراقباً صحياً في بلدية النبطية، ، وفي العام ١٩٦٦ أصبح معلماً في المدرسة المهنية في النبطية، واستقال في العام ١٩٩٣، واستمر مقيماً في صور منذ العام ١٩٧٥ وما زال. طُبع له كتاب «طرائف ونوادر من الماضي والحاضر»، في العام ١٩٩٢.

ونيسان ولّى وابتدا أيار
يرقص على أنغام رحباني
دبّتْ الفوضى عايد الأشرار
والنار لحقت كلّ تبّاني
في كمّ طالب سرسري وحمار
وبالزعرني بيضة القبّاني
تحدّوا المدير[١] وناظر النظّار[٢]
وتغلّب الهادم على الباني
مضبوط إنّو كان في اخطار
وكانت طيور الأنس هرباني
لكن اليوم تزوّد المعيار
وصارت الحالي.........

صُرنا على رأس الحضارهْ

* نُظِمت هذه القصيدة في ٢١ آذار ١٩٨٨.

صرنا على رأسِ الحضارهْ
وتحكّمت بالليثِ فارهْ
وتأخّر العِلمُ الجليلُ
وصار للجهلِ الصدارهْ
واستأسدَ الكلبُ الجبانُ
«مُعنتِراً» في كلِّ حارهْ

(١) المدير: مدير المهنية السابق الحاج محمد علي بشارة.
(٢) ناظر النظّار: ناظر المهنية السابق الحاج حسن درويش.

حتى العمالةُ والنذالةُ
أصبحت فينا شطارهْ

والثلجُ من مأساتهِ
فينا، تجمّد بالحرارهْ

إن كان يوسمُ بالخيانةِ
كلُّ من وُلّي الوزارهْ

لم يبقَ فينا ذرةٌ
لكرامةٍ تنفي الحقارهْ

والأمرُ يسهُلُ إن غدا
غربالنا من غيرِ «طارهْ»

أو قام يُنتِجُ عندنا
«المجرور» سوقاً للعطارهْ

ويرُشُّ فوحَ عبيرهِ
في الناسِ من جارٍ وجارهْ

بشوارعٍ موحولةٍ
لا عهد فيها للحِجارهْ

تعيا بها السيارةُ المُثلى
وتأباها الحِمارهْ

لا المالُ موفورٌ ولا
زيتُ الوقودِ ولا الإنارهْ

والحُرُّ يخنقهُ الأسى
وتكادُ تُشعِلهُ الشرارهْ

فأثارني الزمنُ الرديءُ
وكان محمودَ الإثارهْ

شوقاً إلى مهنيةٍ
فنيَّةٍ فيها العِمارهْ

وبها النظامُ المستتبُ
وحُسنُ سيرٍ في الإدارهْ

فحسيبُ يمشي «الخيزلى»
والمالُ يأتي عن «جعارهْ»[1]

و«أبو الدراويشِ»[2] انتحى
يلهو بنحوٍ واستعارهْ

و«أبو المكارم م...»
يختص في فرع التجارهْ

عِ... له بلدٌ، ويطمعُ
أن يصيف في «المنارهْ»[3]

يُعطيكَ من ألفاظهِ
دُرراً منمّقةَ العِبارهْ

والفِجلةُ الحمراءُ أفضلُ
عنده من جُلّنارهْ

وابنُ الخريبةِ...
يبكي ويصرخُ يا «شَحارهْ»

حرموه من ساعاتهِ
وسقوه من كأسِ المرارهْ

يدري بأن الدبسَ
مفقودٌ ويلحسُ بالنعارهْ

(١) جعاره: المُدرِّس الحاج عبد اللطيف جعارة.
(٢) أبو الدراويش: الناظر السابق الحاج حسن درويش.
(٣) المنارة: مصح الأمراض العقلية في خراج بلدة المروانية.

ويردُ كلَّ نصيحةٍ / تُتلى ويعملُ بـ«الجكارهْ»
ويظلُّ يأملُ بالرجا / بعدَ التشرُّدِ والعزارهْ
لا يرعوي عن غيّهِ / المفضوحِ مهتوكِ الستارهْ
فيه السماحةُ واللجاجةُ / والسذاجةُ والطهارهْ
وبه الأناقةُ والرشاقةُ / واللياقةُ والقذارهْ
جمع الصفاتِ وضدّها / فاعجب لصفوٍ في الكدارهْ
فلذاك جئتُ مُهنئاً / رجلَ الشجاعةِ والمهارهْ
ذاكُم «أبو ح...» الذي / نال الوظيفة عن جدارهْ
ما زال فيها يرتقي / بجهادهِ طوراً وتارهْ
من عاملٍ في مصنعٍ / بين الحدادةِ والنجارهْ
ومراقبٍ في ورشةٍ / حتى اعتلى جحشَ النظارهْ
فتراهُ أشعثَ أغبراً / فكأنه رجلُ المغارهْ

لا راحةٌ تُرجى لديهِ / وكلُّ تعطيلٍ خسارهْ
ورسالة التربيع والتدوير / عنده لهما إشارهْ
قولوا له: مبروكةٌ / وعساهُ يلحقُ بالسفارهْ
وعساه يُكمِلُ دينهُ / بالحج يوماً والزيارهْ[1]
يهنيك يا «وهبي»[2] بهِ / وافخر بذلك يا «بِشارهْ»[3]

أتجرؤ يا حقير على هجائي

نظم الشاعر زاهد بدر الدين هذه القصيدة في ٢٩ آذار ١٩٨٨، حيث تضمنت هجاءً لزميل في المهنية.

أتجرؤ يا حقيرُ على هجائي / وأنتَ تُقاسُ أدنى من حِذائي
ورأسُكَ تحت نعلي من قديمٍ / وجُرحُكَ نازفٌ نتنُ الدماءِ
ولم أُجهز عليكَ لظنِ خيرٍ / رجوتُ، فطاح لؤمُكَ بالرجاءِ

(١) حجّ وزار والحمد لله.
(٢) وهبي: أحمد وهبي مُدرِّس في مهنية النبطية.
(٣) بشاره: المدير السابق لمهنية النبطية الحاج محمد علي بشارة.

طسريحَ مدرسةٍ بعِـ. . .   تولولُ في الصباحِ وفي المساءِ
فآويناكَ إشفاقاً وفضلاً   وعلّمناكَ درسَ الألفباءِ
وفيكَ شرابَ معرفةٍ سكبنا   فبانَ السكبُ عن خُبثِ الإناءِ
وقد ضرط الزمانُ فصْرتَ فَرْداً   من النُظّارِ عبداً للإماءِ
ولو أنّ الزمانَ جرى بصدقٍ   لكان رماكَ في بيت الخلاءِ
لقد خُنتَ الأمانة مستهيناً   بكلِ صداقةٍ وبلا حياءِ
وذو الشرفِ الرفيعِ، وإن تأذّى   كتومٌ لا يجاهرُ بالعداءِ
بُلينا بابنِ. . . زماناً   وقانا اللهُ من هذا البلاءِ
فلم تُذكرْ أمامَ الناس إلاّ   وقالوا: «م. . .» رجلٌ «خُر. . .»
عجبتُ لأهلِ «عِـ. . .» لم يقوموا   لينقضّوا على هذا الوباءِ
ويقتلعوه من أرضٍ شجاها   بأفعالِ الفواحشِ والبغاءِ
فإنكَ صِرتَ نبّاحاً عقوراً   ولم تُجزِ الوفاءَ على الوفاءِ

فشيمتكَ الخيانةُ في مصيفٍ   وغدرٌ، واحتيالٌ في الشتاءِ
لحاكَ اللهُ من وَغْدٍ لئيمٍ   تدُسُّ السمَّ في عسلٍ وماءِ
وقد أصبحتَ مهزلةً وهَزْواً   ومِهذاراً، تُرى كالببغاءِ
طغى فعلُ السفاهةِ فيكَ حتى   رأينا دونَ ذلك كلَّ داءِ
لقد حاولتَ نيلاً من كريمٍ   حوى فضلَ العلومِ بلا ادعاءِ
وأحمُدُ أنَّ دهري قد أراني   وأبدى ما تُدَبِّرُ في الخفاءِ
وأشهدُ أنَّ دهري غيرُ صافٍ   لأنك عن كريمِ القولِ نائي
فأنتَ وكلُّ من والاكَ كلبٌ   خسيسُ القَدْرِ، تغدُرُ بالخفاءِ
ستجني كلَّ ما قدّمتَ سوءاً   وتحصُدُ ما زرعتَ على سواءِ
ويلعنُكَ الإلهُ بكلِ لفظٍ   تلتهُ الأرضُ طُرّاً للسماءِ
ولا تطمع بصفحي عنكَ يوماً   إذا لم تعتذرْ واحذَرْ لقائي

بين التِنورة والكشكش!!.

في خريف العام ١٩٨٨ التقيت الشاعر زاهد بدر الدين في سهرة جمعتنا في النبطية، فقمنا بنظم قصيدة مطولة لم يبق منها في الذاكرة إلاّ هذه الأبيات:

بين التّنّورةِ والكشكشْ ... بومُ المهنيةِ قد «عشعشْ»
والنقّي ينقُّ كضفدعةٍ ... ولهُ لسعاتٌ كالبرغشْ
ومنيرٌ يزعقُ زعقتهُ ... إن هردب مشياً يتعركشْ
وأبو حـ . . . يُشبهُ ديكاً ... فوقَ المزبلةِ قد كنفشْ

٩٠ ـ ويلٌ لكل هُمزةٍ لُمزةٍ !!

مات ثري امتاز بالحرص الشديد، وحب المال حُبّاً جَمّاً.

بعد وفاته راح مُقرئ القرآن يتلو سورة «الهُمزة» وفيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيلٌ لكُلِّ هُمزةٍ لُمَزةٍ * الذي جمع مالاً وعدَّده * يحسبُ أن مالهُ أخلدهُ * كلاّ ليُنبذَنَّ في الحُطمةِ * وما أَدراكَ ما الحُطمةُ * نارُ الله المُوقَدةُ * التي تَطلِعُ على الأفئِدة * إنها عليهم مُّؤصَدةٌ * في عَمَدٍ مُمَدَّدة﴾.

وكرر المقرئ تلاوة هذه السورة القرآنية مرات عديدة، مما لفت انتباه المُعزّين.

٩١ ـ الفأر وشنب الهر!!

طلب بعض الظرفاء من مُقرئ السيرة الحسينية الحاج عبد عياش،أن يرفع صوته بقراءة سورة الفاتحة عن روح الشيخ أمين. . . ، بعد الانتهاء من قراءة مجلس العزاء، مع وعد بمكافأة «محرزة»!!، فدهش لهذا الطلب!!، وروى قصة ثعلبٍ رغب إلى فار أن يمر من تحت «شنب» هر، لقاء إعطائه دجاجة!!، فأجابه الفأر الذكي: «هديتك مغريه، يا أبو الحصين!! لكن المرور من تحت شنب الهر سيؤدي إلى نزع رقبتي!! فاتركني بحالي. . .!!».

٩٢ ـ الله بيستجيب لدعوة قحبه شقيّه أو حره تقيّه!!

إبان المعركة الانتخابية في العام ٢٠٠٠ كان ر... جالساً أمام محل ع...، وصودف مروري قرب هذا المحل، فسألني ر...: عما إذا كانت لديّ صورة لمرشحٍ قريب؟!، فأجبته بالإيجاب، وأعطيته الصورة المطلوبة، فبادر إلى لصقها على زجاج واجهة محل ع...، وخاطب صاحبه بالقول: «استرجي قباع هالصوره، وإلا سأخبر صاحبها على الفور، وخليه ساعتها يحرق سْلافّك!!». فوقع ع... في حيص بيص، فإذا ما أقدم على انتزاع الصورة، فإن غضب الله سيقع عليه!!، وإذا أبقاها فإن ذلك سيؤثر في حركة البيع في محله، «لأنَّ هناك من يُحبكْ وهناك من يكرهك». فما كان منه إلا التوجه بالدعاء إلى الله بأن يصاب ر... بمرض عضال يشل قواه الجسدية والعقلية!!، وأكثر من الدعاء، وهو يرفع كلتا يديه للسماء كي تستجيب لدعائه.

بعد مرور أسبوع على هذه الواقعة أصيب ر... بـ«لَقْوهْ» جعلته طريح الفراش بضعة أشهر. وبعد تعافيه جزئياً توجه نحو محطة السيد وسيم بدر الدين، وعند قدومي إليها أخبرت صاحبها بما حصل في محل ع... الذي أمطر ر... بوابل من «الدعوات»، راجياً الله أن يصيبه بداء عضال، فعقّب السيد وسيم بالقول: «الله سبحانه وتعالى بيستجيب لدعوة قحبه شقيّه أو حُرّه تقيّه!!».

٩٣ ـ بيكْ ويقبر لحيتك!!

مات شخص مُلَقّب بـ«مرزوق»، وكان من الناس البسطاء، فحمل نعشه بعض أصدقائه. بينما كان هؤلاء الرجال يهمّون بإخراج النعش من منزله والتوجه به إلى المقبرة، صرخت إحدى بناته بأعلى صوتها: «دخيلكن لوين ما خذين بيِّ؟ يا ناس انخطف بيّنا منا خطف!! دخيلكن ما بنّا بيّ يتركنا!! ولوين رايحين ببيِّ؟ ولوين خطفتوا بيِّ؟!».

عندما سمع الرجال الذين حملوا النعش هذا الكلام، أنزلوه عن أكتافهم ووضعوه أرضاً، ثم خاطبوا الإبنة المفجوعة بصوت عالٍ: «فلقتينا بالصريخ على بيّك!! وقاعدي لاحقتينا فيه!! كأننا حراميِّ وسارقينو، طيب هاذا بيك بنعشو تعي خذيه!! بيّك ويقبر لحيتك!!».

٩٤ ـ صبَّاحيات

... وأنا تعيس المسَّاء!!

منذ صيف العام ١٩٦٩ واضبت على الجلوس في مجلس الأستاذ أكرم الحوراني في مقهى «الدولتشي فيتا» في الروشة، فنشأت صداقة بيني وبينه، وبينما كنا مستغرقين في الحديث حضر فجأة رجال ثرثارون وثقلاء الظل من الذين يسببون الإزعاج لعباد الله الذين يطلبون راحة البال!!. وهم محمد ب. ش. وسهيل ي. وعبدالله غ. وعدنان ش.

أخذ هؤلاء الأشخاص يتبادلون الحديث بعدما علت أصواتهم، واختلط الحابل بالنابل، وكادوا أن يتلاحوا، مما سبب ضيقاً شديداً للأستاذ أكرم فاعتكَرَ مزاجه، وأصيب بحالة ضيق شديد، فخاطبني قائلاً: «لقد قررت بعد هالمصيبي اللي حلّت على راسي أن استبدل إسمي من أكرم إلى أيوب!! فأصبح إسمي أيوب الحوراني، إنتِ شو راح تسمي حالك؟»، فأجبته: «لقد غيرت اسمي من سعيد الصبَّاح إلى تعيس المسَّاء أو تعيس المسَاء، متل ما بتشوف»!!؟.

دكتور بلا دكّ!!

في العام ١٩٧٦ قدم إلى النبطية رجل يدعى عدنان خ.، وقد أطلق على نفسه لقب «الدكتور»، حيث افتتح مختبراً للفحوصات الطبية في هذه المدينة، فلاحظتُ

أنه شبه أبله!!. وصادف قدوم الصديق طلعت ظ.، فحدثته عن واقع هذا الرجل، ورغبتُ إليه أن نزوره معاً في مختبره. وفي الطريق سألني صديقي عن فحوى الكلام الذي سيتوجه به إلى صاحب المختبر فأجبته: «طلوب منّو أن يفحص نسبة الذكاء في دمك؟!!». فوجد محدّثي أن الإجابة عن هذا الطلب إن كانت بالإيجاب سوف تظهر أن هذا الرجل هو حمار بامتياز!!.

عندما دخلنا المختبر بادر صديقي صاحب المختبر بالقول: «لقد أخبرني الأستاذ سعيد بأنّك افتتحت مختبراً جديداً في النبطية، فمبروك للنبطية قدومك، والبلد بحاجي إلى مختبر، وأنا جايي لعندك لأطلب منك تفحصلي نسبة الذكاء بدمّي!! لأنو أحياناً بحسّ إنيّ غبي وأحياناً إنيّ فلتة زماني!! فبدّي إعرف النسبه حتى شوف كيف بدي عالج حالي!!». فأجابه عدنان: «يا صاحبي! هيدا الفحص ما في مِنّو عندي!! بدك باخذ دماتك عالجامعه الأميركيه، وهونيك بيعملوا الفحص!!»، فأغرقنا في الضحك، وخاطب صديقي صاحب المختبر بالقول: «سألتك ها لسؤال لاعرف إذا كنت فهيم أو بهيم!! فطْلعت حمار بامتياز!!». فغضب عدنان!! وقال لمُحدّثه: «ما بسمح لك تحكي ها لحكي، إنتِ شو بيعرْفَك بشغلنا!! فيه فحص لنسبة الذكاء بالجامعه الإميركيه وبأوتيل ديو كمان!! مش هيك يا إستاذ سعيد؟!»، فأجبته بسخرية: «بهنّي النبطية فيك وبمختبرك، إنتِ صحيح دكتور عن جَدّ، بسّ دكتور بلا دكّ!!».

وِرّ / وِرّ / وِرّ / وِرّ

ابتكر الدكتور عادل فاخوري «صرعةً» أطلق عليها اسم «القصيدة الإلكترونية».

من وحيها نظمت هذه القصيدة:

وِرّ / وِرّ / وِرّ / وِرّ

يــا مُــفْــرِحَــنــا بــالــحُــر والــتِّــرّ

زيْــكْ / زيْـــكْ / زيْـــكْ / زيْـــكْ

قلْ لي: علي بيكٍ[١] كم يُعطيكْ

وِزّ / وِزّ / وِزّ / وِزّ

جــاءَ «عـــادل» لــيُـــرَشّ الـــرزّ

بـكَـا بـكَـا / بـكَـا بـكَـا / بـكَـا بـكَـا

أنـــتَ فـــي الـــرقـــصِ مـــا أحـــلاكَ

نـيـنـا / نـيـنـا / نـيـنـا / نـيـنـا

عـــبـــثَ دهـــرٌ بـــأمـــانـــيـــنـــا

تـــرّيْ/تـــرّيْ / تـــرّيْ/ تـــرّيْ

حَـسَـــنٌ أنـــتَ كـــسـيْـــاد بـــرّيْ[٢]

نَـــاوّ / نَـــاوّ / نَـــاوّ / نَـــاوّ

أنـــتَ عَـلَـــمٌ كـالـــمرحـــومْ مـــاوّ[٣]

وِيْـــكْ / وِيْـــكْ / وِيْـــكْ / وِيْـــكْ

تـتـأرجـحُ بـيـن الـبـسـطـةِ والـكـسـلـيـكْ

قد تم صلح...!!

قبل حصول العملية الانتخابية للهيئة الإدارية لاتحاد الكتّاب اللبنانيين في شهر كانون الأول ١٩٩٥ حصلت مساجلات على صفحات الجرائد بين الشاعر شوقي بزيع والباحث نهاد حشيشو، مما أدى إلى تعكير العلاقات الشخصية بينهما، لكن الشاعر عصام العبدالله «أبو حازم» لعب دور الإطفائي الذي أخمد جذوة هذا

(١) علي بيك: لقب الصحافي الراحل السيد علي هاشم الذي كان مثالاً للكرم في تعاطيه مع الأصدقاء.

(٢) سياد بري: محمد سياد بري رئيس الصومال الأسبق، وكان بمنتهى البشاعة!!.

(٣) ماو: زعيم الصين الشعبية الراحل ماوتسي تونغ.

الخلاف، ومن ثم عادت المياه إلى مجاريها، وعاد الود والانسجام، مما أوحـ بنظم هذين البيتين:

حـــمـــدي لـــربـــي عـــلـــى أمـــرٍ وعـــقُـــبـــاه

قـــد تـــم صـــلـــحٌ بـــهـــا، رحـــمـــاك

فضمَّ «بو حازمٍ»[١] «شوقي»[٢] إلى «حشَشٍ»[٣]

فـــزال عـــن مـــجـــلـــسٍ غـــمٌّ وبـــلـ

إلى الجهاد!!

نظمت هذه القصيدة التي ضمّنتها التحية إلى صديقي الدكتور جهاد مفيد الذي وافق مشكوراً على نشرها.

تاريخ هذه القصيدة يعود إلى ٢٣ كانون الأول ١٩٩٥.

إلـى الـجـهـادِ أهـربُ مـن يـأسـي إلـى أمـلـي

فـأُنـعـشُ الـنـفـسَ بـعـد الـحُـزنِ والـمـ

دع عـنـك «أوّنـي» فـقـد حـطّ الـزمـانُ بـهِ

والـجـأ إلـى «شـبـشـلٍ» تـنـجـو مـن الـبـ

دع «يـاسـراً»[٤] يـتـهـادى فـي تـغـرُّبـهِ

فـيـا لـحُـزنـي، ويـا لـلـحـادثِ الـجَـ

واصـغِ إلـى «فـرحـةٍ» تـبـدي تـأفُّـفَـهـا

وانـظـر إلـى «مـاهـرٍ» يـمـضـي عـلـى عـ

(١) بو حازم: الشاعر عصام العبدالله.

(٢) شوقي: الشاعر شوقي بزيع.

(٣) حشش: الباحث نهاد حشيشو، واستعملنا كلمة «حشش» للضرورة الشعرية «المؤلف».

(٤) ياسر: الشاعر ياسر بدر الدين.

واسعَ إلى مجلسٍ للأُنس تعشَقُهُ
واسمِعْ «سعيداً» بما أحببتَ من جُمَلِ

واطلِقْ قوافيكَ في الدُنيا مُجلجِلةً
دُنياكَ في الشِعرِ، لا دنياك في العملِ

البغل خالو الحصان!!...

أخبرني الأستاذ . . .، بأنه التقى ابن إحدى شقيقاتي، وأنه أُعجب شديد الإعجاب به، وراح يطري صفاته الحسنة بالقول:

«يا لطيف شو مِرْحْ!!، وشو زكي!!، وشوحلو!!، وشو شاطر!!،وشو أليف!!.وشو محدِّث!!!، وشو آدمي!!، وشو أشبهي. . .!!، تارِنّو طالع لخالو سعيد!!»، فاعتبرت مبالغة الأستاذ نوعاً من «الإستلام»، فرحت أبحث عن جواب ملائم، فتذكرت، أن ما. . . هو ابن شقيقته، فتوجهت إليه بالقول: «كل واحد منا بيطلع إبن أختو إلو!! فإبن أختي طالع إلي!! وابن أختك ما. . . طالع إلك!!، بالتمام والكمال!!»، فانفعل وردد بأعلى صوته: «يرحم بيّك، مْنَينْ رحت نكشتلي هالبغل؟ مْنَينْ؟ بيعنا من ها لموضوع، ولا تنسى إنّو البغل خالو الحصان!!»!.

أي كركرا

نَظمْتُ هذه القصيدة في ١٧/٥/١٩٩٩على منوال قصيدة الشاعر محمد مهدي الجواهري:

أي طـرطـراً تـطـرطـري
تـقـدَّمـي تـأخَّـري

التي نُظِمتْ في العام ١٩٤٥، وفيها انتقادٌ للسلطة الحاكمة في العراق التي أقدمت على إلغاء امتياز جريدته. ونُشرت في جريدة «الرأي العام» ـ البغدادية ـ في ٢٤/٣/١٩٤٦.

وأورَدَ في مقدمتها، أنه في نظمها سار على نهج قصيدة قيلت في العصر العباسي ومطلعها:

أي دبـدبـاً تـدبـدبـي
أنـا عـلـيُّ الـمُـغـربـي

أما الشاعر أحمد شوقي فنظم ـ حين رُزِقَ غلاماً أسماه علياً ـ هذا البيت:

تـرَلّـلـي تَـرَلَّـلـي
أصـبـح شـوقـي «بـو عـلـي»

جاء في قصيدتي:

أي كـركـراً تـكـركـري
تـبـهـرجـي تـعـطَّـري

تـكـنـفـشـي تـعـربـشـي
تـفـشـكـلـي تـكـعـبـلـي

تـعـنـظـزي تـفـنـظـزي
تـمـسّـكـي تـعـنـبَـري

تـكـحَّـلـي تـشـحَّـري
تـهـالـكـي تـدثَّـري

تَـمَـسـكـنـي تـكـنـكـنـي
تـخـايـلـي تـجـبَّـري

تبرسمي(١) تَفَتَّشي ... تسنيري تمرْمَري

تسحرحري تهرْهري ... تيتَّمي تصبَّري

تترَّكي(٢) تكرَّدي ... تكسَّفي تبربري

تفتَّحي تبرْعمي ... ترغْرعي تعرعري

تشرشحي تفرّشخي ... تنهَّدي تدبَّري

فأسمِعي وأودِعي ... تصحَّري تبخَّري

فأرعِدي وأزبِدي ... تشهَّدي تطهَّري

---

(١) تبرسمي: سيري على نهج وزير النفط الأسبق شاهي برسوميان، ويقاس عليه!!..

(٢) تتركي: كوني تركية، ويمكن القياس!!.

بْعات السنكريه ليلحموا الأوزون!!

في أواخر تسعينيات القرن المنصرم أطلعني رئيس جمعية المحافظة على
وحماية التراث في النبطية الدكتور ماجد بعلبكي على برنامج وضعته الجمعية
أجل حماية البيئة، وبعد قراءة معمّقة لهذا البرنامج وجدتُ فيه طروحاتٍ
الحاجات البيئية لمدينة النبطية، فاقترحتُ ـ على وزارة البيئة ـ ثلاث نقاط من
الأخذ بها تحسين الأوضاع البيئية في الكرة الأرضية وفي بلاد الشام ومدينة النـ
تحديداً، وهي:

أولاً: نظراً لوجود ثقب في طبقة الأوزون، فإنه يتوجب إرسال «السنكر
«الجِنّ» و«التعلب» بصاروخ إلى الفضاء كي يقوما بـ«لحم» هذا الثـ
الأوزوني!!.

ثانياً: غرس عشرة ملايين شجرة في صحراء النقب وفي بادية الشام من
حماية لبنان وسائر بلاد الشام من الريح الخماسينية الآتية من شبه الجـ
العربية!!.

ثالثاً: تحويل مجرى نهر الزهراني إلى نهر براغيث (وهو جدول يجري
بعض فصول الشتاء الغزيرة المطر في النبطية)؛ على أن يصار إلى
بحيرة للأسماك في مجرى النهر المُوَحَد مما يؤدي إلى القضاء
البرغش!!.

قد أتاكم «بيّو» طارقْ

في منتصف العام ٢٠٠٠ أصدر «أبو طارق» مجموعة شعرية!!! حملت
«الملاك والرقطاء» وَتضمن أبياتاً «مُعَفلكة» تثير السخرية والأسى، في آن،
البليّة ما يُضحك!!؛ فنظمتُ هذه القصيدة بتاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠٠٠، وبحضور
طارق» الذي حازت إعجابه:

وافرُشي حُمرَ النمارقْ ... قد أتاكُم «بيّو» طارقْ
عبقريٌ من بلادي ... قد أتى جمَّ الخوارقْ
شِعرُهُ عذبٌ نميرٌ ... «فات» في كلِّ المخارقْ
في سماكُم كم أصيلٍ ... هو بالأشعارِ فالقْ
يا لهُ في الجوِ صقرٌ ... قد علا كلَّ الشواهقْ
فَحْلُ عِشقٍ لِنساءِ ... قد غوى كلَّ البهانق
صوتُ ترنيمٍ لشادٍ ... فاتحاً كلَّ المغالقْ
فأُناجيهِ بشِعري ... ذاكَ نِبراسُ البيارقْ
فهوى كالنحلِ يدْوي ... مِن رحيقِ الزهرِ لاعقْ
في هِجَاهُ قد تمادى ... فاسقٌ منّا ومارقْ
قد تسامى في ذُرانا ... فهو لِلأنجُمِ «ماشقْ»
من يُجافيهِ بصَرْمٍ ... فَلَهُ حبلُ المشانقْ

فهو للقندولِ زهرٌ ... شوكُ وردٍ في الحدائقْ
وهو عودٌ لِثِقابِ ... مُشعِلٌ كلَّ الحرائقْ
هو بدرٌ لِلدياجِ ... وهو للأفاقِ راتقْ
يا غزالاً في الفيافي ... لم يُعِقْ مسراهُ عائقْ

«فَشَرِتْ» بيصلي عليها بليس!!

مرت أمام محل (S ٣) فتاة حسناء ترتدي ثياباً تُظهر أجزاء من جسدها الجميل وتُفصح عن أخرى، وكانت تتمايل في مشيتها، وتسير بغنجٍ، ودلال فصِحتُ بنبرة عالية: «يا جماعةْ! صلّوا على محمد وآل محمد!!»، فغضب الحاج حسن جابر(المعروف بـ «حسن بو خطار») وصاح مستنكراً: «فَشَرِتْ، هِذي بيصلي عليها بليس!!»، عندها حبكت معي النكتة، فعلَّقت بالقول: «إذا كان هالحلوي عندا قدره على جعل بليس يصَليّ!! فهذا يعني إنَّا عملتو تقي ورع!!، وجزاء هالعملي راح تدخل على الجَنّي بتيابها!!».

بتلهي الحمار عن عليقو!!

أثناء قيامي بزيارة صديق استفضت في الكلام، فبادرني أحدهم قائلاً: «إنتِ بتلهي الحمار عن عليقو!!». فعقَّبتُ على هذا الكلام بالقول: «لا تواخذني يا أستاذ... إذا كنت لهيتك!!».

نصائح مجدية!!

تذمر صديق حميم من الكوارث التي حلّت بفلسطين والعراق، جراء الاغتصاب الصهيوني للأولى، والاجتياح الأمريكي للبلد الثاني، فأخبرت الصديق الشاكي بأنّي قد وجدتُ حلولاً مفيدة ومخارج ناجعة، تؤمن الحل في كلا البلدين!! ويمكن شرحها على الوجه التالي:

أولاً: بالنسبة لفلسطين، على عرب النفط جمع مبلغ عشرين مليار دولار، على أن يدفع لحاخامات اليهود في «إسرائيل» كبدل أتعاب لهؤلاء الكهنة لقاء قيامهم بتهويد أبناء فلسطين النازحين عن ديارهم، وبذلك تصبح الدولة العبرانية ملزمة بإعادة هؤلاء اللاجئين إلى ديارهم التي هُجِّروا منها!!.

ثانياً: فيما يتعلق بالعراق الشقيق، فإن على دول الجوار الاتفاق على إرسال قوات عسكرية لحفظ الأمن والنظام على أن توزع على الشكل التالي:

١ ـ في المنطقة الكردية(الواقعة شمال العراق) تتسلم الأمن فيها قوة تركية ضاربة!!.

٢ ـ في المنطقة الوسطى السُنّية تتولى حفظ الأمن فيها قوات إيرانية، مع ضرورة رفدها بقوة احتياطية من الحرس الثوري!!.

٣ ـ في الجنوب الشيعي، تقوم قوات من الجيش السعودي، مدعومة بقوة من الحرس الوطني، وبمرافقة فصيل كامل من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «المطاوعة»، ببسط الأمن في هذه المنطقة!!.

هيأتك يا دكتور بلا شئمةْ ولا دين؟!

في شهر شباط من العام ٢٠٠٧ حين كنتُ أقوم بواجب العزاء لأقارب شاهدت الدكتور ك. ش.، الذي كان يرتدي قميصاً صيفياً أزراره «غير مُبَكّلَة» ـ فبان صدره عارياً ـ وبنطال جينز، وينتعل حذاءً رياضياً، ناهيك عن شعره الأشعث.

عندما خاض أطراف الحديث راح يُوزّع كلامه على الحضور يَمنةً ويَسرة ومن «هب ودب»، فسأل أحد الحاضرين عما إذا كان قد تزوج؟ فأجابه بالنفي، عندها انفرجت أساريره، وهش له وبشّ!!، وخاطبه بالقول: «إنتِ الوحيد اللي بتفهم بيناتنا، واعترف بإنّي حمار لأني تزوجت!!، وكل واحد بيعمل هالشغلي بكون متلي برافو عليك! برافو!»".

بعدما لاحظتُ تمادي هذا الدكتور في الكلام، وأنه يهرف بما لا يعرف،خاطبته بالقول: «يا دكتور! الإنسان بدو يقول عن حالو اللي بدو يقولو هوّي حرّ، لأنو أدرى بنفسو، وإنتِ أدرى بنفسك، بسّ مش أدرى بغيرك!! أما بالنسبة للزواج، فنحنا بناخذ بقول الرسول(ص) اللي بيقول: # تناكحوا وتناسلوا كي أفتخر بكم يوم القيامة بين الأمم #».

فانفعل الدكتوروانتقد هذا الحديث!! فما كان من أحد الحضور إلا وثار بوجهه، ووجه له النقد اللاذع، قائلاً: «هيأتك يا دكتور بلا شِئمةْ ولا دين! مش عيب تنتقد الحديث النبوي! شو هيأتك مشفّط؟! مش عيب على دكتور متلك يحكي ها لحكي؟!»".

بوس الإيادي ضحكْ على اللحى!!

التقيت صديقاً بعد طول انقطاع. حين شاهدته وهو ملتحٍ أمسكت بيده وأردت تقبيلها، لكنه أبى وشعر بالخجل الشديد. وحين سألني عنِ السبب الذي حدا بي للسعي إلى لثم يده، أجبته ضاحكاً: «بوس الأيادي ضحك على اللحى»!!.

المصادر والمراجع

I ـ جلسات مع السادة:

أ ـ الراحلون:

«الوالد» أحمد إبراهيم الصبَّاح «أبو سعيد»، حسين الزيون فران «أبو محمد»، حسن أحمد وهبي «أبو حسني»، محمد سعيد درويش «أبو هاشم»، أ. فؤاد عبد الله كحيل، أ. سمير أبو ناصيف، أ. عبد الحسين حامد، أ. حيدر حمدان وهاني عبد الكريم قانصو «أبو كريم».

ب ـ الأحياء:

د. عاطف فياض، أ. حبيب جابر، الحاج حسن عبد الله كحيل، د. عبد الأمير شمس الدين، د. جهاد مفيد جابر، الحاج سعيد علي أحمد، الحاج عقيل خلف، د. محمد يوسف فران، أ. محمد علي جواد الصبَّاح، أ. ماهر الحاج علي، الحاج أحمد حسن شريف بدر الدين، أ. علاء ظاهر، حسني حسن وهبي «أبو العزّ»، الفنان حسين شكرون، أ. عبد الأمير درويش، الحاج حسين عبد اللطيف شعيب، الحاج علي حبيب بيطار، الحاج خليل ترحيني، د. كمال حسن وهبي، د. نظام إبراهيم، الحاج إبراهيم ذيب سلّوم، الشاعر مضر إبراهيم إبراهيم، الشاعر يحيى فحص، أ. عادل كحيل، الحاج علي عباس حرقوص، الحاج غالب الكوّيس، رفيق شفيق طه «أبو شفيق»، السيد عدنان زيبارة، الحاج كامل حمّود

بدير، الحاج عاطف أمين درويش الحاج علي، الحاج سمير وهبي، فضل سلوم فران «أبو عباس» وعاطف سميح الحاج علي «أبو علي».

II ـ المطبوعات

- عرفان الجميل: وهي مجموعة الخطب والقصائد التي قيلت في «الحفلة التكريمية» التي أقيمت في كفر رمان على (مشروع الماء) ليوسف بك الزين، صاحب مشروع جر مياه نبع عين الطاسة للنبطية وجهاتها. نشرت وطبعت بعناية ونفقة لجنة الإحتفال المؤلفة من أفاضل وسراة النبطية، ١٣٤٤ هـ، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٢٥م.
- لفح الهجير، ديوان شعر الشاعر عبد المنعم موسى فحص، قدم له د. إبراهيم فران، ابيدجان ـ ساحل العاج، عام ١٩٦٧. [نسخة من مكتبة السيد راشد عبد اللطيف فحص].
- أوراق مرجعيونية عتيقة، هنري أبو عراج، دار أمواج، بيروت، لا. ت. [نسخة من مكتبة الأستاذ علي مزرعاني].
- من دفتر الذكريات الجنوبية (الجزء الثاني)، المجلس الثقافي للبنان الجنوبي ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٤.
- مطارحات شعرية في جبل عامل، إعداد د. حسن محمد نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠.
- موسوعة الطرائف والنوادر، إعداد زاهد بدر الدين، رشاد برس، بيروت ١٩٩٢.
- النبطية في الذاكرة (صور ووثائق ١٨٦٠ ـ ١٩٩٩م)، الطبعة الأولى، إعداد وتصوير علي حسين مزرعاني، بيروت ١٩٩٩.
- النوادر والفكاهات الشعبية (نموذج النبطية)، دراسة أُعدت لنيل الجدارة في

الأنتربولوجيا (الجامعة اللبنانية ـ معهد العلوم الاجتماعية ـ صيدا ـ الفرع الخامس)، إعداد علي نزار هاشم، إشراف د. علي بزي، العام الجامعي ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١. [نسخة من مكتبة السيد الحاج أحمد حسن شريف بدر الدين].
- الأمثال العامية في جبل عامل، الشاعر جعفر الأمين، مراجعة وتقديم جواد صيداوي، دار الفارابي والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.
- ديوان السيد نور (نور الدين بدر الدين) تحقيق وتقديم د. حسن محمد نور الدين، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.
- تقي الدين الصلح: سيرة حياة وكفاح، المحامي عمر زين، جزءان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٧.
- سقط المتاع، شعر الشاعر العلامة الشيخ عبد الحسين صادق، جمع وتحقيق وتقديم حبيب صادق، مؤسسة الانتشار العربي والمجلس الثقافي للبنان الجنوبي، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٧.

III ـ وثائق ـ مخطوطات

- شريط مسجل لمحاضرة ألقاها الحاج حسن عبد الله كحيل في جمعية المحافظة على البيئة وحماية التراث في النبطية بتاريخ ٢/ ٣/ ٢٠٠٦، وعنوانها: «طرائف من النبطية».
- مخطوطة بخط يد الحاج محمد علي ظاهر (الملقب بـ «أبو عكرمه»).
- مخطوطة أشعار أ. علي محمد الصبَّاح. (محفوظة لدى عائلته).

الفهرس